٢٠٣

الآداب الطبية في الإسلام

مع لمحة عن تاريخ الطب

جعفر مرتضى العاملي

مؤسسة النشر الإسلامي التابعة
لجماعة المدرسين بحوزة قم المشرفة

Princeton University Library
32101 059188167

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

J. M. Amili

جعفر مرتضى العاملي

(RECAP)

الآداب الطبية في الإسلام

مع لمحة عن تاريخ الطب

منشورات

جامعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم المقدسة -

(RECAP)
BP166
.72
.A44

اسم الكتاب : الاداب الطبية
المؤلف : السيد جعفر مرتضى العاملى
الناشر : جامعة المدرسين فى الحوزة العلمية ـ قم المقدسة
المطبوع : الفا نسخة
التاريخ : رمضان المبارك ١۴٠٣ الموافق لشهر خرداد ١٣۶٢

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

والحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين ، محمد وآله الطيبين الطاهرين .

واللعنة على أعدائهم أجمعين . من الاولين والاخرين ، الى قيام يوم الدين .

و بعد . . .

فقد مست الحاجة فى بعض المجالات فى الجمهورية الاسلامية الى الكتابة حول موضوع الاداب الطبية فى الاسلام ، مع اعطاء لمحة عن تاريخ الطب ، و عن النهضة العلمية الاسلامية فى هذا المجال ، و غير ذلك .

فطلب منى أخى الاعز الاكرم ، سماحة العلامة آية الله الشيخ على الاحمدى الميّانجى حفظه الله تعالى أن أكتب حول هذا الموضوع .

ورغم أننى لست مؤهلا للقيام بمهمة كهذه ـ لاسيما و ان الاداب الطبية وسواها مما لابد من التعرض له هنا ، موضوعات جديدة لم يتطرق اليها

الباحثون فيما أعلم ـ فقد امتثلت أمره ، شاكراً له ثقته بى ،وارجو من الله تعالى أن ينفع بما كتبت ، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم .

١٨ جمادى الاولى سنة ١٤٠٢ هـ .

جعفر مرتضى الحسينى العاملى

القسم الاول

تاريخ الطب

الفصل الاول :

الطب...
قبل الاسلام

تذكير :

اننا نرى : أنه لابد من اعتماد التاريخ الهجرى أساساً لضبط الوقائع والاحداث لان النبى (ص) هو الذى وضع هذا التاريخ ، وبه ضبطت وقائع التاريخ الاسلامى ، وقد تحدثنا عن ذلك بالادلة القطعية فى محله فى غير هذا الكتاب . . .

ولكننا ربما ننقل هنا بعض المطالب عن الاخرين ، الذين يعتمدون التاريخ المسيحى الميلادى ...فنضطر الى ذكر التاريخ الميلادى متابعة لهم ؛ لاننا لانعطى لانفسنا حق تغيير النص الذى ننقله عنهم ، ولو بهذا المقدار . . . فليلاحظ ذلك . . .

وشكراً . . .

مبدأ ظهور الطب :

أما متى و كيف كان ظهور علم الطب ؟ ففيه اختلاف بين المؤرخين . . .

فيرى البعض : أن سحرة اليمن هم الذين وضعوا أساس علم الطب. و يرى آخرون :انهم السحرة من فارس. و فرقة ثالثة :أنهم المصريون :و رابعة:الهنود ، أوالصقالبة،أوقدماء اليونانيين ، أو الكلدان ، الذين نسب اليهم: أنهم كانوايضعون مرضاهم فى الازقة ، ومعابر الطرق ،حتى اذامر بهم أحدقدأصيب بذلك الداء وشفى أعلمهم بسبب شفائه ؛ فيكتبون ذلك على الواح ، يعلقونها فى الهياكل ، فلذلك كان التطبيب عندهم من جملة أعمال الكهنة وخصائصهم(١) .وقيل غيرذلك . . .

ولكن ابن أبى أصيبعة يرى : أن اختراع هذا الفن لايجوز نسبته الى بلد خاص ، أومملكة معينة ، أو قوم مخصوصين ، اذمن الممكن وجوده عند أمة قد انقرضت ،ولم يبق من آثارها شيىء، ثم ظهر عند قوم آخرين ،ثم انحط عندهم حتى

---

(١) راجع فى كل ما تقدم : عيون الانباء ص ١٢ وقبلها ، والفهرست لابن النديم ص ٤١٢ ، وطب الامام الصادق للخليلى ص ٥-٦ وتاريخ التمدن الاسلامى ، المجلد الثانى ص ٢٢ ، و دائرة معارف القرن العشرين لوجدى ج ٥ ص ٦٦١ الى غير ذلك من المصادر الكثيرة .

نسى ، ثم ظهر على أساس هؤلاء لدى غيرهم؛ فنسب اليهم اختراعه ، أو اكتشافه(١) .

هذا . . . وثمة رأى آخر يقول : ان صناعة الطب مبدؤها الوحى و الالهام ، وقد قال الشيخ المفيد قدس الله نفسه الزكية :

«الطب صحيح ، والعلم به ثابت ، وطريقه الوحى ،وانما أخذه العلماء به عن الانبياء ، وذلك أنه لاطريق الى علم حقيقة الداء الا بالسمع ، ولاسبيل الى معرفة الدواء الا بالتوفيق . . . الخ (٢) » . . . هذا . . . وقد ذكروا لهذا القول دلائل وشواهد ، لامجال لايرادها هنا ؛ فمن أرادها فليراجعها فى مظانها. (٣)

أما نحن . . . فنرى: أن الطب قد وجد منذ وجد الانسان على وجه هذه الارض، فمنذ ذلك الحين عانى من الداء،فوفق بالهام من الله الى كثير من الامور التى يمكن أن تعتبر دواء . . .

كما أننا نرى : أن كثيراً من المعالجات . وان كانت قد جاءت عن طريق ارشادات الانبياء عليهم السلام للناس اليها، كما قاله الشيخ المفيد . . . الا أنه ليس كله كذلك ، بل فيه ما جاء عن طريق التجربة أيضاً ، أو الصدفة ، أو الفكر والملاحظة، بعد الاطلاع على طبائع بعض الاشياء ، كما هو مشاهد وملموس . . .ولعلنا يمكن أن نجد لدى ابن أبى أصيبعة بعض الميل الى هذا الرأى (٤) ،وان كان قد عبر فى أول كلامه عن صعوبة الجزم برأى ما ، فى هذا المجال . . .

الصلة بين الطب ، والسحر ، والكهانة :

ان الذى يراجع تاريخ الشعوب والامم الخالية يجد : أنه قد كان ثمة صلة

(١) راجع عيون : الانباء ص ٢٧ ط سنة ١٩٦٥ وطب الامام الصادق ص ٥-٦ .
(٢) البحار ج ٦٢ ص ٧٥ .
(٣) راجع على سبيل المثال : عيون الانباء ص ١٣ ، فما بعدها والبحار ج ٦٢ ص ٧٥ وطب الامام الصادق ، حديث الاهليلجة ص ٤٣ - ٥٠ عن البحار . . .
(٤) راجع ، عيون الانباء ص ١٧-٢٦ . ط سنة ١٩٦٥ .

وثيقة جداً بين السحر والطب ، فقدكانوا يداوون مرضاهم بالسحر ، وكان الساحر طبيباً يداوى المريض بسحره : وكذلك كان الكهان يداوون المرضى ايضاً .

نعم . . . لقدكانوا يداوون مرضاهم بالرقى والتضرعات والتوسلات للالهة . ولاجل ذلك كان الطب من جملة اختصاصات الكهان عموماً فى تلك الازمنة(١)

و قد تقدمت الاشارة الى أن الكثيرين ينسبون هذا العلم الى كهنة بابل ، أو كهنة الفرس ، أو كهنة اليمن الى آخر ما تقدم . . . الامر الذى يوضح الدور الهام لهذا الصنف من الناس . . . ولسوف نجدفيما يأتى أيضاً بعض مايشير الى هذا :

الطب عند الامم السالفة :

هذا . . . ولا بأس بأن نذكر لمحة عن حالة الطب لدى الامم السالفة ، وان كنا لا نرى تفاوتاً كبيراً فى نوعية المعالجات والتوجهات الطبية بين تلك الامم ، بحيث يجعل فى الحديث عن كل واحدة على حده كبير فائدة أو جليل أثر .

و لكننا مع ذلك . . . سنحاول أن نظهر بعض التوجهات الخاصة التى نلمحها لدى كل امة بقدر الامكان ، و ذلك على النحو التالى :

١ـ الطب عند المصريين :

لقدكانت الرقى والعزائم أساس الطب المصرى القديم ، لاعتقادهم أن الامراض من الالهة ، فلا تشفيها الا التوسلات لها ، فكانوا يلجأون الى الكهنة لقربهم منها(٢) .

وأول طبيب عرف باسمه من المصريين هو (ايمتحب) الذى عاش حوالى

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٨ ص ٣٨٠ عن ارشاد السارى ج ٨ ص ٣٦٠ . و تاريخ التمدن الاسلامى ، المجلد الثانى ص ٢٢ ، و غير ذلك من المصادر الكثيرة . . .

(٢) المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٨ ص ٣٨١

القرن الثلاثين قبل الميلاد (١) .

وتوجد أوراق من البردى ـ وهى سبع ـ وقد كتب بعضها فى القرن السادس أو السابع عشر ، وبعضها قبل ألفى سنة للميلاد ، وفيها ما يرتبط بالطب (٢)

ويذكر وجدى أنه من المعروف : أن أحد فراعنة مصر ، وهو نيتى بن فينيس ، قد ألف كتاباً فى علم التشريح . واشتهر الملك (نيخور دفس) وهو من الاسرة الثالثة من الفراعنة بوضعه رسالة فى الطب ، كما أن قيروش ودار ملكى الفرس قد عينا فى قصورهما أطباء من المصريين .

ويقول وجدى : «كان للاطباء المصريين امتيازات ، مثل اعفائهم من الضرائب وكان الناس يحملون اليهم هدايا بدل الاجور ، وكان منهم من هو موظف عند الحكومة تنقده أجره فى كل شهر ، وكان الناس يستشيرونه بدون أجر » (٣) .

٢ـ الطب عند الكلدان ، والبابليين ، والاشوريين ، والاسرائيليين :

أما الكلدان فكان أطباؤهم من السحرة ، وكان جل اهتمامهم موجهاً الى معالجة المريض بالرقى ، مع السماح له بتعاطى بعض الاعشاب ، وكانت جميع الامراض عندهم تعزى الى الارواح الشريرة .

كما أن الاشوريين والبابليين كانوا يعتمدون فى معالجاتهم على الرقى والعزائم بصورة عامة . . ويعتمدون فيما عن البابليين على الوثائق التى وجدت فى خزانة كتب الملك آشوربانيبال ، وهى الان فى المتحف البريطانى ، ويرجع حكم ذلك الملك الى القرن السابع قبل الميلاد (٤) .

---

(١) تاريخ العلم ج ١ ص ١١٢ تأليف : جورج سارتون

(٢) تاريخ العلم ج ١ ص ١١٣ وراجع ص ١٩٦/١٩٧ ودائرة معارف القرن العشرين لوجدى ج ٥ ص ٦٥٩/٦٦٠

(٣)و(٤) راجع : تاريخ العلم ج١ ص ١٩٦ ، وراجع دائرة معارف القرن العشرين ج٥ ص ٦٦١

وقد تقدم : أن كهنة بابل كانوا يضعون مرضاهم فى الازقة ، ومعابر الطرق حتى اذا مر أحد كان قد اصيب بهذا المرض و شفى ، أعلمهم بسبب شفائه ، فيكتبون ذلك . . . الخ .

ويوجد فى قانون حمورابى الاشورى ، الذى حكم حوالى القرن العشرين قبل الميلاد مواد قانونية خاصة بالطب الجراحى (١) .

أما الاسرائيليون ، فقد كان الطب عندهم بيد رجال الدين ، وقد وجد فى التلمود بعض ما يرتبط بالطب (٢) .

ولكن ليعلم : أن التلمود ليس له من القدم بحيث يعبر وجود ذلك فيه عن نبوغ خاص للاسرائيليين فى علم الطب ، بل هو قد وضع بعد أن قطع الطب شوطاً كبيراً فى كثير من مجالاته ،

٣ـ الطب عند الهنود :

وهو عندهم أيضاً يعتمد على السحر والرقى ، وفى كتابهم المسمى (ريجفيدا) الذى يتحدث عن خصائص أعشاب كثيرة تجد دعوات تتلى لكثير من الامراض .

و « كان الطب عندهم بيد البراهمة ، و قد عرف اليونانيون أيام مدنيتهم بأن الطب الهندى أرقى من طبهم ، و لكنهم لم يفصلوا وجه هذا الرقى ، فقد تكلم ابقراط كثيراً عن علاجاتهم ، وكان تيوفراست يذكر أعشاباً طبية أخذها عنهم » (٣) .

٤ـ الطب عند الصينيين :

ويذكر وجدى ان الصينيين يزعمون : أنه كان لديهم حدائق لتربية النباتات

(١) تاريخ العلم ج ١ ص ١٩٨/١٩٩
(٢) دائرة معارف القرن العشرين ج ٥ ص ٦٦١/٦٦٢
(٣) المصدر السابق ج ٥ ص ٦٦٢

الطبية قبل المسيح بثلاثة آلاف عام ، وينسبون الى الملك (هوانج تى) كتاباً فى الطب الفه ـ حوالى سنة ٢٦٠٠ قبل الميلاد ، وهو باق عندهم الى اليوم .

وقد استفاد منهم الاوربيون فى معارفهم الطبية ، ويقال : ان العالم « بوردو » قد أخذ مباحثه فى النبض عن الكتب الصينية ، والمادة الطبية كانت أهم ماشغلهم و يعتبر كتابهم المسمى (بنتاو) كنز المادة الطبية ، وفيه (١١٠٠) مادة يسرد خصائصها العلاجية .

و صناعة الطب عندهم حرة يتعاطاها من شاء ، وكانت مدارسهم الطبية فى المدن الى القرن العاشر كثيرة ، ثم اختفت الا مدرسة فى العاصمة (١) .

٥ـ الطب عند اليونان ، والرومان :

لقد رأينا فى الالياذة لهو ميروس اشارات الى كثير من المعلومات الطبية ولاسيما الجراحية (٢) .

وكان الطب موجوداً لدى اليونان قبل ابقراط ، لانه هو نفسه ينقل عن مؤلفات سابقة ، ولكن ابقراط قد خلص هذا العلم مما علق به من الشعوذة والعقائد بالارواح ، ولم يقم ابقراط بما قام به الا اعتماداً على الثروة الطبية الجيدة التى ورثها عن أسلافه (٣) .

ويذكر وجدى أيضاً : أن الكتب التى سبقت ابقراط مفقودة ، وليس لدينا أقدم من كتبه الان ، وكان الطب عندهم سحرياً يعتمد على الرقى والعزائم. ثم لما نبغ الفلاسفة أمثال أنكزيماندوا ، وبارفيد ، وهيراقليت وغيرهم تكلموا فى الاهوية ، والاغذية ، والامراض ، وغيرذلك . ثم جاء فيثاغورس فاشتغل بالطب وكتب امبيدوكل فى الجنين والحواس ، والوراثة والتوالد .

(١) راجع : دائرة معارف القرن العشرين ج ٥ ص ٦٦٣

(٢) تاريخ العلم ج ٢ ص ٢١٥

(٣) تاريخ العلم ج ٢ ص ٢١٧ و دائرة معارف القرن العشرين ج ٥ ص ٦٦٤

ثم ترقى الطب عندهم حتى أس بطليموس الاول والثانى ملكا مصر مدرسة الاسكندرية ، التى نبغ منها جالينوس ، الذى عاش فى القرن السادس قبل الهجرة .

وكان الطب الرومانى مبنياً على الخرافات والاوهام ، واليونان هم الذين أدخلوا العلم الطبى اليهم من مدرسة الاسكندرية ـ التى استمرت ـ كما يقول البعض (١) الى أواخر القرن الاول الهجرى ـ ولعل أول طبيب يونانى دخل رومية هو أركاجانوس بن ليزانياس سنة ١٩٢ قبل المسيح ، ثم سقط الى الحضيض على أثر بعض أعماله الجراحية ، ثم عاد فدخلها من العلماء اليونانيين من كان له أثر كبير فى نشر هذا العلم هناك (٢) .

٦ـ الطب عند الفرس :

قد تقدم أن البعض يقول : ان كهنة الفرس هم واضعوا علم الطب .

ويذكر وجدى : أن الطب كان عندهم مخلوطاً من الرقى والتعزيم ، وشيء من المبادىء الطبية العلمية . وان تاريخ الطب عندهم يصعد الى نحو القرن الرابع قبل المسيح عليه السلام ، واصوله الاولية مذكورة فى كتابهم المقدس زندافستا فى الفصل المعنون به « فنديد » وخصوصاً تحت عنوان « فارجاد » ، وهو أحدث تاريخاً من كتب « الفيدا » الهندية المقدسة (٣) .

وكحصيلة لما تقدم ، فان جورج سارتون يقول : ان فى وسعنا أن نقرر : ان القسم الاكبر من المعارف الطبية يرجع الى الالف الثالث قبل الميلاد (٤) .

(١) تاريخ طب در ايران ج ٢ ص ١٣

(٢) دائرة معارف القرن العشرين ج ٥ ص ٦٦٤/٦٦٥ وفى تاريخ العلم ص ٢١٥ـ٣٢٠ بحث شامل عن الطب اليونانى الابقراطى . . . و لعل هذا التعمد فى اظهار عظمة الطب اليونانى من أجل التقليل من اهمية النهضة الطبية الاسلامية العظمى التى أنست من قبلها و أعجزت من بعدها .

(٣) راجع : دائرة معارف القرن العشرين ج ٥ ص ٦٦٣

(٤) تاريخ العلم ج ١ ص ١٩٧

هذا . . . ولاهمية جامعة جندى شابور فى النهضة الاسلامية، نرى أنه لابد من اعطاء لمحة عن هذه الجامعة الشهيرة ، فنقول :

جامعة جندى شابور:

تقع مدينة جنديشابور بين شوشتر وخرابات شوش فى خوزستان (١) .

ويظهر من كلام القفطى : أنها كانت مركزاً طبياً شهيراً من عهد شابور الاول، وأن الطب قد انتقل اليها من الروم(٢)

و يحتمل البعض أن مدرسة الطب فيها كانت قبل القرن الرابع أو الخامس الميلادى (٣) .

يقول القفطى : انه بعد أن انتقل اليها بعض الاطباء الروم مع ابنة ملكهم «ولما أقاموا بها بدؤا يعلمون أحداثاً من أهلها ، ولم يزل أمرهم يقوى فى العلم ، ويتزايدون فيه ، ويرتبون قوانين العلاج على مقتضى أمزجة بلدانهم حتى برزوا فى الفضائل . وجماعة يفضلون علاجهم وطريقتهم على اليونانيين والهند؛ لانهم أخذوا فضائل كل فرقة ؛ فزادوا عليها بما استخرجوه من قبل نفوسهم ! فرتبوا لهم دساتير وقوانين ، و كتباً جمعوا فيها كل حسنة ، حتى ان فى سنة عشرين من ملك كسرى اجتمع أطباء من جنديشابور بأمر الملك ، وجرى بينهم مسائل وأجوبتها . وأثبتت عنهم . و كان أمراً مشهوراً . و كان واسطة المجلس : جبرئيل درستباذ؛ لانه كان طبيب كسرى . والثانى : السوفسطائى وأصحابه . ويوحنا ، وجماعة من الاطباء ... وجرى لهم من المسائل و التعريفات ما اذا تأملها القارىء لها استدل على فضلهم وغزارة علمهم . . . » .(٤)

(١) راجع مقالا للدكتور محمد محمدى فى مجلة الهادى سنة ٢ عدد ٢ بعنوان : جامعة جند يشابور وكتاب تاريخ طب در ايران ،ومعجم البلدان للحموى ،وغير ذلك .

(٢) تاريخ الحكماء ص ١٣٣ .

(٣) هو الدكتور محمد محمدى فى مقال له فى مجلة الهادى سنة ٢عدد ٢ ص ٥١ وهو بعنوان : جامعة جنديشابور .

(٤) تاريخ الحكماء ص ١٣٣ .

ويقال : ان خسرو أنوشروان قدأرسل برزويه الطبيب ، والمشرف على أمور الطب فى جنديشابور ـ أرسله ـ مع هيئة خاصة الى مختلف البلدان لجلب الكتب الطبية . (١)

ويرى البعض : أن الطب فى جنديشابور مزيج من طب اليونان ، والهند ، وايران ، ومدرسة مرو . (٢)

٧ـ الطب عند العرب قبل الاسلام :

و قبل البدء فى الحديث عن طب العرب فى الجاهلية . . . نشير الى أننا قد تعمدنا بعض التفصيل فى هذا المجال ، من أجل اظهار حقيقة الوضع الذى كان سائداً فى المنطقة التى ظهر فيها الاسلام ، الذى بعث أعظم ثورة ثقافية و انسانية عرفها التاريخ . . . والذى شهد عالم الطب فى ظله تطوراً هائلاً وأسطورياً ، كما سنرى ، ولاجل ذلك نقول :

أما الطب عندالعرب ، فيقول وجدى: انه كان مقتبساً عن اليونانى ، والهندى. ولم يزد العرب عليه شيئاً الافيما يتعلق بالمادة الطبية . (٣)

فاذا كان وجدى يقصد بذلك : الطب فى فترة ماقبل الاسلام ؛ فيمكن أن يكون له وجه . . . وان كنا نرجح : انه ليس الانتيجة لتجارب شخصية محدودة ، أومأخوذة من أطباء جنديشابور ، أومن أى من البلاد التى تحيط بهم .

وأما اذا كان يقصد طب مابعد ظهور الاسلام ؛ فلاريب فى عدم صحة هذا الكلام، كما سنرى فيما يأتى . . . ويؤيد انه يقصد هذا الثانى : قوله : انه كان قبل الاسلام منقولا اليهم من السوريين . (٤)

(١) راجع مقالا للدكتور محمد محمدى بعنوان : جامعة جندى شابور ، فى مجلة الهادى سنة ٢ عدد ٢ ص ٥٢ .

(٢) تاريخ طب درايران ج ٢ ص ٧٣ .

(٣) دائرة معاوف القرن العشرين ج ٥ ص ٦٦٦ .

(٤) دائرة معارف القرن العشرين ج ٥ ص ٦٥٥ .

فالظاهر :أنه قدتأثر بمزخرفات المستشرقين الذى يحاولون تعظيم وتضخيم دورأى من الامم التى سبقت الاسلام بهدف التخفيف من عظمة البعث الاسلامى ، فى مختلف المجالات ،وذلك لاهداف حقيرة لاتخفى . . .

وعلى كل حال . . . فان مطالعة معالم النهضة الاسلامية الطبية لخير دليل على كذب هذا الادعاء ، ولسوف يأتى بعض مايشير الى ذلك كما قلنا .

اما الدكتور فيليب حتى فيقول : «انشأ الطب العربى العلمى عن الطب السورى الفارسى ، الذى كان يقوم بدوره على أسس من الطب الاغريقى . وقدأشرنا سابقاً الى أن الطب الاغريقى ذاته قداستقى كثيراً من الطب الشعبى القديم الذى كان معروفاً فى الشرق الادنى ،ولاسيما الطب المصرى» . (١)

ولكن ما ذكرناه نحن آنفاً هوالاكثردقة فى هذاالمجال . . .فان الطب قد كان عند جميع الامم ولكن بمستويات مختلفة ومتفاوتة ، وقداستطاعت جنديشابور أن تحتوى معظم نتاج الامم السابقة ، ثم تصدر ماحصلت عليه الى سائر الشعوب التى كانت بحاجة الى مادة كهذه ومنها العرب ، وان كان العرب قداقتبسوا أيضاً من آخرين ممن حولهم ،كالسوريين ، أوغيرهم ... وأضافوه الى ماكان عندهم عن الكلدان غيرهم ، ومما حصلوا عليه من تجاربهم ، وان كانت محدودة جداً .

أما جامعة جنديشابور نفسها ؛ فقد انتقل الطب اليها على يد الرومان ، الذين تلقوا معارفهم عن اليونانيين ، الذين قدموا اليهم من مدرسة الاسكندرية .

الطب الجاهلى :

ويقولون :ان المعالجات فى الجاهلية كانت تعتمد على بعض النباتات ، وبالعسل وحده ، أومع موادأخرى : شرباً تارة ، وعجائن ولصقات أخرى . وبالحجامة ، والفصد ، والكى ، وبتر الاعضاء بالشفرة المحماة بالنار ... هذابالاضافة الى معالجاتهم

(١) موجز تاريخ الشرق الادنى ص١٩١ .

بالرقى والعزائم ، والاذكار التى تطرد الجن والارواح الشريرة .

ويقول البعض : انهم كانوا يعالجون الجراح المتعفنة والدماميل بمواد ضد العفونة ، ويعالجون الامراض المسرية بالحجر الصحى ، و يعالجون الجراح بالفتائل والتضميد . (١)

ويقول الدكتور جواد على : (٢) «وقد عرف الجاهليون أيضاً طريقة تغطية بعض العيوب، أو الاصابات التى تلحق بأعضاء الجسم بالوسائل الصناعية ، فشدوا الاسنان، وقووها بالذهب ، وذلك بصنع أسلاك منه تربط الاسنان ، أو بوضع لوح منه فى محل الاسنان الساقطة (٣) واتخذوا أنوفاً من ذهب لتغطية الانف المقطوع ، كالذى روى عن عرفجة بن أسعد (٤) من أنه اتخذ أنفاً من ذهب (٥) . وكان قد أصيب أنفه يوم الطلاب فى الجاهلية» انتهى. ولعل هذه القضية من الامور المسلمة تاريخياً كما يعلم من مراجعة كتب الحديث و التاريخ (٦) .. وان كان البعض يرى : أن ذلك لا يرتبط بالطب ، وانما بفن الصياغة . . . ولكنه على اى حال يعبر عن تطور ما فى توجهات الناس آنئذ حتى ليفكرون بتغطية بعض العيوب بطرق ، ووسائل كهذه ...

وقد عرف الجاهليون الطب البيطرى أيضاً ، فكانوا يعالجون الحيوان بالكى

(١) تاريخ طب درايران ج ٢ ص ١١٨ .

(٢) المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٨ ص ٤١٥ :

(٣) المعارف لابن قتيبة : ص ٨٢ ونزيد نحن : مسند أحمد ج١ ص ٧٣ والتراتيب الادارية ج ٢ ص ٦٥ و ٦٩ عن الترمذى وسنن أبى داود .

(٤) أو الضحاك بن عرفجة او طرفة بن عرفجة ، كما يظهر من مراجعة المصادر الاتية .

(٥) بأمر من النبى (ص) .

(٦) مسند أحمد ج ٥ ص ٢٣ . وسنن أبى داود ج ٤ ص ٩٢ و سنن الترمذى ج ٤ ص ٢٤٠ ، وسنن النسائى ج ٨ ص ١٦٤ وطبقات ابن سعد ج ٧ ص ٣٠ ، والعقد الفريد ج ٦ ص ٣٥٤ ، والاصابة ج ٢ ص ٢٢٣ وج ٣ ص ٢٠٧ و ٤٧٤ عن ابن مندة والتراتيب الادارية ج ٢ ص ٦٥ .

بالنار ، وجب سنام الابل ، اذا أصيب بالدبرة . و قد كان العاص بن وائل بيطاراً كمايقولون . (١)

وكانوا ينقون رحم الفرس أوالناقة من النطف ، ويخرجون الولد من بطن الفرس ، أو الناقة ، ويعبّر عن ذلك بلفظ (مسى) . (٢)

و اما عن الامراض التى كانوا يعرفونها ، و النباتات التى كانوا يستعملونها ، فهى كثيرة ، و لسنا فى صدد استقصائها . وقد ذكر أسعد على فى كتابه :«المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام» نبذة عن تلك الامراض و معالجاتها ، فليراجعها من أراد . . .

ثم ان هذا الذى ذكرناه انما هو بالنسبة للطب عند الحضريين ، أما طب البادية فقدكان تقليدياً موروثاً عن مشايخ الحى وعجائزه . . .

منزلة الطب فى الجاهلية :

وقد ذكر أبو حاتم : أنه قدكان فى زهير بن جناب عشر خصال لم يجتمعن فى غيره ، من أهل زمانه : كان سيد قومه ، وشريفهم ، وخطيبهم ، و شاعرهم ، ووافدهم الى الملوك ، وطبيبهم ـ والطب عندهم شرف ـ وحازى قومه ـ و الحزاة الكهان ـ وكان فارس قومه ، وله البيت فيهم ، والعدد منهم . . . (٣)

أطباء العرب فى الجاهلية :

لم يكن فى العرب قبل ظهور الاسلام توجه أو اندفاع نحو الطب ، ولذلك ، فانهم لم

(١) المعارف لابن قتيبة ص ٢٥٠ ، وتاريخ التمدن الاسلامى المجلد الثانى ص ٢٤ والمفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٨ ص ٤١٧ .

(٢) المفصل فى تاريخ العرب ج ٨ ص ٤١٧ عن تاج العروس ٣٤٢ .

(٣) المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٨ ص ٣٨٩ .

(٤) أمالى السيد المرتضى ج ١ ص ٢٣٨ ، ومعجم أدباء الاطباء ج ١ ص ١٧٨ و ص ١٧٥ ، والمفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٨ ص ٣٨٠/٣٨١ كلاهما عن السيد المرتضى ونقله أيضاً عيسى بن دأب فى كتابه المناقب (المخطوط) .

يكن لهم حضارة طبية ذات قيمة تذكر ، نعم قد ظهر فيهم عدد محصور من الاطباء لم يكن لهم نبوغ مميز ، ولااشتهر عنهم ابداعات أو منجزات تذكر في هذا المجال . . .

وقد عرف من هؤلاء الاطباء ، الذين عاش بعضهم الى مابعد ظهور الاسلام .

١ـ ابن حذيم : من تيم الرباب ، وقد زعموا : أنه أطب العرب ، حتى قيل : أطب في الكى من ابن حذيم . . . (١)

وهذه الكلمة كماترى تدل على أنه انما اشتهر بالكى أكثر من غيره من سائر المعالجات التى كانت معروفة آنذاك . . . وليس لدينا ما يدل على براعة ما له في سائر فروع الطب وفنونه . . .

٢ـ الحارث بن كلدة ، بن عمرو ، بن علاج : قال أبوعمر : توفى فى أول الاسلام : ولم يصح اسلامه . وتعلم الطب من رجل جنديشابورى : و يقال : انه عالج سعدبن أبى وقاص بأمر من النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، أو بمراجعة سعد له ، بعد أن أمره (ص) بمراجعته (٢)

---

(١) تاريخ التمدن الاسلامى ، المجلدالثانى ص٢٢ ، والمفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٨ ص ٣٨٦ عن بلوغ الارب ج ٣ ص ٣٣٧ .

(٢) راجع : تاريخ الحكماء للقفطى : وعيون الانباء ط سنة ١٩٦٥ ص ١٦١ ، وهامش الاشتقاق لابن دريدص٣٠٥ ، وتاريخ مختصر الدول لابن العبرى ص٩٢، والاصابة ج ١ ص ٢٨٨ والاستيعاب بهامشها ج ١ ص ٢٨٩ ، والطب النبوى لابن القيم ص ٧٥ وطبقات ابن سعد ج٥ص ٣٧٢ . والترجمة الفارسية لطبقات الاطباء والحكماء لابن جلجل ص ١٢٤ ، والتراتيب الادارية ج ١ ص ٤٥٦/٤٥٧ عن سنن أبى داود وغيره ، وكنز العمال ج ١٠ ص ١٤و٤٦/٤٧ عن أبى داود ، والحسن بن سفيان ،وأبى نعيم . والمفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ج٨ ص ٣٨٢ عن بعض من تقدم ، وعن : بلوغ الارب ج ٣ ص ٣٢٨ وشرح ديوان لبيد ص ١٠٢ واخبار الحكماء ص ١١١ وطبقات الاطباء لابن صاعد ص ٢٧ ، وطبقات الاطباء لابن جلجل ص ٥٤ .

و يقول البعض : كان النبى (ص) يأمر من كانت به علة أن يأتيه ، فيسأله عن علته . (١)

ونسب اليه كتاب المحاورة فى الطب بينه وبين كسرى ، ولعله هو الذى ذكره ابن أبى أصيبعة، وابن عبدربه،وغيرهما . (٢)

٣ـ النضر بن الحارث ، بن كلدة ، بن عبدمناف ، بن عبدالدار ، يقال : انه سافر الى البلاد ، ورأى العلماء.ويذكر : أنه كان له معرفة بالطب . (٣)

٤ ـ ابـن أبى رمثة : كان طبيباً على عهد الرسول ، يـزاول أعمال اليد ، وصناعة الجراح (٤) .

٥ـ الشمردل بن قباب ، من نجران ، و قد أسلم على يد النبى(ص) وله كلام معه حول ممارسته لهذه الصناعة . (٥)

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٣٧٢ والتراتيب الادارية ج ١ ص ٤٥٦/٤٥٧ عنه وعن ابن طرخان .

(٢) عيون الانباء ص ١٦٢ والعقد الفريد ج ٦ ص٣٧٣ وعن بلوغ الارب ج ٣ ص ٣٢٨ والتراتيب الادارية ج ٢ ص ٣٥٩ .

(٣) وزعم فى عيون الانباء ص ١٦٧ : أنه ابن الحارث بن كلدة الثقفى.وليس كذلك لان هذا من قريش من بنى عبدالدار ، وقد أمر (ص) بقتله يوم بدر . . راجع : نسب قريش لمصعب ص ٢٥٥ ، والاشتقـاق ص ١٦٠ ، وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٢٠ وج ٢ . . . وغير ذلك .

(٤) التراتيب الادارية ج ١ ص٤٦٢و٤٦٤ وطبقات الاطباء والحكماء (الترجمة الفارسية) ص ١٢٨ وهوامشها ، ومسند أحمد ج ٤ ص١٦٣ ، وتهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٩٧ وتاريخ الحكماء ص ٤٣٦ ، وعيون الانباء ص ١٧٠ و لسان العرب ج ٦ ص ٢٣٢ ، وتاريخ التمدن الاسلامى ، المجلدالثانى ص ٢٤ ، والمفصل ج ٨ ص ٣٨٦ عن بعض من تقدم وعن ابن جلجل ص ٥٧ ، وابن صاعد ص ٤٧ .

(٥) الاصابة ج ٢ ص ١٥٦ ، ولسان الميزان ج ٤ ص ٤٧٨ .

٦ـ ضمادبن ثعلبة :كان صديقاً للنبى (ص) فى الجاهلية ـ كمايقال ـ وكان يتطبب ، ويرقى : ويطلب العلم ، ويداوى من الريح . (١)

٧ـ زهير بن جناب . الذى كان طبيب قومه ، وقد تقدم ذكره .

٨ـ وثمة نفر من قبيلة أنمار ،كانوا يزاولون الطب فى زمن النبى صلى الله عليه وآله . (٢)

٩ـ و كان العباديون أيضاً معروفين بالطب (٣) ، ولعله بعامل تنصرهم ، كما قيل (٤) .

النساء و الطب :

ويذكرهنا : أن بعض النساء اللواتى أدركن الاسلام ، كن يزاولن مداواة الجرحى ، وتمريض المرضى.و نعتقد: أن مهمتهن هذه كانت الى التمريض أقرب ، ولسوف يأتى ذكر اسماء طائفة منهن ممن عاش فى زمن النبى (ص) فى القسم الثانى من هذا الكتاب ، فى الفصل الخامس، حين الكلام على تمريض المرأة للرجل . . . فالى هناك .

---

(١) التراتيب الادارية ج ١ ص ٤٦٢ ، و الاصابة ج ٢ ص ٢٠٢ ، والاستيعاب بهامشها ج ٢ ص ٢٠٩ ، والمفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٨ ص٣٨٦ عنهما وعن : نهاية الارب ج ١٨ ص ٧ وج ١٧ ص ٣٥٠ .

(٢) موطأ مالك ج ٣ ص ١٢١ ، وطبقات الاطباء والحكماء لابن جلجل (الترجمة الفارسية) ص ١٢٤ والهوامش فى ص ١٢٦ ، و المفصل ج ٧ ص ٢٧٦ عن ابن جلجل ص ٥٤ .

(٣) المفصل فى تاريخ العرب ج ٨ ص ٤١٢ عن الفاخر ص ٥٨ .

(٤) المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ج٨ص٤١٢ ولم نستطع أن نتحقق اسم الطبيب الذى جيىء به لمداواة عمر حين طعن فسقاه النبيذ ثم اللبن ، فخرج من جرحه . . .

الفصل الثانى :

الطب فى العـهد الاســلامى

فى القرنين: الاول و الثانى الهجريين

العرب فى أول الاسلام ... والطب

اننا نلاحظ ، أن الاسلام قد ظهر فى حين كان الطب لايزال يقطع مراحل طفولته. وكان العرب فى علم الطب خاصة أضعف من سائر الامم ، لانهم لم يكن لديهم حكومة مركزية يتوفر فى ظلها عنصر الامن والاستقرار ، ليكون ثمة مجال للتنافس والسعى لتحقيق الطموحات التى يمكن أن تعتلج فى نفوس الكثيرين لاسباب مختلفة .

وباستثناء الحارث بن كلدة الذى استأثر بشيىء من الشهرة الواسعة ، والتى لم تكن له لولا أنه تعلم الطب على أيدى الجنديشابوريين ، وباستثناء ابن حذيم .

فاننا لانجد فى العرب ما يشجعنا على أن نعتبرهم قد أسهموا فى تقدم هذا العلم ، بل ليس مايشجعنا الان نعتبر أنه قد كان عندهم أطباء بالمعنى الحقيقى للكلمة ، وحتى ابن كلدة ، وابن حذيم فاننا لانعرف مقدار ما كانا يتمتعان به من براعة وحذق فى هذا المجال . وليس لهم آثار علمية ، ولا فى التاريخ مايمكن أن نستدل به على شيىء من هذا . وقد تقدم بعض ما يشير الى ذلك فى الفصل السابق .

الطب فى الصدر الاول الاسلامى :

لقد اشرنا فيماسبق الى: أن الاسلام يعتبر الطب وظيفة شرعية ، وأحد الواجبات التى لامجال للتساهل فيها .

كما أن من يراجع كلام النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، والائمة عليهم السلام ، وما وصل الينا من كلام لهم فى الطب والعلاج ، وهو ثروة كبيرة جداً ، لاتتناسب مع مالا حظناه من سير هذا العلم فى القرن الاول الهجرى ونصف الثانى ـ نعم ان المراجع لذلك ـ يخرج بحقيقة هامة ، تتلخص فى أنهم عليهم السلام كانوا يحاولون بعث نهضة شاملة فى هذا المجال ، تتسم بالشمولية والعمق والدقة ، مستمدة ذلك من الواقعية الرائدة التى تعتمد عليها ، وعلى هدى من المعانى الانسانية النبيلة التى تتجه اليها .

ولكن الذى يظهر : هو أن العرب لم يستطيعوا أن يكونوا فى مستوى هذا الحدث الجديد ، الذى هو ظهور الاسلام . . . وانما كانت طموحاتهم و توجهاتهم منصبة على مجالات أخرى ، تتناسب مع ما كانوا يعانونه من تأثرات وتغيرات نفسية وفكرية ، وغيرهما ، مما طرأ عليهم بعد ظهور الاسلام فيهم .

ولانبعد كثيراً اذا قررنا هنا حقيقة : أنه قد كان ثمة أثر كبير للتوجهات التى كانت تفرضها عليهم طموحاتهم ، التى ولدت فى ظل ظروف موضوعية معينة متعددة بعد ظهور الاسلام . . . والتى كانت تتجه اكثر الى نزعة التسلط والقهر للامم الاخرى ، و بسط النفوذ على اكبر قدر ممكن من البلاد . . .

وقد ساعد على ذلك بشكل فعّال . . . بعض سياسات الحكام الذين جاؤا بعد الرسول صلى الله عليه وآله ـ باستثناء على عليه السلام ـ الذين كانوا غير مستعدين للاستعانة بغير العرب الا بالمقدار الذى يرفع ضرورتهم ، من دون أى توجّه الى حاجات ابناء شعبهم ، أو حتى التفكير فيها . . . هذا عدا عن انهم شعوباً وحكاماً لم تسطع

نفوسهم وعقلياتهم أن ترقى الى مستوى الحدث الذى قد كان بمثابة القفزة الواسعة التى عرضت على مجمل حياتهم وواقعهم بظهور الاسلام فيهم .

كل ذلك مع عدم توجههم لاهداف وتعاليم نبيهم و دينهم ، و عدم اهتمامهم بالعمل على تطبيقها وتحقيقها .

نعم . . . فبقيت علوم كثيرة ، ومنها علم الطب مهملة عندهم ، ان لم تكن معدومة الى مطلع الدولة العباسية ، التى جاءت بعد انتهاء الحكم الاموى ، الذى ساهم فى اشباع الرغبة فى الحكم والتسلط ، وبدأ الاتجاه الى حياة الاستقرار والرخاء ، ومواجهة متطلبات الحضارة ، ، الامر الذى كان يفرض عليها الاستجابة لهذه المتطلبات والحاجات ، التى يصعب اهمالها أو تجاهلها .

فكان عصر النهضة العلمية ، وبدأ العصر الذهبى . . . و استطاع المسلمون فى فترة وجيزة جداً أن يحققوا على صعيد العلم و المعرفة أعظم المنجزات التى يمكن أن تحققها امة فى فترة زمنية كهذه .

دور غير المسلمين فى النهضة العلمية :

وكان طبيعياً أن يكون ظهور علم الطب بقوة عند المسلمين فى أجواء كهذه فى مطلع الدولة العباسية ، بمساعدة متخصصين من الامم الاخرى ، ولاسيما اولئك الذين انتهت اليهم المعارف الطبية الى تلك الفترة من الزمن ، و هم أهل جند يشابور .

و ترجم هؤلاء وغيرهم الكثير من الكتب الطبية ، ومارسوا الطب فى بلاط الخلفاء وغيرهم من الاعيان ، وحصلوا على الاموال بأرقامها الخيالية .

ولا غرو أن نجد الحكام والخلفاء يهتمون فى أن يكون أطباؤهم من هؤلاء الذين هم من غير المسلمين ، بل من اليهود ، والنصارى ، والمجوس ، حتى لقد كان للمتوكل (٥٦) طبيباً كلهم من النصارى (١) . . . فانهم ماكانوا يطمئنون الا

(١) تاريخ التمدن الاسلامى ، المجلد الثانى ص ٢٠٠ عن طبقات الاطباء ج٢ ص ١٤٠

اليهم ، و لا يعتمدون فى تنفيذ مآربهم السياسية ـ كتصفية خصومهم (١) ـ الا عليهم .

رغم وجود النطاسيين فى هذا الفن من المسلمين ، و الذى كان لهم فيه اليد الطولى ، ابداعاً واختراعاً ، وشمولية وعمقاً ، مثل : أحمد بن أبى الاشعث ، وعلى بن عيسى الكحال ، وأحمد بن محمد الطبرى ، وابن الصورى ، و غيرهم ممن يعد بالعشرات ، والمئات .

وقد كان علماء المسلمين يلومون الخلفاء و الوزراء فى تعظيمهم النصارى للتطبب (٢) .

نعم . . . لقد استعان المسلمون بغيرهم فى عالم الطب . . . ولكنهم لم تمض عليهم مدة وجيزة حتى حققوا فيه أعظم المنجزات ، التى يمكن أن يحققها انسان فى فترة وظروف كتلك التى مرت على المسلمين آنذاك . . . حتى لقد أرسوا القواعد والاسس الصحيحة والسليمة لقيام النهضة الطبية فى هذا القرن الرابع عشر الهجرى . . . وعلى تلك القواعد ، وهاتيك الاسس والمنجزات العظيمة اعتمدت أوربا وغيرها فى نهضتها الطبية الحاضرة ، كما هو معلوم .

هذا . . . ونحن نشير هنا الى مجمل بسيط عن الحركة العلمية الطبية الاسلامية ، وما يرتبط بذلك ، مع مراعاة الاختصار الشديد ، حسبما يقتضيه المقام . . . فنقول :

---

(١) فقد كان ابن أثال النصرانى ، طبيب معاوية هو الاداة التى يستخدمها معاوية فى تصفية خصومه السياسيين ، (عيون الانباء ص ١٧١/١٧٢ ، و التراتيب الادارية ج ١ ص ٤٦١ ونسب قريش لمصعب الزبيرى ص ٣٢٧ وغيره) ، كما أن المعتصم قد تخلص من المأمون على يد يوحنا بن ماسويه النصرانى (عيون الانباء ص ٢٥٤) وأبو الحكم النصرانى الدمشقى كان يعتمد عليه معاوية فى تركيب الادوية لاغراض قصدها منه (عيون الانباء ص ١٧٥ و التراتيب الادارية ج ١ ص ٤٦١) وغير ذلك كثير ، لامجال لتتبعه .

(٢) البحار ج ٨١ ص ٢٠٩ عن الدعوات للراوندى

الطب فى القرن الاول الهجرى :

قد أشرنا فيما سبق الى أنه قد كان فى زمن النبى صلى الله عليه وآله بعض المعاريف من الاطباء آنئذ ، والى بعض معارفهم ، ونزيد هنا :

أن قوماً من الانصار قالوا : يارسول الله . ان لنا جاراً يشتكى بطنه ، أفتأذن لنا أن نداويه ؟ قال (ص) : بماذا تداوونه ؟ قالوا : يهودى هاهنا يعالج من هذه العلة ، قال : بماذا ؟ قالوا : بشق بطنه ، فيستخرج منه شيئاً ، فكره ذلك رسول الله (ص) ولم يجبهم ، فعاودوه . مرتين أو ثلاثاً ، فقال : افعلوا ماشئتم ، فدعوا اليهودى فشق بطنه ، ونزع منه رجراجاً كثيراً ، ثم غسل بطنه ، ثم خاطه وداواه ، فصح . . . وأخبروا النبى بذلك ، فقال : ان الذى خلق الادواء جعل لها الدواء . . . الخ (١) .

وعن ابن سنان عن أبى عبد الله (ع) قال : سألته عن الرجل ينفصم سنه : أيصلح له أن يشدها بذهب ؟ وان سقطت ، أيصلح أن يجعل مكانها سن شاة ؟ قال : نعم ، ان شاء ، ليشدها بعدأن تكون ذكية . . . وعن الحلبى ، عنه عليه السلام مثله(٢) . وعن زرارة ، عن أبى عبدالله عليه السلام ، قال : سأله أبى وأنا حاضر ، عن الرجل يسقط سنه ، فيأخذ من أسنان ميت ، فيجعله مكانه ، قال : لا بأس (٣) .

وقد تقدم : أنه (ص) قد أمر الضحاك بأن يتخذ أنفاً من ذهب . . . وتقدم : أن الحارث بن كلدة ـ وقد اختلف فى اسلامه ـ قد ألف كتاباً فى الطب .

وفيما عداذلك ، فاننا لانجد فى القرن الاول الهجرى ، بل . . . وحتى مطلع

---

(١) البحار ج ٦٢ ص ٧٣ ، وطب الامام الصادق عليه السلام ص ١٦ كلاهما عن دعائم الاسلام .

(٢) البحار ج ٦٦ ص ٥٢/٥١ عن مكارم الاخلاق ص ١٠٩

(٣) المحاسن للبرقى ٦٤٤ والبحار ج ٦٦ ص ٥٠ و ٥٤٠ عنه وعن مكارم الاخلاق ص ١٠٩

الدولة العباسية أى نشاط طبى عند المسلمين ـ الا مايذكر عن النبى (ص)، والائمة المعصومين عليهم السلام ـ والاسماء بعض أطباء عاشوا فى الجاهلية، وصدر الاسلام مثل: ابن أبى رمثة، والحارث بن كلدة، والنضر بن الحارث، وغيرهم ممن قدمنا ويذكر أيضاً: أنه لما ضرب امير المؤمنين على عليه السلام جمع له الاطباء، وكان أبصرهم بالطب ابن عمر يا، أثير بن عمرو السكونى. وكان صاحب كرسى يتطبب(١) كما ان الذى جيىء به لعلاج عمر حينما طعن كان من الانصار من بنى معاوية(٢).

أما فى عهد بنى امية، فنجد أن الحكام كانوا يعتمدون على بعض الاطباء من أهل الملل الاخرى، كابن أثال النصرانى، وأبى الحكم النصرانى، و ثياذوق، و ابن أبجر المسيحى (٣) طبيب عمر بن عبدالعزيز، وان كان البعض يحاول أن يدعى: أن خالد بن يزيد كان ماهراً فى الطب أيضاً(٤)، و لكن ذلك لايمكن الاعتماد عليه، نعم يمكن أن يكون قد شجع على ترجمة بعض الكتب الطبية كما سيأتى واذا كان حقاً له بصر بهذا العلم فانه ولاشك لم يتعد المجال النظرى، فلم يمارسه فى يوم من الايام. والمشتهر عنه هو ميله الى صناعة الكيمياء، أما اتقانه لعلم الطب فلم نجده الا عند ابن خلكان.

و نجد أيضاً فى جملة من يعد ممن له معرفة بالطب، بعض النساء اللواتى عشن فى زمنه صلى الله عليه وآله، مثل: رفيدة، التى كان لها خيمة فى مسجد الرسول لمداواة المرضى و الجرحى، وامرأة من عذرة، وليلى الغفارية، وأم سليم وأم عطية، وربيع بنت معوذ، وغيرهن . . . ممن سنذكرهن مع المصادر فى

(١) معجم البلدان ج ١ ص ٩٣ و الجوهرة فى نسب على بن ابى طالب وآله للتلمسانى البرى ص ١١٥/١١٦

(٢) تاريخ عمر لابن الجوزى ص ٢٤٥

(٣) راجع بعض الهوامش المتقدمة عن قريب، حول دور هؤلاء الاطباء فى الاغتيالات التى كان ينفذها الحكام على أيديهم ضد خصومهم السياسيين.

(٤) وفيات الاعيان ج ١ ص ١٦٨ والتراتيب الادارية ج ٢ ص ٢٦٣ عنه

الفصل الخامس من القسم الثانى من هذا الكتاب ، حين الكلام على معالجة وتمريض المرأة للرجل . . . فالى هناك .

وكانت أم جميلة تعالج من الكلف ، وقد سألت عائشة عن ذلك ، فأمرتها بالاستمرار على ذلك (١) .

وفى عهد بنى امية ، كانت زينب الاودية تتطبب ، وتعالج العين والجراح(٢) وأخيراً . . . فاننا لا نجد فى تتبع الحركة الطبية فى هذه الفترة كبير فائدة ، لانها كانت ضعيفة جداً ، بل تكاد تكون معدومة .

استدراك : ويذكر فى الاطباء فى القرن الاول : مرة بن شراحيل الطبيب كما عند البلاذرى فى أنساب الاشراف ج ٢ ص ٣٥٧ ، كما أن رواية ابن سنان الانفة تدخل فى نشاط القرن الثانى ، أما رواية زرارة فيحتمل فيها ذلك .

الطب فى كلمات المعصومين :

نعم . . . لابد من التوفر الكامل على دراسة الثروة الطبية الهائلة ، التى أتحفنا بها النبى صلى الله عليه وآله ، وأهل بيته الكرام عليهم الصلاة والسلام حيث انهم قد تكلموا فى مختلف الشؤون الطبية بشكل واسع وشامل ، حتى فى فترة الركود الفكرى والعلمى فى زمن الامويين وغيرهم ، حسبما تقدمت الاشارة اليه .

وهذا ما يحتم التوفر التام على دراسة تلك الثروة ، لاستخلاص الكنوز الرائعة ، والحقائق الجليلة ، التى تضمنتها كلماتهم ، وحوتها تعاليمهم الفذة .

واننا لعلى يقين من أنه لو أوليت هذه النصوص ما تستحقه من عناية واهتمام لامكن الخروج بنتائج يمكن أن تكون على درجة كبيرة من الاهمية

(١) كنز العمال ج ١٠ ص ٤٥ والتراتيب الادارية ج ١ ص ٤٦٣ كلاهما عن ابن جرير .

(٢) عيون الانباء ص ١٨١ ، والمفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٨ ص٣٨٧ وتاريخ التمدن الاسلامى ، المجلد الثانى ص ٢٠١

حتى بالنسبة للحياة الطبية الحاضرة .

هـذا . . . ولا يسعنا هنا الا أن نعبر عن أسفنا العميق ، لاننا رأينا : أن المسلمين الذين عاصروا النبى صلى الله عليه وآله ، والائمة عليهم السلام . . . لايهتمون ـ حتى شيعتهم ـ الابعض العلوم الدينية ، التى كرسوا لها كل أوقاتهم وجهودهم واهتماماتهم ، وأهملوا ماعداها . . . حتى اننا لنجد الائمة عليهم السلام يحاولون توجيههم نحو البحث عن العلل والاسباب ، فنجد الامام الباقر (ع) يأمر أصحابه اذا أفتاهم بفتوى : أن يسألوه عن مخرج الفتوى ومأخذها من القرآن الكريم . . . ولكن الملاحظ : هو أن ذلك التوجيه والتحريض لم يكن له الاثر المرجو والمطلوب ، حيث نجد : أنهم ـ مع ذلك ـ كانوا يكتفون منه بالجواب عن المسألة فقط ! ! .

و لعل عدم اهتمامهم هذا يفسر لنا مانلاحظه من عدم وجود سند صحيح ـ غالباً ـ للروايات الواردة فى الطب ، و المأكولات ، والادوية ونحوها ، ولا اهتم أرباب الجرح والتعديل بنقد أسانيدها وتصحيحها .

وعلى كل حال . . . فأما بالنسبة الى الطب فيما بعد القرن الاول الهجرى فلابد من ايجاز القول فيه على النحو التالى :

المسلمون . . . و الطب :

ويحاول كثيرون ، ولاهداف لاتخفى ! ! أن يعطوا المنجزات الطبية ، و كل تقدم علمى صفة قومية بالدرجة الاولى ، فهذا يركز :

اليونان . . .

وهذا على المصريين . . .

وذاك على الفرس . . . .

وذاك على العرب . . .

وهكذا . . .

ونقول لكل هؤلاء : لماذا لم تستطع تلك الامم فى كل تاريخها الطويل

الذى يعد بألوف السنين ، الذى عاشته قبل ظهور الاسلام أن تحقق تقدماً يوازى أوحتى يدانى التقدم الذى حققته فى هذه الفترة الوجيزة التى عاشتها فى ظل الاسلام ؟ !

بل ان كل منجزاتها بدون الاسلام ليست شيئاً يستحق الذكر اذا ما قورنت بمنجزاتها فى هذه الفترة المحدودة .

مع أن تلك الامم قد كانت تمتلك ـ قبل الاسلام ـ الدولة القوية ، والموارد المادية الضخمة ، والمعنويات العالية ، والطموحات البعيدة ، حسبما يدعون ، أو حسبما يريدون الايحاء به للبسطاء والسذج من الناس .

وهكذا . . . فانه يجب أن يعزى ماحققه المسلمون على اختلاف أجناسهم الى الاسلام نفسه ، واعتباره العامل الرئيس فى تفجير الطاقات ، وتحقيق الطموحات .

بل اننا نجد الاخرين الذين لم يعتنقوا الاسلام ، رغم أنهم كانوا المعلمين الاول للمسلمين فى علم الطب ، وهم أهل جنديشابور وغيرهم من أتباع الاديان المختلفة ، قد بدأ يتقلص ظلهم ، ويأفل نجمهم ، كلما زاد تألق شمس المعارف الطبية فى العالم الاسلامى (١) والذى كان يتم بسرعة مذهلة .

نعم . . . لقد تقلص ظلهم ، وأفل نجمهم ، مع أنه قد كان لخلفاء المسلمين وحكامهم عناية فائقة بهم ، واهتماماً لا نظير له بشؤونهم .

وحسبنا ماذكرناه هنا ، ولننقل الكلام الى عصر النهضة العلمية لدى المسلمين . . . والذى يستدعى منا الحديث فى نقاط عديدة ، منها :

١ـ حركة الترجمة فى العلوم الطبية وغيرها .

٢ـ حركة التأليف ، وازدهار الطب عند المسلمين .

٣ـ بعض المنجزات العلمية للمسلمين ، وأثر المسلمين فى النهضة الطبية الحديثة .

٤ـ أثر المسلمين فى الصيدلة .

٥ـ اشارة الى بعض الخدمات الطبية ، كبناء المستشفيات ونحوها .

(١) ولايختص ذلك فى علم الطب ، بل ينسحب على غيره من مختلف العلوم والمعارف كما يظهر لكل باحث ، فراجع .

الى غير ذلك من الامور التي يقتضيها البحث: والتي ربما لا يمكن تجاهلها. فالى المطالب التالية :

حركة الترجمة :

لقد بدأت الترجمة في الحقيقة في القرن الاول الهجرى ، ولكن بشكل محدود جداً ، ونشطت في مطلع الدولة العباسية (التي اسست سنة ١٣٢ هـ) وانتعشت اكثر في زمن هارون ، الذى توفى سنة ١٩٣ هـ . وبلغت ذروتها في زمن المأمون المتوفى سنة ٢١٨ هـ .

وبنشاط حركة التأليف والابداع لدى المسلمين . . . بدأت حركة الترجمة بالتراجع ، فلم يعد لها في أواسط القرن الثالث فما بعده رونق يميزها عن غيرها من النشاطات ، ان لم نقل : انها لم يعد لها رونق أصلا . . . بل يرى البعض : أن أكثر الترجمات قد كانت ما بين أواسط النصف الاول من القرن الثاني ، و حتى النصف الاول من القرن الثالث (١) .

وعلى كل حال . . . فقد كان غير المسلمين هم الذين يقومون بأمر الترجمة بصورة عامة ، سواء في ذلك النصارى ، أو اليهود ، أو غيرهم . . . فهم رواد هذه الحركة ، وعليهم كان الاعتماد فيها . . . ولكننا لا يجب أن ننسى هنا دور النوبختيين في الترجمة ، وهم من الفرس ، المسلمين ، الشيعة ، فانهم قد أسدوا خدمات جلى في هذا السبيل ،

ويقول گوستاف لوبون : ان أول كتاب طبى ترجم الى العربية قد ترجمه هارون سنة ٦٨٥ ميلادية (٢) . . . و نحن نعتقد : أنه قد غلط في ذلك ، فـ :

أولاً : ان الكتاب هو كناش « أى مجموعة فيها قواعد و فوائد طبية » من مؤلفات (اهرن) ، وقد ترجمه ماسرجويه ، اما في زمن عمر بن عبدالعزيز ،

(١) تاريخ طب در ايران ج ٢ ص ١٩٤

(٢) تمدن اسلام وعرب ص ٦٠٩

أوأنه ترجمه فى زمن مروان بن الحكم ، وبقى فى خزائن الكتب حتى اخرجه ابن عبد العزيز الى الناس (١) .

وثانياً : اننا نجدهم يقولون : ان ابن أثال طبيب معاوية ـ الذى قتل فى زمنه ـ قد سبق الى ترجمة كتاب فى الادوية المفردة من اليونانية الى العربية (٢) . . . وبمثل ذلك يرد على من زعم أن خالد بن يزيد كان أول من ترجم كتب النجوم و الطب . . . الخ (٣) ، ويقول وجدى : ان ابن وحشية قد ترجم عن الكلدان كتاباً فى السموم وذلك فى سنة ١٧٠ ميلادية (٤) .

وهو غلط أيضاً ، فان ابن وحشية قد عاش فى أواخر القرن الثالث ، وفى مطلع القرن الرابع الهجرى (٥) ، ومما ذكرنا نعرف عدم صحة قولهم : ان جورجس هو أول من ابتدأ فى نقل الكتب الطبية الى العربية عندما استدعاه المنصور (٦) .

وعلى كل حال . . . فانهم يقولون : ان الخليفة العباسى هارون قد أرسل الى روما من جلب له الكتب الخطية الطبية . . . كما أنه هو نفسه قد جلب معه مخطوطات من أنقره ، وعمورية وغيرها من بلاد الروم ، وطلب من يوحنا

(١) عيون الانباء ص ٢٣٢ عن ابن جلجل ، وتاريخ الحكماء ص ٣٢٤/٣٢٥ وتاريخ طب در ايران ج ٢ ص ١٩٤ وراجع ص ٢١٥ ، وتاريخ الاطباء والحكماء لابن جلجل ص ١٣٣ الترجمة الفارسية وهوامشه ، و التراتيب الادارية ج ٢ ص ٢٦٩/٢٧٠ عن تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ص ٢٣٣ .

(٢) تاريخ طب در ايران ج ٢ ص ١٤١

(٣) البيان والتبيين ج١ ص٣٢٨ ، وشرح نهج البلاغة ج١٥ ص ٢٥٨ ، والتراتيب الادارية ج٢ ص٢٦٨/٢٦٩ عنهما وعن أوائل السيوطى أنه أول من ترجمت له كتب الطب راجع محاضرة الاوائل ص ٧١ ، والاوائل للعسكرى ج ٢ ص ١٤٥ .

(٤) دائرة معارف القرن العشرين ج ٥ ص ٦٦٥

(٥) تاريخ طب در ايران ج ٢ ص ٢٩٤

(٦) عيون الانباء ص ٢٧٩

بن ماسويه ، أن يترجمها من اليونانية الى العربية (١) .

أما فى زمن المأمون فقد بلغ هذا الامر ذروته ، حتى ليذكرون ، أنه كان يعطى وزن مايترجم له ذهباً (٢) ، بل لقد ذكر وجدى : أن المأمون قد جعل بعض شروط الصلح مع اليونانيين اعطاءه نسخة من كتاب نادر الوجود (٣) .

كما أنه قد أرسل جماعة الى بلاد الروم ليأتوه بالمخطوطات . (٤) وأسس دار الحكمة المشهورة ، وكان فيها قسم للترجمة . وبعضهم ينسب دار الحكمة للرشيد ، لكن من المؤكد أنها قد بلغت أوج عظمتها فى عهد المأمون (٥) . . .

كما أن الاهتمام بجمع المخطوطات لم يكن مقصوراً على الخلفاء ، بل كان غيرهم من الاعيان يهتم بذلك أيضاً (٦) . . .

وقد نقلوا الى العربية كتب جالينوس وابقراط وغيرهما . . . ومن المعروفين بالنقل : حنين بن اسحاق ، وحبيش الاعسم (٧) وأصطفان بن بسيل ، وثابت بن قرة ، و اسحاق بن سليمان ، وابن البطريق ، ومنكه الهندى ، وقسطا بن لوقا البعلبكى ،

---

(١) تاريخ الحكماء للقفطى ص ٣٨٠ ، وعيون الانباء ص ٢٤٦ ، وتاريخ طب در ايران ج ٢ ص ٢٠٧/٢٠٨

(٢) عيون الانباء ص ٢٦٠ ، وتاريخ طب در ايران ج ٢ ص ٢٤٢

(٣) دائرة معارف القرن العشرين ج ٥ ص ٦٦٥

(٤) الفهرست لابن النديم ص ٣٥٣ ، وعيون الانباء ص ٢٦٠ ، وتاريخ طب در ايران ج ٢ ص ٢٠٨ وتاريخ التمدن الاسلامى المجلد الثانى ص ١٥٧ .

(٥) تاريخ طب در ايران ج ٢ ص ٣٠٢ ، وغيره .

(٦) تاريخ التمدن الاسلامى المجلد الثانى ص ١٥٧ ، وتاريخ طب در ايران ج ٢ ص ٢٠٧/٢٤٢ والفهرست لابن النديم ص ٣٥٣/٣٥٤ .

(٧) و لعل بعض ما ترجمه حبيش ، قد نسب الى حنين ، بسبب اشتباه الاسمين حين القراءة بسبب عدم نقط الكلمات فى السابق ، حتى قيل : من جملة سعادة حنين صحبة حبيش له فان اكثر ما نقله حبيش نسب الى حنين . راجع : تاريخ مختصر الدول لابن العبرى ص ١٤٥/١٤٦ وتاريخ التمدن الاسلامى المجلد الثانى ص ١٦٠ .

وابن دهن،وغيرهم كثير ،فراجع الباب التاسع من عيون الانباء للاطلاع على اسماء الكثيرين منهم . . .

المشتغلون بالطب فى عصر الترجمة :

أما الذين كانوا يمارسون الطب فى عصر الترجمة ، فقد كان اكثرهم من غير المسلمين . . . و أكثرهم من نفس أولئك الذين كانوا يهتمون بالترجمة الى اللغة العربية . . .

وقد اشتهر فى ذلك العصر من هؤلاء آل بختيشوع ، ابتداء من جرجيس الذى استقدمه المنصور من جنديشابور ، ثم ولده بختيشوع ، الذى استقدمه الرشيد ، (١) و جعله كبير ورئيس الاطباء ، ثم ابنه جبرئيل ، ثم ابنه بختيشوع ، الذى غضب عليه الواثق فاعاده الى جنديشابور وصادر كل مايملك . ثم عاد فطلبه منها ، فوصلها بعد موت الواثق . . . فاحتفى به المتوكل ، ثم يأتى عبيدالله بن بختيشوع .

وهناك من مشاهير أطبائهم : يوحنا بن ماسويه،الذى عينه المأمون رئيساً لبيت الحكمة سنة ٢١٥ ، و قسطابن لوقا البعلبكى ، و ثابت بن قرة ، و سعيد بن يعقوب ،وغيرهم كثيرون . . .

بين الشهرة . . . والواقع :

لقد اشتهر الجنديشابوريون فى بادئ الامر بصناعة الطب ، بشكل ليس له مثيل ، وكان لتأييد الحكام لهم نصيب وافر من هذه الشهرة التى حصلت لهم ، وفى مقام التدليل على مدى هيمنة غير المسلمين فى مجال الطب ، وانبهار الناس بهم

(١) وقيل استقدمه المهدى لمعالجة ولده الهادى ، ثم عاد الى بلده ؛ فاستقدمه هارون راجع : مجلة الهادى سنة ٢ عدد ٢ ص ٥٢ .

وتبعيتهم لهم ، ولاسيما الجندي شابوريين منهم نذكر القصة التى رواها أو صنعها الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ .

وهى على النحو التالى :

يقول الجاحظ :

كان أسد بن جانى (١) رجلا طبيباً ، وفى فترة ما توقف عمله ، وكسدت سوقه ، فقال له أحد الاشخاص : الاوبئة كثيرة فى هذه السنة ، وقد انتشرت الامراض كثيراً بين الناس ، وأنت رجل عالم ، ولك صبر وأناة ، كما وأنك خدوم للناس ، صاحب لسان ، وعارف بأحوال الناس . . . ومع كل هذا فما هو السر فى كساد سوقك ؟ !

فأجاب : أولا : اننى مسلم ، والناس قبل أن اكون طبيباً ، بل وقبل أن أخلق ، يعتقدون : أن المسلم لايكون طبيباً ناجحاً . . .

وثانياً : ان اسمى (أسد) فى حين يجب أن يكون اسمى صليبا ، أو مرابل ، أو يوحنا ، أو بيرا . . . و كنيتى : ابو الحارث . فى حين أنها يجب أن تكون : أبا عيسى ، أو أبو زكريا ، أو أبو ابراهيم . . . وأرتدى عباءة من الكتان الابيض (٢) . فى حين أنه كان يجب أن ألبس عباءة من الحرير الاسود (٣) نعم . . هكذا أصبح الناس

(١) لانعرف عن هذا الرجل الا ما ذكره عنه الجاحظ ، ولاندرى انه كان شخصية حقيقية أو مخترعة للجاحظ ليعبر عن مفهوم معين بهذا الاسلوب الطريف .

(٢) قال فى عيون الانباء ص ٦٥٤ : « لما فتح الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب الكرك أتى الى دمشق موفق الدين يعقوب بن سقلاب النصرانى ، وهو شاب على رأسه كوفية ، وتخفيفة صغيرة وهو لابس جوخة ملوطة زرقاء ، زى أطباء الفرنج ، وقصد الحكيم موفق الدين بن المطران وصار يخدمه ويتردد اليه لعله ينفعه ؛ فقال له : هذا الزى الذى أنت عليه ما يمشى لك به حال فى الطب فى هذه الدولة بين المسلمين ؛ وانما المصلحة أن تغير زيك ، و تلبس عادة الاطباء فى بلادنا ، ثم أخرج له جبة واسعة عنابية وبقياراً مكملا ، و أمره أن يلبسهما » انتهى . . . و هذا يدل على تغيير الزى السابق المشار اليه فى المتن.

(٣) البخلاء ص ١٢١ ط سنة ١٩٦٠ وتاريخ طب در ايران ج٢ ص ٢٠٤ ومجلة الهادى سنة ٢ ـ عدد ٢ ص ٦٢ .

يعتقدون فى غير المسلمين ، و بالاخص الجنديشابوريين منهم ، كما أرادوا هم لانفسهم وأراد لهم الحكام المتسلطون .

وقد كان العلماء يلومون الخلفاء و الوزراء فى تعظيمهم النصارى للتطبب ، كما قدمنا . . .

ولكننا لو راجعنا الوقائع التاريخية ، وأردنا ان نحكم عليها حكم المنصف والمتجرد عن كل هوى وتعصب ، فاننا نجد :

أنه لم يكن لدى الاطباء غير المسلمين تلك البراعة الخارقة للعادة فى صناعة الطب ، وان كان لهم الفضل فى نقل تراث الامم الاخرى الى لغة الاسلام . .

و كمثال على ذلك نذكر : أن سلمويه يعتبر يوحنا بن ماسويه مثلا و هو أشهر طبيب فى عهد المأمون من أجهل خلق الله بمقدار الداء والدواء (١)

كما أن أبا قريش (٢) قد كان عند المهدى : «نظير جرجس بن جبرائيل فى المرتبة ، بل اكبر منه حتى تقدمه فى المرتبة ، وتوفى المهدى و استخلف هارون الرشيد ، وتوفى جرجس ، وسار ابنه (أى بختيشوع) تبع أبى قريش فى خدمة الرشيد . (٣) »

ولكن التجليل والتعظيم ، والصيت الواسع كان لبختيشوع ، دون ابى قريش .. كما أننا نجد أن هذا الصيت العظيم للاطباء من غير المسلمين ، قد أثر على التاريخ كما يظهر ذلك من ملاحظة الموسوعات ، و كتب التراجم . فانهم يهتمون جداً فى ترجمة الاطباء غير المسلمين ويطنبون فيها كثيراً . أما الطبيب المسلم الحاذق

الهادى سنة ٢ عدد ٢ ص ٦٢ .

(١) تاريخ الحكماء ص ٣٨٥ وعيون الانباء ص ٢٣٧ .

(٢) يقال : ان المهدى كناه بهذا اشارة الى عظمته التى جعلته بمنزلة أب للعرب كلهم حين يكون أبا لقريش ـ راجع عيون الانباء ص ٢١٦ .

(٣) عيون الانباء ص ٢١٦ .

العظيم فان ترجمته لاتتجاوز الاسطر القليلة، الا اذا كان مثل الرازى، وابن سينا اللذين لايمكن تجاهلهما . . .

يكفى أن نذكر : أننا نلاحظ: انهم يترجمون الزهراوى الذى اعتمد عليه الاوروبيون فى الطب الجراحى وغيره لم يترجم الا بثلاثة أسطر ، وكذا بالنسبة لعلى بن العباس وقد أشرنا الى ذلك فيما تقدم .

وقد بدا أن أهل جنديشابور كانوا مغرورين بأنفسهم جداً ، وقد تجاوزوا الواقع فى تصوراتهم لقدراتهم الحقيقية ، حتى ليقول القفطى :

«ان الجنديشابوريين كانوا يعتقدون أنهم أهل هذا العلم ، ولايخرجونه عنهم وعن أولادهم وجنسهم»(١):

نعم . . . ولكن نجم جنديشابور قد أفل ، واشعاعها قد خبا، بنبوغ مهرة الاطباء، افذاذ الفن وأساطينه من المسلمين ـ وما أكثرهم . . . وآخر من ورد اسمه كرئيس لمستشفى جنديشابور هو سابور بن سهل المتوفى سنة ٢٥٥ (٢) .

وآخر وقعة ورد فيها اسم جنديسابور هى مابين سنة ٢٦٢ ـ ٢٦٥ حيث يذكرون أن يعقوب بن ليث الصفار قد جعل جنديشابور مقراً له ، حينما تأهب لفتح خوزستان (٣)

---

(١) تاريخ الحكماء ص ١٧٤ ومجلة الهادى السنة ٢ عدد ٢ ص ٦٢ فى مقال للدكتور محمدى بعنوان : جامعة جنديشابور .

(٢) راجع : الفهرست لابن النديم ص ٤١٣ .

(٣) تاريخ الطبرى مطبعة الاستقامة ج٨ ص٣٤ وعنه فى مجلة الهادى سنة ٢ عدد٥٦ مقال الدكتور محمدى ومعجم البلدان ج٢ ص١٧٠ و١٧١ وفيه أن يعقوب بن الليث مات بها سنة ٦٥ وقبره بها . .

حركة التأليف ، وازدهار الطب عند المسلمين :

وكانت العلوم فى فترة حركة الترجمة تنضج شيئاً فشيئاً لدى المسلمين، وبدأت منذ عصر الترجمة حركة التأليف شيئاً فشيئاً ، ونشطت كثيراً فى النصف الثانى من القرن الثالث ،وبدأدورالترجمة بالتراجع والتقلص بنسبة ازديادالنشاط العلمى والتأليفى فى البلاد .

ويظهر : أن التأليف الاسلامى قد بدأ من النصف الاول من القرن الثالث ، حيث نجدهم يذكرون بعض المؤلفات لعلى بن ربن الطبرى وغيره من الاطباء المسلمين،الذين عاشوا فى القرن الثانى ومطلع القرن الثالث ، هذا. . . انلم نقل: ان الحارث بن كلدة ـ أول مسلم ألف فى الطب . . . على فرض ثبوت ذلك . . . كما اشرنا اليه فيما تقدم . . . (١)

والمهم هنا هو أننا نلاحظ :أن المسلمين قدعنوا بالطب عناية فائقة ، ونبغ منهم علماء كبار ، وجهابذةأفذاذأنسوا من كان قبلهم ، و مهدوا السبيل لمن جاء بعدهم ، وعلى أساس نظرياتهم ،وابتكاراتهم، ومنجزاتهم كانت النهضةالكبرى فى القرن العشرين،اى الرابع عشر الهجرى..فهم وحدهم آباءهذاالعلم ـ كماكانوا آباء غيره من العلوم ـ فى العصرالحديث .

كما أننا نجد : أن بغداد مقرالخلافة العباسية لم تعد هى المركز الطبى الوحيد ، فانانقسام الدولة الاسلامية الى ممالك صغيرة مستقلة قدحمل معه ظاهرة تكون مراكز كثيرة للعلوم الطبية فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى ، كغزنة ، والقيروان ، و مصر وغيرها؛الامرالذى هيأ الجو لظهور نوابغ فى هذا العلم فى مختلف أرجاء الدولة الاسلامية . . . ومهد السبيل لتخرج أعداد هائلة من الاطباء

(١) وقد الف اسحاق بن حنين كتاب : تاريخ الاطباء (الفهرست لابن النديم ص ٤٢٩) ولعله من أول من صنف فى موضوع تاريخ الطب ، ان لم يكن هوالاول . . .

من مختلف الاختصاصات. ومن ثم انتاج اعداد ضخمة جداً من المؤلفات فى هذا العلم، لم يستطع المؤلفون فى التراجم و الموسوعات حتى احصاء اسمائها ، مع شدة عنايتهم بذلك ، واصرارهم عليه. .وعلى مؤلفات المسلمين ، و منجزاتهم العلمية كانت النهضة الطبية المعاصرة ، كما سنشير اليه . . . ونستطيع أن نجمل مظاهر الحضارة الاسلامية فى المجال الطبى وأثر المسلمين فى النهضة الطبية الكبرى فى العناوين و البحوث التالية :

المؤلفات الطبية ، وأثرها فى النهضة الاخيرة :

يقول الدكتور فيليب حتى : «فى القرن العاشر للميلاد ظهر أطباء مسلمون من المرتبة العالية أغنوا بمؤلفاتهم التراث الطبى فى الشرق وفى الغرب. ،وكان معظم أولئك الاطباء من الفرس انما كانوا يؤلفون كتبهم باللغة العربية» . (١)

و عن كتاب القانون لابن سينا يقول : «و قد ترجمه الى اللاتينية جرارد الكرمونى فى طليطلة فى القرن الثانى عشر ، فاحتل بذلك محل الكتب المدرسية الطبية السابقة ، وظل كتاباً مدرسياً قروناً عديدة .

أما فى الشرق فقد ظل كتاب القانون فى الطب المرجع الاوحد فى الطب، الى أن حل محله الكتب الطبية العصرية التى ظهرت فى القرن التاسع عشر » (٢)

اما محمد الخليلى، فيقول : انه قد نشر من كتاب القانون طبعة عربية فى روما سنة ١٥٩٣ م وفى بولاق مصر سنة ١٨٧٧م وفى الهند سنة ١٣٢٣ م .

وظهرت له فى أوربا عدة شروح ، وترجمت أجزاء أخرى منه الى اللغة الافرنسية ، والالمانية ، والانجليزية ، وغيرها من لغات أوربا ، كما ترجمت الى التركية ، والفارسية .

وبالجملة :فقد كان القانون من أجل الكتب التى تدرس فى جامعتى (مونبليه)

(١) موجز تاريخ الشرق ص الادنى ١٩٢ .
(٢) المصدر السابق ص ١٩٤ .

و (لوفان) الى أواسط القرن السابع عشر ، كما كان البرنامج الطبى فى قيناسنة ١٥٢٠ م وفى فرنكفورت سنة ١٥٥٨ م أكثره على القانون، وعلى المنصورى .

قال العلامة ساربورى فى كتابه : تاريخ العلم: كان كتاب القانون ذلك المعلم الطبى العظيم توراة الطب ، أى دستوره المقدس .

وقال الدكتور (ماكس مايرهوف) فى كتابه : تراث الاسلام : ان ابن سينا قد جمع فى قانونه تراث اليونان الى اختبار العرب ، فكان اسمى مابلغه من التنظيم العلمى العربى . ثم قال فى موضع آخر : والمرجح أنه لم يوضع فى تاريخ الطب كتاب عنى العلماء بدراسته كهذا الكتاب ، أى القانون .

ولكن منذ القرن السابع عشر الى التاسع عشر وضعت كتب افرنجية زاحمت القانون فى نفوذه ، وان كان تأثيره لم ينقطع تماماً . . . (١) انتهى .

والخلاصة : ان أوربا قد ظلت قروناً عديدة وكتب الشيخ الرئيس مرجعها الوحيد فى الدراسة الطبية والفلسفية (٢). وكان ابن سينا يلقب فى أوربا بملك الاطباء ، و ظل كتابه يدرس الى سنة ١٦٥٠ م فى جامعة لوون فى بلجيكا ، و منبلييه فى فرنسا (٣) ..

و يقول فيليب حتى عن كتاب «الملكى» لعلى بن العباس : انه الكتاب الوحيد الذى نقله الصليبيون الى اللغة اللاتينية . و قد ظل كتابا مدرسياً فى الشرق و الغرب الى ان حل محله الكتاب الذى وضعه ابن سينا ، و هذا أشبه بموسوعة طبية» (٤).

---

(١) راجع : معجم أدباء الاطباء ج ١ ص ١١٦ .

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ١١٥ .

(٣) تاريخ طب درايران ج ٢ ص ٥٦٩ .

(٤) موجز تاريخ الشرق الادنى ص ١٩٣ وراجع : تاريخ التمدن الاسلامى المجلد الثانى ص ١٩٩ .

ويذكر گوستاف لوبون : أن كتاب الملكى قدترجم سنة ١١٢٧ وطبع فى سنة١٥٢٣ م (١) .

كما أن كتاب الحاوى للرازى قد ترجم الى اللاتينية ، و طبع مراراً « يستعمل ككتاب مدرسى فى المعاهد الطبية الاوربية ،ان علم الرازى وفضله على العلوم الطبية يرفعان من قدره ، ويجعلانه يحتل مرتبة بين عظماء المفكرين الخلاقين فى أوربا الوسيطة . .»(٢)

وعلى كل حال . . فان كتب الرازى قدبقيت مدة طويلة جزءاً من الكتب الدراسية حتى القرن السابع عشر. وكذلك كتب ابن سينا ، ويوجد بها فرمان لمدرسة دارالفنون مؤرخ فى سنة ١٦١٧ ميلادية(٣) .

ولم يقتصر الامر على كتاب الحاوى من مصنفات الرازى ؛ بل ان اكثر مصنفاته قد ترجمت الى اللاتينية وطبعت مراراً ابتداء من سنة ١٥٠٩ ميلادية(٤)

اما گوستاف لوبون فقد أجمل ما تقدم بقوله : « لقد ترجمت كتب ابن سينا الى مختلف لغات الدنيا ، وبقيت حوالى ستة قرون تعتبر اصول و مبانى الطب ، كما أن مدارس الطب ، وخصوصاً دارالفنون فى فرنسا وايطاليا كانت تقتصر على تدريس كتبه ، ولم يمض خمسون سنة ، على خروج كتبه من الدراسة فى فرنسا . .

و لايقصر عن ذلك اهتمام الاروبيين بكتب الرازى ترجمة وتدريساً . وهناك كتب ابن رشد الطبية التى طبعت مراراً فى أوربا، وكذلك كتاب على بن عباس ...

واكثر من ذلك ، فان كل الجراحين الذين جاؤا بعد القرن الرابع عشر للميلاد قد اعتمدوا ـ كما يقول هالر ـ على كتب الزهراوى الاندلسى (المعروف

(١) تمدن اسلام وعرب ص ٦١١ .
(٢) راجع : موجز تاريخ الشرق الادنى ص ١٩٣ .
(٣) راجع : تمدن اسلام وعرب ص ٦١٠ .
(٤) المصدر السابق . . .

بالبقاسس) المتوفى سنة ١١٠٧ ميلادية،صاحب كتاب:التصريف لمن عجز عن التأليف ، وقد اخترع هذا العالم بنفسه كثيراً من آلات الجراحة ، و بحث عن تفتيت الحصاة بشكل كامل ، مع أن هذا يعد «غلطاً» من الاعمال الجديدة ، وأول طبعة لكتابه باللاتينية كانت سنة ١٤٩٧ و آخرها سنة ١٨٦١ ميلادية الخ كلامه (١).

و هناك أيضاً كتاب التيسير لابن زهر الاندلسى ، الذى عاش فى القرن السادس للهجرة ، وقداستفاد منه الافرنج فى نهضتهم الحديثة(٢) ويقول بروكلمان عن كتاب الزهراوى المنسوب الى الزهراء ضاحية فى قرطبة ، و المتوفى سنة ١٠٢٣ : «والحق أن الاجيال التالية احتفلت احتفالا خاصاً بالجزء المفرد للجراحة فى هذا الكتاب بما يشتمل عليه من وصف مفصل للالات الجراحية ، فنقل الى اللاتينية فى القرن الخامس عشر ، ونشر فى طبعات عدة» (٣) .

هذا . . وبمراجعة بسيطة الى لوائح مؤلفات الاطباء المسلمين و الفروع التى تطرقوا اليها يعرف الى اى حد بلغ الطب عندهم فى تشعباته وفروعه المختلفة . . . ويكفى أن نذكر أن البعض يعتبر أنه بعد أن شرع المسلمون يعملون مستقلين، برز عطاؤهم المبتكر بصورة خاصة فى حقل التطبيب،وفى الرياضيات والجغرافيا.(٤)

وقد فاته أنهم قد برز عطاؤهم المبتكر فى غير ذلك من العلوم أيضاً كالكيمياء وغيرها ،و قد يكون من بينها ما أبدعوا فيه أكثر من ابداعهم فى هذه العلوم التى أشار اليها .

وأخيراً . . . فان گوستاف لوبون يقول : بما أن الكتب الطبية العربية قد

(١) تمدن اسلام وعرب ص ٦٠٩ -٦١٤ بتصرف وتلخيص . .

(٢) تاريخ التمدن الاسلامى ، المجلد الثانى ص ٢٠٠ .

(٣) تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٣١٤ .

(٤) موجز تاريخ الشرق الادنى ص ١٩١ .

ترجمت عموماً الى اللغات الاوربية ، فانها لم تتعرض للضياع كثيراً ، كما كان الحال بالنسبة لسائر الكتب (١) .

ولكن الحقيقة هى : أن من يراجع كتب الموسوعات والتراجم يجد أسماء آلاف من الكتب الطبية فيها ـ وهم لم يذكروا الا قسماً محدوداً منها ـ ولم يوجد لها فى هذه الايام عين ولا أثر ، فليراجع على سبيل المثال : كتاب : كشف الظنون ، وعيون الانباء ، وتاريخ الحكماء ، والفهرست لابن النديم وغيرها ليجد أن معظم الكتب الطبية الاسلامية ولا تعرف الاسماء عدد محدود منها .

بعض منجزات المسلمين الطبية :

انه لا ريب فى أن الطب كان يعتبر فى شرق البلاد الاسلامية وغربها من أرفع العلوم شأناً ، وأسماها مقاماً ، كما أشار اليه البعض (٢) .

كما أنه لاريب فى أن للمسلمين بحوثاً عميقة فى الطب ، وحصلوا على نتائج كبيرة فيه(٣) وقد طوروا علم الطب ، وفن الجراحة الى أعلى الدرجات(٤) .

وبقيت أوربا تعتمد على تصانيفهم فى الجراحة حتى الازمنة المتأخرة ، وكذا استعمالهم البنج فى الجراحة ، وغير ذلك كثير . . . وقد اكتشفوا الكثير من المعالجات التى لاتزال متداولة الى اليوم (٥) .

كما أن الرازى هو أول من استعمل السبيرتو ، والفتيلة ذات الطرفين فى معالجة الجراح ، كما أنه أول من استعمل الماء البارد فى الحمى الدائمة(٦) .

---

(١) تمدن اسلام و عرب ص ٦٠٨

(٢) تاريخ الشعوب الاسلامية لبروكلمان ص ٣١٤

(٣) تمدن اسلام وعرب ص ٦٠٨

(٤) مختصر تاريخ العرب ص ٢٨٣ . و تمدن اسلام وعرب ص ٦١٦

(٥) راجع : تمدن اسلام وعرب ص ٦١٦

(٦) تمدن اسلام وعرب ص ٦٠٩

قال محمد الخليلى عن الرازى : « هو أول من اكتشف زيت الزاج المسمى اليوم حامض الكبريتيك ، ويدعى فى اللغةالعربية الزاج الاخضر ، وكان قبلا يسمى زيت الرازى ، وقداستخرجه من كبريتات الحديد ، وطريقة استعماله لا تزال مستعملة كما هى ، وهو أول من استخرج الكحول « أى السبيرتو » ، واستحضرها من الموادالنشوية والسكرية المختمرة : وهوأول من عرف الجدرى وعزل المصابين به فى مستشفاه ، وأمر بعزلهم فى البيوت . وهو أول من عرف الامراض السارية ، وهو أول من اخترع الخلال المعروف عند أطباء العرب ، وهو أن يثقب الجلد ، ويمررفيه خيط غليظ ليسيل الصديد من الدنبلة ، أو أى ورم آخر . . . انتهى » (١) .

وعلى كل حال فان فى اكتشاف الرازى للسبيرتو ، وأسيد السولفوريك يكون قد أسدى خدمة جلى للطب (٢) .

أما الفتائل ذات الطرفين ، والمشار اليها آنفاً ، فانها كانت لاتزال مستعملة الى أواسط النصف الاول من القرن الرابع عشر الهجرى .

كما أن الرازى هو أول من شرح تشعبات الاعصاب فى الرأس والرقبة بشكل واف وواضح ، وهو أول من أجرى عملية خياطة جرح المعدة بواسطة المصران المعوج فى الغنم ، كما أنه أول من اكتشف الطب المفصلى ، واستعمل القطن (٣) .

ويقول فيليب حتى : « . . . وقد ألف الرازى أقدم كتاب طبى يميز فيه سريرياً بين الحصبة والجدرى ، ولسنا نعلم : أن الاغريق أو غيرهم من الشعوب توصل الى هذه المعرفة قبل عهد الرازى » (٤) .

---

(١) معجم ادباء الاطباء ج ٢ ص ٧٤

(٢) تاريخ طب در ايران ج ٢ ص ٤١٤

(٣) راجع : تاريخ طب در ايران ج ٢ ص ٤٢٨ و ٤٢١

(٤) موجز تاريخ الشرق الادنى ص ١٩٢ ، وراجع تاريخ التمدن الاسلامى المجلد الثانى ص ٢٠٣

ويضيف : « ان علم الرازى وفضله على العلوم الطبية يرفعان من قدره ويجعلانه يحتل مرتبة بين عظماء المفكرين الخلاقين فى أوربا الوسيطة . »(١)

و لست أدرى أين هؤلاء العظماء الخلاقون فى أوربا الوسيطة ؟ ! و هل كان فى أروپا آنذاك عظيم ؟ ! أو ليست أوربا لاتزال تعتمد على علم الرازى وأمثاله من علماء المسلمين حتى الامس القريب ؟ ! . .

أو ليس يقولون ؟ ان محمد بن أحمد الحتاتى الذى نشأ فى القاهرة ، والمتوفى سنة ١٠٥٢هـ قد : «رحل الى الروم، ومكث بهامدة طويلة ، ولم يسعفه الدهر بمايروم ، فتنقل فى المدارس حتى صار رئيس الاطباء فى اسكى سرايا ثم رجع الى القاهرة ؟ (٢) »

و يدعى فيليب حتى : أن من مبتكرات كتاب الملكى لعلى بن العباس «اشارة الى وجود الحركة الدموية الشعرية ، والى أن الطفل عند الولادة لايخرج من تلقاء نفسه ، بل بفضل تقلصات عضلية الرحم (٣) »

وقد فاته أن الحقيقة هى: أن الامام الصادق عليه السلام هو أول من نبه الى حقيقة الدورة الدموية و شرحها و أوضحها بشكل واف وكامل ، كما أثبته محمد الخليلى فى كتابه : «طب الامام الصادق عليه السلام» (٤) وقرر أنه قد سبق هارفى، الذى لايزال الكثيرون يهللون ويكبرون ويهتفون باسمه على أنه هو مكتشف الدورة الدموية ،وقد سبق بها غيره . . .

المنجزات الطبية لابن سينا :

وعن ابن سينا و قانونه فى الطب ، نجدهم يقولون : ان من حسنات

(١) موجز تاريخ الشرق الادنى ص ١٩٣ .
(٢) معجم أدباء الاطباء ج ٢ ص ٥٥ تأليف محمد الخليلى .
(٣) موجز تاريخ الشرق الادنى ص ١٩٣ .
(٤) طب الامام الصادق (ع) ص ٣١/٣٠

هذا الكتاب : أنه يميز بين التهاب المنصف الصدرى (الحيزوم) وبين ذات الجنب ، وينص كذلك على أن السحاق ينتقل بالعدوى ، وأن عدوى الامراض تسرى بواسطة الماء والتراب» (١) .

قال الاستاذ محمد الخليلى : «لقد امتاز الرئيس ابن سينا على أبقراط وأرسطو و جالينوس بدقته فى مناقشة الحالات المرضية ، ومهارته فى فن التشخيص، ومبحث أسباب الامراض .

فهو أول من وصف الالتهاب السحائى ، أى البرسام الحاد ، وميزه عن سائر الامراض الحادة المصحوبة بالهذيان . وقد كان ذلك يشتبه على اليونانيين، وهو أول من أوضح أن التهاب البلورا «ذات الجنب» ، و التهاب الرئة «ذات الرئة» قد تنتج عنهما أعراض سرسامية ، وأن التهاب السحايا فى تلك الحالات يعتبر نذيراً بالموت .

وهو أول من أجاد فى شرح أمراض الجهاز التنفسى ، وأتقن وصف الامراض العصبية . وله الفضل فى ابتكار كثير من طرق العلاج النفسانى .

وهو أول من اختص بالقول : بأن الحصبة اكثر ما تكون عدواها فى الربيع والخريف ، وأنها اكثر وقوعاً فى هذين الفصلين ، وأن الاطفال اكثر اصابة بهما . وهو أول من وصف علاج البواسير بالشق .

وهو أول من اكتشف اندعام عضلات العين ، وأدخل من أنواع العقاقير الطبية فى العلاج كثيراً لم يكن مستعملا من ذى قبل .

وهو أول من اكتشف الطفيلية أى الدودة الموجودة فى الانسان المسماة اليوم فى اصطلاح الطب الحديث «انكلستوما» و قد ذكرها فى فصل ديدان المعدة ، من كتاب القانون . وقد اعاد اكتشافها «زوبينى» الايطالى فى القرن التاسع عشر (اى القرن الثالث عشر الهجرى) ، أى بعد اكتشاف ابن سينا بتسع

(١) موجز تاريخ الشرق الادنى ص ١٩٢ .

قرون ، و قد أخذ جميع مؤلفي الغرب بهذا الرأي في مؤلفاتهم الحديثة سيما في مؤسسة (روكفلر) معترفين لابن سينا بالفضل في سبقه .

وهو أول من اكتشف الالة المسماة اليوم (الوارنية) وهي الالة المستعملة لقياس الاطوال بالدقة المتناهية .

و هو أول من شرح قلب الجنين ، وقسمه الى الاقسام المعروفة عندنا اليوم ، ووصف الثقب الموجود في الجدار الفاصل بين الاذنين ، و قال : ان هذا الثقب يسد حالا عندما يتنفس المولود لاول مرة ، وبذلك تبتدىء الدورة الدموية الرئوية . . .» (١)

وما قاله ابن سينا في تشريح العين ، ووصف عضلات الحدقة مطابق تماماً لما توصل اليه الطب في هذه الايام ، كما أنه قد أدرك أهمية عصب العين ، وهو أول من تنبه لذلك فيما نعلم . .

كما أن ما ذكره ابن سينا عن مرض السل ، ومرض آسم (وهو الربو) هو نفس ما توصل اليه أطباء اليوم (٢)

ويقول جرجي زيدان و كذلك هم يقولون : « أما ما أحدثوه من عند انفسهم رأساً ؛ فالاحاطة به من الامور الشاقة التي يعسر تحقيقها ، فنذكر ما ثبت عندنا حدوثه على سبيل المثال :

من ذلك : أنهم أحدثوا في الطب آراء جديدة ، تخالف آراء القدماء في تدبير الامراض ، وان لم يصلنا الا خبر القليل منها ، مثل نقلهم تدبير اكثر الامراض التي كانت تعالج قديماً بالادوية الحارة على اصطلاحهم الى

(١) معجم أدباء الاطباء ج ١ ص ١١٧/١١٨ .

(٢) تاريخ طب در ايران ج ٢ ص ٥٨٩ و٥٩٢ وفي ص ٦٠٠ ـ ٦٠٥ يذكر بعض ما ذكره ابن سينا مما لايزال معترفا به حتى الان وأيدته التجارب الحديثة .

التدبير البارد ، كالفالج ، و اللقوة ، والاسترخاء ، وغيرها . . . والعرب (١) اول من استخدم المرقد (البنج) فى الطب . . . وهم أول من استخدم الخلال... وقد وجد محققوا الافرنج أن العرب (٢) اول من استخدم الكاويات على نحو استخدامها اليوم ، وأنهم أول من وجه الفكر الى شكل الا ظافر فى المصدورين ، ووصفوا علاج اليرقان ، و الهواء الاصفر . و استعملوا الافيون بمقادير كبيرة لمعالجة الجنون . ووصفوا صب الماء البارد لقطع النزف . وعالجوا خلع الكتف بالطريقة المعروفة فى الجراحة بردالمقاومة الفجائى. ووصفوا ابرة الماء الازرق ، وهو قدح العين . وأشاروا الى عملية تفتيت الحصاة» (٣) .

ويضيف گوستاف لوبون : أن المسلمين كانوا يقومون بعمليات جراحية لاخراج الماء من العين ،ويقومون باخراج «جليدية» منها . . كما أن الزهراوى قد قدم شرحاً وافياً عن عملية تفتيت الحصاة ، واستعمال الماء البارد لقطع نزف الدم ، واستعمال المكويات والفتائل للجراح ، والكى بالنار .

وكان المسلمون يعتمدون على قوانين الوقاية الصحية كثيراً و معرفتهم بها كانت كاملة ، ويستفيدون من الطبيعة اكثر، ومسألة الحمية التى هى من التعاليم الاكيدة فى الطب الحديث كانت أصلا عندهم ، وكانوا موفقين جداً فى ممارساتهم الطبية بالقياس الى هذا العصر ، بل لم يكن الاطباء المسلمون فى القرن العاشر الميلادى يقدمون من الضحايا بقدر مايقدمه أطباء اليوم ، والاحكام القرآنية ، كالوضوء ، والغسل ، والتيمم ، و تحريم المسكرات ، وترجيح الاغذية النباتية على اللحوم فى المناطق الحارة كانت حكيمة ونافعة جداً فى الوقاية . كما أن

---

(١) و(٢) لم يكن العرب اهل ابداع وعلم قبل الاسلام..والاسلام هو الذى صنع منهم ومن غيرهم المعجزات، والمسلمون هم اكتشفوا فى مجال الطب و فى غيره ،وحققوا اعظم المنجزات . . .

(٣) تاريخ التمدن الاسلامى ، المجلد الثانى ص ٢٠٢/٢٠٣ .

التعاليم الصحية التي جاءت عن نفس النبي (ص) قد كانت في غاية الدقة و المتانة ، ولا يمكن الاعتراض عليها ، وقد وردت على شكل كلمات قصار يسهل حفظها على كل أحد (١)

الصيدلة :

لقد نبغ المسلمون في الصيدلة ، و اهتموا بالنباتات ، و معرفة خواصها ، وممن نبغ منهم في علم النبات ، ابن الصوري ، وابن البيطار ، وابن أبي أصيبعة ، وغيرهم ، ويقولون ايضاً: انهم هم الذين اخترعوا فن الصيدلة ، وأنشأوا حدائق نظامية لدراسة علم النبات والاعشاب في بغداد ، وغيرها من المدن (٢). وقد أدخل المسلمون في المادة الطبية كثيراً من أنواع الاعشاب والمعادن ، مما لم يكن معروفاً لغيرهم . (٣)

وكان رشيد الدين ابن الصوري ، المتوفى سنة ٦٣٩ ، صاحب كتاب الادوية المفردة الذي استقصى فيه ذكر الادوية المفردة ، و ذكر فيه أدوية اطلع على معرفتها ، ومنافعها لم يذكرها المتقدمون (٤) ـ كان رشيد هذا ـ يخرج لدرس الحشائش في منابتها ، و يستصحب مصوراً معه الاصباغ و الليق على اختلافها ، وتنوعها ، ويتوجه الى المواضع التي بها النبات في جبل لبنان وغيره من المواضع ؛ فيشاهد النبات ويحققه ، ويريه المصور ؛ فيعتبر لونه ، ومقدار ورقه ، و أغصانه وأصوله ، ويصور بحسبها بالدقة .

ثم انه سلك في تصوير النبات مسلكاً مفيداً ، و ذلك أنه كان يرى النبات للمصور في ابان نباته وطراوته فيصوره . ثم يريه اياه أيضاً ، وقت كماله و ظهور

(١) راجع : تمدن اسلام وعرب ص ٦١٦ و٦١٥ و٦١٤ بتصرف .
(٢) مختصر تاريخ العرب ص ٢٨٣ ، وراجع تاريخ التمدن الاسلامي المجلد الثاني
(٣) دائرة معارف القرن العشرين ج ٥ ص ٦٦٦ .
(٤) عيون الانباء ص ٧٠٣ .

بزره ، فيصوره تلو ذلك . ثم يريه اياه أيضاً فى وقت ذواه ويبسه ، فيصوره ، فيكون الدواء الواحد شاهده الناظر اليه فى الكتاب وهو على أنحاء مايمكن أن يراه فى الارض ، فيكون تحقيقه له أتم ، ومعرفته له أبين(١) ، قال زيدان : وذلك غاية ما يفعله الباحثون فى هذا العلم اليوم(٢) .

ويقول ابن أبى أصيبعة : « واطلع رشيدالدين ابن الصورى أيضاً على كثير من خواص الادوية المفردة ، حتى تميز على كثير من أربابها ، و أربى على سائر من حاولها ، واشتغل بها »(٣) .

و الظاهر أن ابن الصورى كان من الشيعة ، لانه من أهل صور فى جبل عامل ، الذى كان شيعياً من قديم الايام .

وعلى كل حال : . . فقد كان للمسلمين : فضل كبير فى الصيدلة ، وقد بذلوا الجهد فى استجلاب العقاقير من الهند وغيرها ، منذ أيام يحيى بن خالد البرمكى . وهم واضعوا أسس فن الصيدلة ، وهم أول من اشتغل فى تحضير الادوية والعقاقير ، فضلاً عما استنبطوه من الادوية الجديدة ، وهم أول من ألّف الاقرباذين (٤) .

وكانوا يعتمدون أولا على اقرباذين سابور بن سهل المتوفى سنة ٢٥٥هـ حتى ظهر أقرباذين أمين الدولة ابن التلميذ ، المتوفى ببغداد سنة ٥٦٠ هـ .(٥)

وفى حقل النبات لابد وأن نذكر هنا ابن البيطار الذى راح يقوم هو

(١) عيون الانباء ص ٧٠٣ ، و راجع تاريخ التمدن الاسلامى ، المجلد الثانى ص ٢٠٥ .

(٢) تاريخ التمدن الاسلامى ، المجلد الثانى ص ٢٠٥ .

(٣) عيون الانباء ص ٧٠٠

(٤) عن طبقات الاطباء ج ١ ص ١٨٣ .

(٥) عيون الانباء ص ٣٧١ ، و تاريخ الحكماء ص ٢٠٧ ، والكلام قد كان هنا لجرجى زيدان فى تاريخ التمدن الاسلامى المجلد الثانى ص ٢٠٣

بذاته بدراسة النبات فى اسبانيا ، وشمال افريقيا ، ومصر ، وسورية ، وآسيا الصغرى ، وقد ذكر فى كتابه ١٤٠٠ نبتة ، منها مئتان جديدة ، لاعهدللناس بها من قبل(١) .

وعلى كتاب ابن البيطار المالقى فى النبات ، والفريد فى بابه كان معول أهل أوربا فى نهضتهم الحديثة ، كما يقوله جرجى زيدان .

كما أنه يقول : ان أسماء العقاقير التى أخذها الافرنج عن العرب لاتزال عندهم باسمائها العربية ، أوالفارسية ، أوالهندية ، كما أخذوها عن العربية(٢) .

بل : « ان أعظم العلماء والنباتيين فى پولندا يعتمدون فى مؤلفاتهم بشكل كامل على مؤلفات ابن سينا ، مثل : شيمون لونج ، عالم النبات البولندى الكبير . . . كما أن البروفسور آنانياچ زايا چوفسكى استاذ جامعة وارشو ، ورئيس اتحاد الشرق الاوسط فى پولندا له تحقيقات قيمة حول كتب ابن سينا وخصوصاً النباتات الطبية فى كتاب القانون(٣) » .

كما أن گوستاف لوبون يقول : « الرقى الطبى عند العرب كان فى فن الجراحة ، وعلائم الامراض ، وأقرباذين الادوية اكثر منه فى غيره ، وقد اكتشفوا الكثير من المعالجات التى لاتزال متداولة الى اليوم ، كما أن اكثر الادوية التى ركبوها لاتزال مستعملة حتى اليوم ، وكذا فان لهم اكتشافات فى كيفية استعمال الادوية ، وبعضها يعد ـ غلطاً ـ من المكتشفات الحديثة . . . الخ (٤) . »

وأخيراً . . . فانهم يقولون : ان المسلمين هم أول من أنشأ حوانيت

(١) موجز تاريخ الشرق الادنى ص ١٩٤/١٩٥
(٢) تاريخ التمدن الاسلامى المجلد الثانى ص ٢٠٣
(٣) تاريخ طب در ايران ج ٢ ص ٦٠٥
(٤) تمدن اسلام وعرب ص ٦١٦ باختصار

الصيدلة على هذه الصورة(١)، كما أن الشيخ الرئيس ابن سينا قد ذكرالكثير من المواد الطبية ، التى لم تكن معروفةللقدماء ، وهى من مكتشفات ابن سينا نفسه ، والقسم المربوط بالنباتات الطبية المستعملة فى أمراض الكبد ممتاز جداً ، وهو مطابق تماماً مع الطب اليوم ، كما أن آثار الادوية فى الطب من حيث وظائف الاعضاء وقراباذين الادوية صحيحة جداً (٢) .

كما أن الصيدلة تعتمد كثيراً على صناعة الكيمياء ، وقد قطع المسلمون شوطاً كبيراً فى هذا المجال ، الامر الذى مكنهم من اختراع الكثير من الادوية التى لاتزال مستعملة حتى اليوم .

امتحان الصيادلة :

ولقدكان الصيادلة كثاراً ، وشاع الغش منهم فىالادوية ، فدعت الضرورة الى امتحانهم ، واعطاء الاجازات أو المنشورات الى من تثبت أهليته وأمانته وحرمان الاخرين ، ومنعهم من مزاولة هذه الصنعة .

وقد التفتوا الى هذا الامر فىوقت مبكر ، أى من زمن المأمون ، الذى كتب اسماً لايعرف ولا واقع له ، وأرسله الى الصيادلة ليبتاع منهم ، فكلهم ذكر : أن هذا الدواء عنده ، وأخذ الدواء وأعطاه شيئاً من حانوته ، فصاروا الى المأمون باشياء مختلفة ، فمنهم من أتى ببعض البزور ، ومنهم من أتى بقطعة من حجر ، ومنهم من أتى بوبر .

وفى زمن المعتصم قال الافشين لزكريا الطيفورى : « يازكريا ضبط هؤلاء الصيادلة عندى أولى ما تقدم فيه ، فامتحنهم ، حتى نعرف الناصح منهم من غيره ، ومن له دين ، ومن لا دين له . »

فامتحنهم الافشين بمحنة المأمون ، فوقعوا فيما وقعوا فيه أولا ، فكانت

(١) تاريخ التمدن الاسلامى ، المجلد الثانى ص ٢٠٣

(٢) تاريخ طب در ايران ج ٢ ص ٥٧١ و ٥٨٧

النتيجة أن نفى الافشين من وقع فى الفخ عن العسكر ، ونادى المنادى بنفهيم وباباحة دم من وجد منهم فى عسكره (١) .

(١) راجع : عيون الانبـاء ص ٢٢٤/٢٢٥ ، و تاريخ الحكماء ص ١٨٨/١٨٩ ، وتاريخ التمدن الاسلامى ، المجلد الثانى ص ٢٠١ عن ابن العبرى ، وراجع مختصر تاريخ الدول ص ١٤٠/١٤١

الفصل الثالث:

الطب كمظهر حضاري

دراسة الطب عند المسلمين

لقد كان الاطباء يلقون محاضراتهم الطبية على طلابهم فى المستشفيات (١) بالاضافة إلى مرافقتهم لهم فى زياراتهم للمرضى ، حين ممارستهم الطب عملياً . .

و قال ابن ابى أصيبعة : كان أبو الفرج ابن الطيب «يقرىء صناعة الطب فى البيمارستان العضدى ويعالج المرضى فيه ، ووجدت شرحه لكتاب جالينوس على اغلوتن ، وقد قرىء عليه ، وعليه الخط بالقراءة فى البيمارستان العضدى ، فى يوم الخميس الحادى عشر من شهر رمضان سنة ست وأربعمئة» (٢)

وكان ابراهيم بن بكس «يدرس صناعة الطب فى البيمارستان العضدى لما بناه عضد الدولة» (٣) .

وكان ابن أبى الحكم يقعد فى الايوان الكبير فى البيمارستان ، فكان جماعة من الاطباء والمشتغلين يأتون اليه ، ويقعدون بين يديه ، ثم تجرى مباحث طبية ، و يقرىء التلاميذ ، ولا يزال معهم فى اشتغال و مباحثة و نظر فى الكتب مقدار

---

(١) مختصر تاريخ العرب ص ٢٨٣ و ٣٦٩ والتراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية ص ٩٢ وتاريخ التمدن الاسلامى المجلد الثانى ص ٢٠٧ وراجع ص ٢٠٥ .

(٢) عيون الانباء ص ٣٢٣ .

(٣) عيون الانباء ص ٣٢٩ .

ثلاث ساعات (١) .

ومجلس الرازى لتعليم الطب معروف ومشهور ، فقد كان يجلس فى مجلسه، ودونه التلاميذ ، ودونهم تلاميذهم ، ودونهم تلاميذ آخرون ، وكان يجيىء الرجل، فيصف مايجد لاول من يلقاه منهم ، فان كان عنده علم ، والاتعداه الى غيره ، فان أصابوا، والاتكلم الرازى فى ذلك (٢)

وأول مدرسة طبية منفصلة عن المستشفى كانت ـ فيما أعتقد ـ فى سنة ٦٢٢ هجرية قال ابن ابى أصيبعة: « . ولما كان فى سنة اثنتين وعشرين وست مئة ، وذلك قبل سفر الشيخ مهذب الدين عبد الرحيم بن على عند الملك الاشرف وخدمته له ، وقف داره وهى بدمشق عند الصاغة العتيقة، شرقى سوق المناخلين، و جعلها مدرسة يدرس فيها من بعده الطب ، و وقف لها ضياعاً وعدة أماكن ، يستغل ماينصرف فى مصالحها وفى جامكية المدرس، وجامكية المشتغلين بها» (٣).

امتحان الاطباء :

لقد رأينا : أن المسلمين كانوا يمتحنون الاطباء ، ويعطونهم اجازة لممارسة التطبيب ، وممن كان يمتحن الاطباء فى سنة ٣٠٩ هـ ، سنان بن ثابت فى بغداد (٤) ومهذب الدين الدخوار فى مصر (٥) ، وابن التلميذ، المتوفى سنة ٥٦٠ ببغداد (٦)

---

(١) عيون الانباء ص ٦٢٨ .

(٢) تاريخ الحكماء ص ٢٧٣ و عيون الانباء ص ٤١٦ ، وغير ذلك كثير .

(٣) عيون الانباء ص ٧٣٣ .

(٤) تاريخ الحكماء ص ١٩١ ، وعيون الانباء ص ٣٠٢ ، و تاريخ طب در ايران ج ٢ ص ٢٨٢ و ٦٨٦ و تاريخ التمدن الاسلامى المجلد الثانى ص ٢٠١ . و تاريخ مختصر الدول ص ١٦٢ .

(٥) عيون الانباء ص ٧٣١ ، تاريخ التمدن الاسلامى المجلد الثانى ص ٢٠١ .

(٦) عيون الانباء ص ٣٥١ و ٣٥٢ .

ويضيف البعض الى هؤلاء : ابراهيم بن سنان ، وأباسعيد اليمانى (١)

و ذكر فى كتاب : تاريخ البيمارستانات فى الاسلام اجازتين قد بقيتا من القرن الحادى عشر الهجرى ، احداهما ترتبط بالفصد ، و الاخرى ترتبط بالجراحة . (٢)

الاختصاص فى الطب :

لقد كان الاختصاص فى فروع الطب ظاهرة شائعة بين الاطباء المسلمين؛ فهناك الطبيب المختص بالجراحة، وآخر بأمراض العين، وثالث بأمراض النساء ، ورابع بالامراض العقلية ، وخامس فى الاسنان ،وهكذا . . .

النساء والطب :

ولم يكن الطب مقصوراً على الرجال ، بل لقد كان فى النساء أيضاً عالمات فى الطب ، وقد تقدمت الاشارة الى هنيدة ، وزينب الاودية وغيرهما . . . ونزيد هنا: انهم يقولون : ان أخت الحفيد بن زهر الاندلسى وابنتها كانتا عالمتين بصناعة الطب ، و لهما خبرة جيدة بمداواة النساء ، وكانتا تدخلان على نساء المنصور الاندلسى ، ولا يقبل سواهما (٣) .

كثرة الاطباء المسلمين :

ان عدد الاطباء طيلة فترة الحكم الاسلامى كثير جداً لا يمكن حصره ،

(١) تاريخ طب در ايران ج ٢ ص ٦٨٦ و راجع ص ٨١٦ وفيه أن ابراهيم بن سنان قد كلف أباسعيد بذلك ، فكانت النتيجة : أن اجيز ٨٠٠ طبيب وجراح . و لكن الظاهر هو أن الامر قد اشتبه على هذا البعض فخلط بين سنان بن ثابت ، وابراهيم بن سنان كما يظهر من مراجعة : عيون الانباء ص ٣٠٢ وغيره .

(٢) تاريخ طب در ايران ج ٢ ص ٨٢٠ .

(٣) عيون الانباء ص ٥٢٤ ، وتاريخ التمدن الاسلامى المجلد الثانى ص ٢٠١ عنه.

ولااستطاع مؤلفوا الموسوعات والتراجم ، حتى ذكر اسماء أقل القليل منهم...

ويكفى أن نذكر : أنهم قد أحصوا أطباء بغداد وحدها فى زمن المقتدر بالله سنة ٣٠٩ وامتحنوهم؛ فأجيز منهم (٨٦٠) طبيباً، فأعطوهم الاذن فى التطبيب، سوى من استغنى عن الامتحان لشهرته ، وسوى من كان فى خدمة السلطان (١) .

وكان سيف الدولة اذا جلس على المائدة حضر معه أربعة وعشرون طبيباً. وكان فيهم من يأخذ رزقين لاجل تعاطيه علمين (٢). وكان فى خدمة المتوكل ٥٦ طبيباً .(٣)

وكان يخدم فى المستشفى العضدى ٢٤ طبيباً من مختلف الاختصاصات(٤) وحين بنى المعتضد المستشفى، أراد أن يكون فيه جماعة من أفاضل الاطباء واعيانهم، فأمر أن يحضر له لائحة باسماء الاطباء المشهورين حينئذ ببغداد واعمالها ؛ فكانوا متوافرين على المائة فاختار منهم نحو خمسين الخ (٥) .

الخدمات الطبية عند المسلمين :

وكان للمسلمين أيضاً عناية خاصة بالايتام ، والعميان ، والقواعد من النساء فكان لهم رعاية ودواوين خاصة، تحت اشراف مسؤولين عن أمورهم وأحوالهم(٦)

« وكان من الاطباء أو الصيادلة من هو خاص بالجند ، يرافقه فى اسفاره ومنهم من هو خاص بالخلفاء والامراء ، ولهؤلاء رواتب خاصة ، ويعرفون بالمرتزقين ، ومنهم من يطببون العامة، وهم غير مرتزقين (٧) » .

(١) عيون الانباء ص٣٠٢ ، وتاريخ التمدن الاسلامى ، المجلد الثانى ص ٢٠٠ عنه.
(٢) عيون الانباء ص ٦١٠ وتاريخ التمدن الاسلامى المجلد الثانى ص ٢٠٠ عنه .
(٣) تاريخ التمدن الاسلامى ج٢ ص ٢٠٠ عن عيون الانباء ج٢ ص ١٤٠ وفيه :أنهم كانوا من النصارى !!
(٤) عيون الانباء ص٤١٥ .
(٥) المصدر السابق .
(٦) وفيات الاعيان ج ١ ص ٤٩٥ ط سنة ١٣١٠هـ والعيون والحدائق .
(٧) تاريخ التمدن الاسلامى المجلد الثانى ص ٢٠١

وكان لدى المسلمين دار للمجانين ، وصيدليات تعطى الدواء مجاناً فى أيام معينة ، وكان الاطباء يذهبون مع أدويتهم الى الاماكن التى لايمكن بناء مستشفى فيها (١) .

وقد ذكر القفطى وغيره فى ترجمة سنان بن ثابت : أن الوزير على بن عيسى الجراح ـ فى سنة كثرت فيها الامراض والاوباء ـ قد وقّع الى سنان بن ثابت يأمره : بأن يفرد لمن فى الحبوس كلها أطباء يدخلون اليهم فى كل يوم ، ويحملون معهم الادوية والاشربة ، وما يحتاجون اليه من المزورات ويعالجوا من فيها من المرضى .

ووقع اليه توقيعاً آخر ، يأمره بانفاذ متطببين ، وخزانة من الادوية والاشربة يطوفون فى السواد ، ويقيمون فى كل صقع منه مدة ماتدعو الحاجة الى مقامهم ويعالجون من فيه ، ثم ينتقلون الى غيره ، ففعل سنان ذلك (٢) .

كما أن المسلمين قد أنشأوا مانسميه اليوم بالعيادات الخارجية (٣) .

هذا ... ولم يكن كل هؤلاء الاطباء يتقاضى أجره ، بل كان من بينهم من يعمل مجاناً ، فمثلا لقد «كان أبو بكر بن القاضى أبى الحسن الزهرى يطبب الناس من دون أجرة ، ويكتب النسخ لهم (٤) » .

ويلاحظ : أنهم كانوا فى أوائل أمرهم يهتمون بفحص البول ، وبالفصد ، والاستفراغ ، ونحو ذلك ... ولكن هذه المعالجات قد بدأت تتطور نحو الافضل باستمرار ، تبعاً للتقدم والنبوغ الطبى ، الذى كان يتجلى يوماً بعد يوم ، حتى بعث المسلمون فى الطب روحاً جديدة ، كما هو معلوم ومعروف لكل أحد .

(١) تمدن اسلام وعرب ص ٦١٥

(٢) تاريخ الحكماء ١٩٣/١٩٤ ، وعيون الانباء ص ٣٠١

(٣) مختصر تاريخ العرب ص ٢٨٣

(٤) عيون الانباء ص ٥٣٦

المستشفيات :

الرازى . . . و بناء مستشفى :

يقول گوستاف لوبون : لقد بنيت المستشفيات الاسلامية موافقة لاصول حفظ الصحة ، وكانت أحسن من المستشفيات الموجودة فى هذه الايام . وقضية الرازى حينما أراد أن يختار موقعاً للمستشفى معروفة ومشهورة ، فان الطريقة التى استعملها ، يؤيدها اليوم المحققون فى الامراض المعدية ، فان الرازى أمر بعض الغلمان : أن يعلق فى نواح مختلفة من بغداد قطع لحم ، ليرى فى أيّها لايتفسخ اللحم وينتن فى وقت أقصر ، ليكون الموقع الملائم لبناء المستشفى(١) ويقال : ان هذا المستشفى هو المستشفى العضدى .

ولكن ذكر ابن أبى أصيبعة : ان الرازى كان أقدم من عضد الدولة (٢) ، وعليه فلابد وأن يكون الرازى قد أراد بناء مستشفى غير مستشفى عضد الدولة وذلك لان الرازى توفى سنة ٣٢٠ هـ ، وقال الحسن بن سوار بن بابا ، وكان قريب العهد منه : انه توفى فى سنة نيف وتسعين وماءتين ، أو ثلاثمائة و كسر(٣) وعضد الدولة انما توفى سنة ٣٧٢ هـ ، كما هو معلوم .

ولكن قد ذكر القفطى أن الرازى قد توفى سنة ٣٦٤ وعاش فى زمن المكتفى ، وبعض زمن المقتدر(٤) ، وعليه فلا مانع من أن يكون قد شارك فى اختيار موضع المستشفى العضدى ، كما ذكروا .

---

(١) راجع تمدن اسلام و عرب ص ٦١٤ وقضية الرازى مذكورة أيضا فى عيون الانباء ص ٤١٥ وموجز تاريخ الشرق الادنى ص ١٩٢

(٢) عيون الانباء ص ٤١٥

(٣) عيون الانباء ص ٤٢٠

(٤) تاريخ الحكماء ص ٢٧٢ وراجع تاريخ الاطباء والحكماء ص ١٥٣ الترجمة الفارسية .

بعض أحوال المستشفيات :

أما أحوال المستشفيات فى العهد الاسلامى ، فقد تقدم : أن گوستاف لوبون يقول : انهاكانت موافقة لاصول الصحة ، وأحسن من المستشفيات الموجودة فى هذه الايام ، كما أنهم قد شيدوا فى كل مدينة مستشفيات عامة ، كما سنرى (١) .

وكان لكل مرض قاعة أوقاعات خاصة ، يطوفها الطبيب المختص بها ، وبين يديه المشارفون والقوام لخدمة المرضى ، فيتفقد المرضى ، ويصف لهم الادوية ، ويكتب لكل مريض دواءه (٢) .

وكانوا يعالجون جميع المواطنين فى مستشفياتهم ، سواءأكانوا من المسلمين أو من غيرهم ، وكانوا يقومون بعمليات التدفئة للمرضى على أكمل وجه ، ويقدمون لهم المؤن ، والدثار ، وغير ذلك (٣) .

و قال المقريزى عن مستشفى ابن طولون الذى اسّسه سنة ٢٥٩هـ فى القاهرة : « وشرط فى المارستان أن لا يعالج فيه جندى ، ولا مملوك ، وعمل حمامين للمارستان ، احداهما للرجال ، والاخرى للنساء ، حبسهما على المارستان وغيره ، وشرط : أنه اذا جيىء بالعليل تنزع ثيابه ، ونفقته ، وتحفظ عند أمين المارستان ، ثم يلبس ثياباً ، ويفرش له ، ويغدى عليه ، و يراح بالادوية والاغذية والاطباء حتى يبرأ ، فاذا أكل فروجاً و رغيفاً أمر بالانصراف ، وأعطى ماله و ثيابه (٤) » .

---

(١) مختصر تاريخ العرب ص ٢٨٣

(٢) تاريخ التمدن الاسلامى ، المجلد الثانى ص ٢٠٧ ، عن طبقات الاطباء ج ١ ص ١٥٥ .

(٣) تاريخ الحكماء ص ١٩٤ ، وعيون الانباء ص ٣٠٢ و ٣٠١

(٤) الخطط للمقريزى ج ٢ ص ٤٠٥ ، وراجع الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج٢ ص ٢٠٥ / ٢٠٦ والمستشفى لابن طولون ذكر فى كتاب الولاة والقضاة للكندى ص ٢١٦ / ٢١٧

و قال عن المستشفى المنصورى ، الذى بنى فى القاهرة سنة ٦٨٣ هـ :

« . . .ورتب فيه العقاقير والاطباء ، وسائر مايحتاج اليه من به مرض من الامراض ، وجعل السلطان فيه فراشين من الرجال والنساء لخدمة المرضى و قرر لهم المعاليم ، ونصب الاسرّة للمرضى ، وفرشها بجميع الفرش المحتاج اليها فى المرض .

وأفرد لكل طائفة من المرضى موضعاً ، فجعل أواوين المارستان الاربعة للمرضى بالحميات ونحوها ، وأفرد قاعة للرمدى ، وقاعة للجرحى ، وقاعة لمن به اسهال ، وقاعة للنساء ، ومكاناً للمبرودين ، وينقسم قسمين : قسم للرجال ، وقسم للنساء ، وجعل الماء يجرى فى جميع هذه الاماكن .

وأفرد مكاناً لطبخ الطعام ، والادوية ، والاشربة ، ومكاناً لتركيب المعاجين والاكحال ، والشيافات ونحوها ، ومواضع يخزن فيها الحواصل .

وجعل مكاناً يفرق فيه الاشربة والادوية ، ومكاناً يجلس فيه رئيس الاطباء لالقاء درس طب . . . الخ . » وكان وقفه عاماً لكل أحد (١) .

المستشفيات الميدانية

لقد كان لدى المسلمين مستشفيات تستصحبها الجيوش معها ، فقد قال ابن خلكان ، والقفطى عن أبى الحكم عبيدالله بن المظفر المغربى ، المتوفى سنة ٥٤٩ هـ : « وذكر العماد الاصفهانى فى الخريدة : أن أبا الحكم المذكور كان طبيب البيمارستان الذى كان يحمله أربعون جملا ، والمستصحب فى معسكر السلطان محمود السلجوقى حيث خيم». ثم ذكر خدمة ابن المرخم فيه ايضاً طبيباً وفصاداً .(٢)

(١) راجع : الخطط للمقريزى ج ٢ ص ٤٠٦

(٢) وفيات الاعيان ج ١ ص ٢٧٤ ط سنة ١٣٠٩ هـ ، و تاريخ الحكماء ص ٤٠٥ و تاريخ التمدن الاسلامى ، المجلد الثانى ص ٢٠٧ عن الاول وعن : تراجم الحكماء.

ويقول سيدأمير علي . « . . . وكان يرافق الجيش فى ابان المعارك فريق من الاطباء ، و مستشفى حسن التجهيز ، الحقت به نقالات لنقل الجرحى بشكل محفات تنقلها الجمال . وقد استلزم مستشفى الميدان الخاص بكل من الرشيد . والمأمون عدداً كبيراً من الجمال والبغال لنقل الخيام ، والمؤن ، والادوية .

وحتى فى العهود التالية أيام الملوك الضعفاء أمثال السلطان محمود السلجوقى كانت لوازم مستشفى الجيش تنقل على أربعين جملا» (١) .

مستشفيات الطوارى :

ولم تقتصر الخدمات الطبية عند المسلمين على ما ذكر ، بل لقد تعدت ذلك الى ايجاد مراكز للطوارئ فى الاجتماعات العامة . . فقد :

«قال جامع السيرة الطولونية ، وقد ذكر بناء جامع ابن طولون : وعمل فى مؤخره ميضأة : أوخزانة شراب ،جعل فيها الشرابات والادوية ، وعليها خدم، وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث يحدث للحاضرين للصلاة(٢)».

اول مستشفى فى الاسلام :

اننا نستطيع أن نقول : ان أول مكان خصص لنزول المرضى ، و معالجتهم بعد ظهور الاسلام ،كان مسجد الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم فى المدينة منذ عهد الرسول عليه وآله الصلاة والسلام .

يقول الدكتور جواد على وغيره : « وقد كان فى مسجد الرسول موضع يعالج فيه المرضى و الجرحى ، وكان الرسول و الصحابة يتفقدون المرضى النازلين به . (٣) » وسيأتى ان شاء الله فى بحث مداواة المرأة للرجل الاشارة

(١) مختصر تاريخ العرب ص ٣٦٩ .

(٢) الخطط للمقريزى ج ٢ ص ٤٠٥ ، و الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ٢ ص ٢٠٦ .

(٣) المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٨ ص ٤١٢ ، والتراتيب الادارية ج ١ ص ٤٥٣/٤٥٤ ، وتاريخ طب در ايران ج ٢ ص ٧٦٣ عن تاريخ البيمارستانات فى الاسلام ص ٩.

الى خيمة رفيدة ، أو كعيبة بنت سعيد : التى كانت فى مسجد النبى(ص) تداوى فيها الجرحى .

وما ذكر يدل على أن ما ذكره البعض من أن أول مستشفى فى الاسلام هو مستشفى الوليد بن عبدالملك (١) .

لايصح . . . وانما هو غفلة عن حقيقة الحال ، ولعل الوليد : أول من اهتم بتوسعته لاتساع الحالة المادية فى زمنه .

جريمة أموية نكراء ! :

قال ابن قتيبة : « أبو الحسن ، قال : مر سليمان بن عبدالملك بالمجذومين فى طريق مكة ، فأمر باحراقهم ، وقال : لو كان الله يريد بهؤلاء خيرا ما ابتلاهم بهذا الابتلاء (٢) . » وانها حقاً لجريمة نكراء يندى لها جبين الانسان الحر ألماً وخجلا .

هذا . . . ولابأس بالمقارنة بين أفاعيل فراعنة وجبابرة هذه الامة ، والشجرة الملعونة فى القرآن ، وبين أمر الرسول(ص) والائمة(ع) الناس بأن لا يديموا النظر الى أهل البلاء ، فان ذلك يحزنهم . . . وبين ما كتبه على فى عهده للاشتر من الحث على القيام بامور ذوى البؤس والزمنى واجراء الارزاق عليهم ، للاقصى وللادنى على حد سواء ، فراجع (٣) .

---

(١) الخطط للمقريزى ج ٢ ص ٤٠٥ ، وتاريخ اليعقوبى ج٢ ص٢٩٠ ، والتراتيب الادارية ج١ ص٤٥٤و٤٥٥ ، وتاريخ التمدن الاسلامى المجلد الثانى ص٢٠٥ ، والحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ٢ ص ٢٠٥ ، وتاريخ طب در ايران ج ٢ ص ١٤٨

(٢) عيون الاخبار لابن قتيبة ج ٤ ص ٦٩

(٣) نهج البلاغة قسم الكتب ، و البحار ج ٧٧ ص ٢٥٩ و ٢٦٠ عن تحف العقول ص ١٢٦

المستشفيات فى القرنين الاولين للهجرة :

١ـ ثم أنشأ الوليد بن عبدالملك فى سنة ٨٨ هـ مستشفى فى دمشق ، وجعل فيه الاطباء ، وأجرى لهم الارزاق ، وأمر بحبس المجذومين لئلا يخرجوا ، و أجرى عليهم وعلى العميان الارزاق (١) .

٢ـ وكان فى زمن الرشيد دار للمجانين(٢). ولاندرى ! ان كانت قداوجدت قبله ، أو أنه هو الذى أوجدها ، فما جزم به جرجى زيدان ، من أن المنصور هو الذى بناها ، أو الذى خلفه (٣) فى غير محله .

٣ـ ثم أنشأ الرشيد مستشفى فى بغداد ، وعندما أراد البدء به أحضر له بختيشوع (دهشتك) من جنديشابور ، الذى كان رئيس المستشفى هناك ، وعرض عليه أن يتولى هذه المهمة ، لكن دهشتك رفض العرض ، وأشار عليه : أن يقلد هذا الامر لماسويه ، ففعل (٤) .

ويميل البعض الى اعتباره أول مستشفى ، ان لم نعدّ ماصنعه عبدالملك هو المستشفى الاول (٥) .

---

(١) المصادر التى تقدمت قبل الحاشيتين الاخيرتين ، بالاضافة الى : تاريخ الطبرى ج ٥ ص ٢٢٤ ، و نقله فى تاريخ طب در ايران ج ٢ ص ٧٦٣ و ٧٦٤ عن صبح الاعشى ج ١ ص ٤٣١ ، و تاريخ البيمارستانات فى الاسلام ص ١٠ ، و غرر النقائص الفاضحة ، وغرر الخصائص الواضحة ص ٢٤٨

(٢) الكشكول للشيخ البهائى ص ٢١٣ ، وتاريخ التمدن الاسلامى المجلد الثانى ص ٢٠٦ عنه

(٣) تاريخ التمدن الاسلامى ، المجلد الثانى ص ٢٠٦

(٤) تاريخ الحكماء ص٣٨٣/٣٨٤ ، وعيون الانباء ص ٢٤٥ ، وموجز تاريخ الشرق الادنى ص ١٩١/١٩٢ ، والتراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية ص ٩١ ، وتاريخ طب در ايران ج ٢ ص ٩٤ ، و مجلة الهادى سنة ٢ عدد ٢ ص ٥٢ عن الاول

(٥) تاريخ طب در ايران ج ٢ ص ١٥٨

٤ـ وأنشأ البرامكة مستشفى باسمهم ،كان يتولى أمره ابن دهن الهندى(١).

٥ـ وكتب طاهر بن الحسين لابنه عبدالله : « وانصب لمرضى المسلمين دوراً توقيهم ، وقواما يرفقون بهم ، وأطباء يعالجون أسقامهم (٢) . »

٦ـ وكان فى بغداد مستشفى للمجانين هو دير هرقل القديم (٣) .

المستشفيات فى القرن الثالث فما بعده :

ويقول البعض : « ثم مضى قرن بأكمله قبل ان يسمع المرء بانشاء مثل هذه المؤسسة فى العاصمة بغداد من جديد . . . وهو القرن الذى دعى فيه أطباء البيمارستانات المشهورين فى جنديشابور الى قصر الخليفة .

ولعل السبب فى ذلك راجع الى سر من رأى ، التى أصبحت المقام الثانى للخلفاء (٤) . »

وعلى كل حال . . فاننا نجد المسلمين قد اهتموا فى القرن الثالث بانشاء المستشفيات الكثيرة فى مختلف الاقطار ، وكمثال على ذلك نذكر :

١ـ المستشفى الذى أنشأه أحمد بن طولون فى مصر سنة ٢٥٩ أو ٢٦١ حسبما تقدم .

٢ـ وقبل انقضاء القرن الثالث بنيت المستشفيات فى مكة والمدينة .(٥)

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٣٥٦ ، والحضارة الاسلامية فى القرن الرابع ص ٢٠٥ عنه ، و تاريخ طب در ايران ج ٢ ص ٧٧٠ ، وتاريخ التمدن الاسلامى ، المجلد الثانى ص ٢٠٦

(٢) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ٢ ص ٢٠٥ عن كتاب بغداد لطيفور ص ٥٠

(٣) راجع : معجم البلدان للحموى ج ٢ ص ٥٤٠ ، والاغانى ج ١٨ ص ٣٩و٣٠ و الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع ج ٢ ص ٢٠٦ عنه

(٤) التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية ص ٩١

(٥) عيون الانباء ص ٣١٦ .

٣ـ ثم أنشأ بدر ، مولى المعتضد مستشفى فى بغداد (١) .

٤ـ وفى سنة ٣٠٢ هـ أنشأ الوزير على بن عيسى مستشفى آخر ، وقلده سعيد ابن يعقوب الدمشقى ، مع غيره من مستشفيات بغداد، ومكة، والمدينة (٢)

٥ـ وفى ٣٠٦ هـ أنشأ سنان بن ثابت مستشفى السيدة ، وأنشأ المقتدر بيمارستاناً آخر باسمه (٣).. ويقال : ان سنان هذا قد تقلد خمس مستشفيات فى سنة ٣٠٤هـ(٤)

٦ـ وفى سنة ٣١٣ هـ . أنشأ ابن الفرات ، خصم على بن عيسى السياسى مستشفى أسندت رئاسته الى ثابت بن سنان (٥) .

٧ـ ثم أسس أمير الامراء التركى أبو الحسين قبل موته فى سنة ٣٢٩ هـ . مستشفى، أسندت رئاسته الى سنان بن ثابت (٦) .

٨ـ وفى سنة ٣٥٥ أسس معز الدولة مستشفى فى بغداد أيضاً (٧) .

٩ـ وفى سنة ٣٦٨ أسس عضد الدولة المستشفى المشهور فى بغداد. وكان يخدم فيه ٢٤ طبيباً ، من مختلف الاختصاصات ، وقد اسندت رئاسته الى أكثر من ٢٤

---

(١) تاريخ البيمارستانات فى الاسلام ص ١٨٠ و التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية ص ٩١ .

(٢) عيون الانباء ص ٣١٦ وتاريخ طب در ايران ج ٢ ص ٢٨٨ والتراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية ص٩١ و تاريخ التمدن الاسلامى ، المجلد الثانى ص ٢٠٦

(٣) المصادر المتقدمة مع : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ٢ ص ٢٠٧ ، والمنتظم ج ٦ ص ١٤٦ وعيون الانباء ص٣٠٢ وتاريخ الحكماء ص ١٩٤/١٩٥

(٤) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ٢ ص٢٠٦ عن المنتظم ١١٤ .

(٥) عيون الانباء ص٣٠٥ ، والحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ٢ ص ٢٠٧ عن المنتظم ص ٢٣ و التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية ص ٩٢ ، و تاريخ التمدن الاسلامى ، المجلد الثانى ص٢٠٦ .

(٦) التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية ص٩٢ ، والحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ٢ ص ٢٠٧ .

(٧) تاريخ طب در ايران ج ٢ ص٧٧٥ والحضارة الاسلامية فى القرن الرابع ج٢ ص ٢٠٧ والمنتظم ج ٧ ص ٣٣ .

طبيباً على التوالى . (١)

وقدزار الرحالة الاندلسى ابن جبير هذا المستشفى فى بغداد سنة ٥٨٠هـ. وكان لايزال يعمل بنشاط ، ويظهر : أنه لم يتعرض للخراب حين غزا المغول بغداد فى سنة ٦٥٦ هجرية (٢) .

ثم تتابعت المستشفيات فى مختلف البلاد والاصقاع ، بشكل مكثف ، كما يعلم من المراجعة الى المؤلفات والموسوعات ، فراجع على سبيل المثال : تاريخ البيمارستانات فى الاسلام ، و تاريخ طب در ايران ج ٢ ، و الخطط للمقريزى والحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، وغيرذلك . . .

كما أن صاحب كتاب تاريخ طب در ايران ج ٢ ص ٧٨٧ فصاعداً قدأجمل وصف المستشفيات فى البلاد الاسلامية ، فمن أراده فليراجعه . .

(١) تاريخ طب درايران ج٢ ص٧٧٥ ، و تاريخ التمدن الاسلامى ، المجلد الثانى ص ٢٠٧ والتراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية ص ٩٢ ، وكثير من المصادر الاخرى .

(٢) التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية ص ٩٣ .

القسم الثانى

من :

الاخلاق الطبية ... فى الاسلام

الفصل الاول:

الطب... كمسؤلية

أحكام الاسلام

انه لاشك فى أن الله الذى هو خالق كل شيىء . . كما أنه عليم وبصير بكل مافى هذاالكون . . .وعليم بعباده ، وبصير بهم . . كماقال تعالى : «له ملك السماوات والارض ، يحيى ويميت وهوعلى كل شيىء قدير . هو الاول والاخر ، و الظاهر والباطن ، وهوبكل شيىء عليم . هوالذى خلق السماوات والارض فى ستة أيام ، ثم استوى على العرش ، يعلم مايلج فى الارض ومايخرج منها ، وما ينزل من السماء و ما يعرج فيها ، وهومعكم أينما كنتم ، والله عليم بصير» . (١) و الايات فى ذلك كثيرة . .

كذلك . . فانه تعالى رحيم بعباده رؤوف بهم ، لايريدلهم الاالخيروالسعادة، والصلاح ، كما قال تعالى : »هوالذى ينزل على عبده آيات بينات ؛ ليخرجكم من الظلمات الى النور ، وان الله بكم لرؤوف رحيم » (٢) .

و قال تعالى :«بسم الله الرحمن الرحيم . الحمدلله رب العالمين . الرحمان الرحيم.»(١)

---

(١) الحديد ١ ـ ٤ .

(٢) الحديد ٩ .

والايات فى ذلك كثيرة . .

وهكذا . . فانه تعالى اذا شرع لهم أحكاماً تنظم أمور معاشهم ومعادهم ـ بمافى ذلك أحكام القصاص ـ فانمايهدف من ذلك الى تحقيق السعادة والكمال لهم، وحفظهم من الانزلاق فى مهاوى الشقاء والضلال و الضياع ، كما أشارت اليه الاية المتقدمة من سورة الحديد . . .

وحينما سئل الامام الباقر عليه عن سبب تحريم الميتة ،والخمر ، ولحم الخنزير، والدم ، قال : «ان الله تعالى لم يحرم ذلك على عباده ، و أحل لهم ماوراء ذلك من رغبة فيما أحل لهم، ولازهد فيما حرمه عليهم، ولكنه خلق الخلق، فعلم ماتقوم به أبدانهم و مايصلحهم، فأحله لهم، وأباحه لهم: وعلم مايضرهم فنهاهم عنه، ثم أحله للمضطر فى الوقت الذى لايقوم بدنه الابه» (١)

وروى بأسانيد عن الرضا عليه السلام، أنه قال : «وجدنا : أن ما أحل الله ففيه صلاح العباد ، وبقاءهم، ولهم اليه حاجة ، ووجدنا المحرم من الاشياء ولاحاجة(٢) ولاحاجة بالعباد اليه ، ووجدناه مفيداً» .

قال الحر العاملى : والاحاديث فى ذلك كثيرة (٣) .

ويكفى أن نذكر: أن الله تعالى قد اعتبر الاسلام نعمة أنعم الله بها على العباد، و قد أتم نعمته هذه بتنصيب على (عليه السلام) اماماً و قائداً فى يوم الغدير ، قال تعالى : اليوم اكملت لكم دينكم ، و اتممت عليكم نعمتى ، و رضيت لكم الاسلام دينا»(٤) .

---

(١) الكافى ج ٦ ص ٢٤٢ ، والمحاسن ص ٣٣٤ والتهذيب ج ٩ ص ١٢٨ و من لايحضره الفقيه ج ٣ ص ٢١٨ والوسائل ج ١٧ ص ٢ .

(٢) لعل الواوفى قوله «ولا» زائدة .

(٣) الفصول المهمة ص ٥٤١ عن علل الشرايع ، والبحار ج ٦ ص ٩٣ . وراجع علل الشرايع ج ١ ص ٢٥٠ و٢٥٢ .

(٤) المائدة ٣ .

حق التشريع . . . لمن ؟ ! :

واذاكان الله تعالى هو الخالق والمالك لهذا الكون والانسان ، والخبير به والمطلع على كل مافيه من علاقات وروابط ، و العارف بما يصلحه مما يفسده ، فانه سيكون هو فقط الذى يملك حق وضع قانون وتشريع يؤمن لهذا الانسان سعادته و كماله ، ويهيمن على كل حالاته وسلو كه .

و كل من يتصدى لهذا الامر سوى المولى سبحانه وتعالى ، ممن لايعرف عن هذا الكون و الانسان شيئاً يذكر ، فانه يكون خارجاً عن جادة الانصاف ، وعن مقتضيات العقل ، والفطرة . . . بل وظالماً متعدياً أيضاً . . . ولن يستطيع أن يضع النظام الكامل والشامل ، والمطابق لكل مقتضيات وأحوال هذا الانسان ان لم نقل : انه سيضع فى كثير من الاحيان ما يؤدى الى شقائه وبلائه ، ان لم يكن الى دماره وهلا كه .

و كمثال على ذلك نقول : لو أن شخصاً اخترع آلة فى غاية الدقة والتعقيد وتتأثر بما حولها تأثرات مختلفة ، فهل يحق لمن لايعرف حقيقة تركيبها ، وخصائصها : أن يمنع مخترعها عن التصرف فيها ، وعن أن يضع لها نظاماً يحفظ لها سلامتها واستمرارها ، ويحافظ على كل دقائقها وخصائصها ؟ ثم يتصدى هو ـ ذلك الجاهل بها وبكل شىء عنها ، أوبأكثره ـ لوضع ذلك النظام والقانون ؟ ! وهل يمكن أن يمدحه أحد على ذلك ؟ ! وهل ثمة من يتوقف فى توجيه اللوم والتقريع له ؟ ! وهل يمكن أن لا يطالب كل عاقل منصف بايقافه عند حده ، ثم بتغريمه لكل النقائص والخسائر التى نجمت عن طغيانه ذاك ، بالاضافة الى العقاب الرادع والجزاء العادل(١) ، ليكون ذلك موعظة له فى نفسه ، وعبرة لغيره .

(١) فان من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها و وزر من عمل بها الى يوم القيامة .

فالمتحصل من كل ذلك اختصاص حق التشريع بالبارى سبحانه وتعالى ، العالم بكل شيء ، والمهيمن على جميع المخلوقات .

شمولية قوانين الاسلام :

وبعد . . . فلا ريب فى أن التشريعات الالهية والتعاليم القرآنية ، انما تهدف الى تحقيق الكمال والسلامة والهناء والسعادة ـ كل السعادة والهناء ـ لهذا الانسان ، بالاضافة الى تكامل الانسان فى انسانيته ، وفى قربه من الله تعالى ، والفوز برضاه .

وبديهى : أنه كلما كانت النظم أدق وأشمل كلما كانت السعادة والسلامة لهذا الانسان أتم واكمل ، ووصوله الى ذلك الهدف الاسمى أسرع وأيسر .

ومن هنا . . . فقد كانت تعاليم الاسلام وقوانينه دقيقة وشاملة لجميع شؤون الانسان ، ومختلف أحواله وأوضاعه : سياسية كانت ، أو اقتصادية ، أو سلوكية ، أو نفسية ، أو غيرها . . . مما يرتبط بالفرد أو بالمجتمع . . . فكل شيء محكوم لقانون ، ويهيمن عليه نظام ، يوجهه لخير الانسان ، ويجعله فى خدمته .

نعم كل شيء . . . فبالنسبة لشخص الانسان ، نجده لم يغفل حتى عن اكله وشربه ، وقيامه ، وجلوسه ، ومشيه ، ونبرات صوته ، بل لقد تدخل حتى فى اختيار ، ومواصفات البيت الذى يعيش فيه . والثياب التى يلبسها ، وفى كيفية تصرفه بها . . . بل وحتى فى خلجات الانسان القلبية ، وافعاله الجوانحية .

كما اننا نجد : أن الاسلام لم يشرع أى قانون يضر بمكانة الانسان الاجتماعية ، أو بذوقه ، وسجيته ، أو بروحه وحالته النفسية ، أو بصحته البدنية .

وكمثال على ذلك : نشير الى تعاليم الاسلام المتعلقة بتقليم أظفاره ، وترجيل شعره ، وأوامره له بالتنظيف والنطهر ، حتى لقد ورد : ان الله يبغض الرجل القاذورة(١) ، وورد : أن النظافة من الايمان(٢) ، و عنه (ص) : بئس العبد القاذورة (٣) ... بل لقد حرم عليه بعض الالبسة التى تضر بمكانته الاجتماعية وتوجب استهانة الناس به .

الى غير ذلك من الشؤون والاحوال التى يمر بها الانسان أو تمر به ، والتى غفل عنها أى تشريع آخر سوى التشريع الالهى الحق ، لانه صادر عن ساحة الحق سبحانه وتعالى ... حتى ليقول الامام الصادق عليه السلام : « ان عندنا الجامعة ، قلت : (أى الراوى) وما الجامعة ؟ قال : صحيفة فيها كل حلال وحرام ، وكل شيء يحتاج اليه الناس حتى الارش فى الخدش ، وضرب بيده الى فقال : أتأذن يا أبا محمد ؟ قلت : جعلت فداك ، انما أنا لك ، فاصنع ما شئت ، فغمزنى بيده ، وقال : حتى أرش هذا (٤) . »

طبيعية قوانين الاسلام :

ونحن لا نريد أن ندعى هنا : أن شمولية الاسلام هذه قائمة على أساس النص الصريح على كل كلية وجزئية ، فان ذلك أمر متعسر بل متعذر ... وانما تكمن شموليته فى كونه قد نظر الى الانسان ، وأحواله ، وأوضاعه نظرة واعية تتسم بالشمول والدقة ، فقد لاحظ :

---

(١) البحار ج ٧٦ ص ٨٤ و ج ٨٠ ص ١٠٦ عن كنز الفوائد للكراجكى و ج ٩٩ ص ٣٠٣ فقه الرضا ٤٨ و ج ٩٩ ص ٨٤ ، والخصال ج ٢ ص ٦٢٠ ، وتحف العقول حديث الاربع مائة ص ٧٣

(٢) البحار ج ٦٢ ص ٢٩١ عن طب النبى للمستغفرى

(٣) الفصول المهمة ص ٤٤١ ، وطب الصادق ص ١٥ عن الدعائم

(٤) الوسائل ج ١٩ ص ٢٧٢ حديث ١

أولا : شؤونه الثابتة التى لايطرأ عليها تغيير ولاتبديل فى أى من الظروف والاحوال ، فوضع لها قوانين ثابتة ، وأنظمة محددة . . . وذلك من قبيل قوانين الارث، والزواج ، والطلاق ، ونحوها . . . ويمكن أن يدخل فى ذلك جميع الاحكام الثابتة للموضوعات بعناوينها الاولية ، حسب الاصطلاح الاصولى .

ثم لاحظ :

ثانياً : الشؤون التى يطرأ عليها التغيير والتبديل ، ولايمكن أن تكون فى اطار ضابطة معينة وثابتة ، فجعل أصولا وقواعد عامة ، يجرى التغيير والتبديل فى نطاقها .

فهذه القوانين والضوابط ثابتة ، والمتغير هو ما تنطبق عليه تلك القواعد و الاصول .

ويمكن أن يدخل فى هذا الاطار أيضاً سائر الموضوعات التى تعرض لها العناوين الثانوية ، حسب الاصطلاح الاصولى .

ومن هنا . . . فقد كان للاسلام مرونة خاصة بالنسبة لموقفه من الثقافات ، والعلوم التى تفيد المجتمع الاسلامى ، و بالنسبة لشؤون الادارة الداخلية ، وشؤون الامن فى البلاد الاسلامية ، تبعاً للضرورات التى تفرضها الظروف والاحوال الطارئة والمتغيرة .

وقد أعطى ذلك للاسلام قدرة خاصة على استيعاب كل جديد ، وعلى أن يساير التطورات الحضارية المختلفة على مر العصور ، وعلى اتخاذ الموقف المناسب فى الظروف والاحوال والمتغيرات باستمرار ، ولسوف يبقى محتفظاً بهذه القدرة مستقبلياً أيضاً . . . فهو القانون الوحيد ، الذى يستطيع أن يكون انسانياً ، وحضارياً ، وعالمياً ، وأبدياً .

الفقيه . . . وغير الفقيه :

١ـ أما وظيفة الفقيه فليست الا الكشف عن الاحكام الالهية الثابتة لموضوعاتها ، وتطبيق القواعد والكليات الثابتة على مصاديقها المتحولة المتغيرة فالفقيه لايجعل الاحكام الشرعية ، وانما هو يكشف عنها ، أو يطبق القاعدة على موردها .

٢ـ هذا . . . ولاشك في أن الفطرة والعقل والعقلاء يحكمون على من ليس له قدرة الكشف والتطبيق هذه ـ حيث لايمكن الاحتياط(١) ولايمكن العمل به ـ بالرجوع الى الذى يملك هذه القدرة ، و يمارسها فعلا . . . لانه هو المتخصص فى هذه الجهة ، وله خبرات تؤهله لان يكون مرجعاً لمن يفقد هذه الخبرات تماماً . . . كذلك الذى يراجع الطبيب أو المهندس فى مايرتبط بهما من امور الطب والهندسة ، لانه هو لايملك خبرات فى هذين المجالين .

٣ـ كما أن الانسان يفضل بحسب فطرته وسجيته وعقله : الامهر من الاطباء وأصحاب الاختصاصات ؛ ولايراجع غيره الا اذا لم يقدر على الاستفادة منه .

و قد أمر الله تعالى ارشاداً الى ذلك ، فقال : فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون (٢) . . . وقال تعالى أيضاً مشيراً الى ان ذلك مرتكز فى فطرة الانسان وسجيته : هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون (٣) .

٤ـ ومن الجهة الثالثة : فان فطرة الانسان وسجيته ، تدفعه الى أن يهتم بمراجعة من يثق بصدقه واخلاصه من أهل الاختصاصات . . . وكلما كان الامر أهم،

(١) كما فى كثير من الموارد العامة : سياسية ، واجتماعية ، وادارية . . . وغيرها .

(٢) النحل ٤ : ٣

(٣) الزمر ٩

كلمازاد اهتمام الشخص فى أن يجد من يجمع أقصى الشروط الملائمة لانجاح وسلامة العمل الذى يرمى اليه على النحو الاكمل والافضل . .

٥ـ واذاكان الشرع والدين هواعظم قضية يمكن أن تواجه هذا الانسان ؛ لانهاتمس كل شؤون حياته الفردية والاجتماعية، ويتوقف عليها مصيره ومستقبله ، ان دنيا ، وان آخرة . وكل خلل يطرأ ، أوتجاوز يحصل ، فسيؤثر مباشرة على حياة الانسان ومصيره . .

ـ اذاكان كذلك ـ فانه لابدوأن يسعى هذا الانسان الى أن يوفر كل الشروط والضمانات التى تجعله يحصل على اعلى درجات الاطمينان والثقة فى من يفترض فيه أن يكون قائداً ومعلماً ومرشداً له فى هذا السبيل . . . سواء من الناحية العلمية ، أو السلوكية ،أوغيرها من النواحى، التى لها مساس بالمهمة التى يريده لاجلها . . .

وليس ذلك الا الرجل المجتهد العادل ، الذى بنى نفسه من الداخل قبل الظاهر ، والذى يكون ظاهره انعكاساً لباطنه . . الرجل الذى يملك أعظم المهارات والكفاءات العلمية فى هذا المجال . . . الى غير ذلك من مواصفات نص عليها الفقهاء فى كتبهم المعدة لذلك . .

الطب . . . والفقية :

وهكذا . . واذاكان الطب هواحدى تلك المجالات الواسعة التى تخضع للاحكام والتشريعات الاسلامية بشكل مباشر أحياناً ، أوغير مباشر احياناً أخرى.. فان من الطبيعى أن يرجع الطبيب والمريض ، وغيرهما ممن له علاقة فى هذا المجال ـ الى الكتب التى الفها الرجل الاعلم فى التشريع الاسلامى للتعرف على

لاحكام الشرعية باستمرار، لان ذلك يؤثر في احيان كثيرة على مواقفهم وتصرفاتهم بشكل عام . . .

الطب في الاعتبار الشرعي :

لاشك في أن الطب يعتبر وظيفة شرعية ، و واجباً كفائياً ، يعاقب الكل على تركه ، ويسقط عنهم بقيام بعضهم به ، ويمكن أن يؤيد ذلك بـ :

١ـ ماروى عن الصادق عليه السلام . قال: لايستغني اهل كل بلد عن ثلاثة يفزع اليه في امر دنياهم ، وآخرتهم ؟ فان عدموا ذلك كانوا همجا : فقيه عالم ورع ، وأمير خير مطاع ، وطبيب بصير ثقة . (١)

٢ـ وماروى عن ابى عبدالله عليه السلام ،قال : كان المسيح عليه السلام يقول: ان التارك شفاء المجروح من جرحه شريك جارحه لامحالة ، وذلك أن الجارح أراد فساد المجروح ، والتارك لاشفائه لم يشأصلاحه ؛ فاذالم يشأصلاحه ؛ فقد شاء فساده اضطراراً الخ . (٢)

هذا كله . . .عداعن أن الاسلام يعتبر المؤمنين اخوة ، يجب الاهتمام بأمورهم، وقضاء حاجاتهم ، ومعونتهم ،وأن يعضد بعضهم بعضاً ، فـي مواقـع الابتلاء ، وان يفيد المؤمن أخاه ، وأن ينفس كربته الى غير ذلك ممالايمكن حصره . . .و لا يمكن أن تكون الناحية الطبية مستثناة من ذلك في أى من الظروف والاحوال، ان لم تكن من أجلى مصاديق الكثير من تلك الاوامر المتضافرة والمتواترة . .

أهمية الطب اسلامياً :

وعدا عن كون الطب مسؤولية دينية تصل الى حد الوجوب الكفائى . . .

(١) تحف العقول ص ٢٣٨، والبحار ج٧٨ ص٢٣٥، و سفينة البحار ج ٢ ص٧٨ .

(٢) روضة الكافى ص ٣٤٥ ، والفصول المهمة ص ٤٠٤ ، و الوسائـل ج ٢ ص٦٢٩ و ج ١١ ص٤٠١ .

فانه يكفى للتدليل على الاهمية الخاصة لهذا العلم بنظر الاسلام ، أنه قد اعتبره هو وعلم الاديان ـ ومعهما غيرهما ، كما فى بعض النصوص ـ هما العلمان اللذان ينبغى التوجه اليهما ، والعمل فى سبيل الحصول عليهما ؛ فعن أمير المؤمنين عليه السلام :

العلم علمان : علم الاديان ، وعلم الابدان (١) .

وعنه (ع) : العلم ثلاثة : الفقه للاديان ، والطب للابدان ، والنحو للسان (٢) . .

وبلفظ الكراجكى فى جواهره : العلوم أربعة : الفقه للاديان : والطب للابدان ، والنحو للسان ، والنجوم لمعرفة الازمان (٣) . . .

رسالية الطب :

وعدا عن كون الطب مسؤولية دينية ؛ فانه أيضاً ضرورة اجتماعية انسانية ، ورسالة أخلاقية ، ومسؤولية عقلية . . ف :

١ـ هو ضرورة انسانية اجتماعية ؛ حيث يفترض فى الانسان أن يساهم فى دفع المسيرة الانسانية نحو تحقيق أهدافها وتطلعاتها ، وآمالها بالسعادة والهناء ، و بالوصول الى أعلى مراتب الكمال الانسانى المنشود ، حيث تختفى كل عوامل ومظاهر الشقاء ، والتعب والعناء . . .

---

(١) طب الامام الصادق عليه السلام ص ١٧ و قضاء امير المؤمنين (ع) للتسترى ص ١٤٤ .

(٢) تحف العقول ص ١٤٤ ، وطب الامام الصادق عليه السلام ص ١٧ والبحار ج ٧٨ ص ٤٥ .

(٣) طب الامام الصادق ص ١٧ وكنز الفوائد للكراجكى ص ٢٤٠ والبحار ج ٢ ص ٢١٨ .

٢ـ وهو مسؤولية عقلية ؛ حيث لابد منه لاجل بقاء النوع الانسانى ، وللتخفيف من شقاء وبلاء وآلام هذا الانسان . . .

٣ـ و هو بالتالى رسالة أخلاقية . . لامجال للمراء أو التشكيك فيها ، حيث تعبر عن سمو و كمال نفسى يرضى النفوس و يطمئنها ويريحها . . و لاجل ذلك لانجد أحداً يعذر الطبيب الذى يمتنع عن معالجة مريضه ـ اذا كان يقدر على ذلك اذا تعلل بعدم او بقلة ما يبذل له من مال ، ونجد الناس كلهم يعتبرون ذلك الطبيب فاقداً للاخلاق النبيلة والفاضلة . . .

الطب والتجارة

وهكذا يتضح : أن الطب بنظر الاسلام ليس حرفة يهدف منها الى جمع المال ، والحصول على حطام الدنيا وانما هو رسالة انسانية و مسؤولية شرعية بالدرجة الاولى . . .

لان الحرفة التى يهدف صاحبها الى أن يستخدمها فى الحصول على المال... تجعل لصاحبها الخيار فى أن يتعامل مع هذا أو مع ذاك ، اذا وجد أن تعامله هذا يدر عليه نفعاً يرضيه . . .وان لايتعامل معه اذا شاء ، حينما لايجد فى تعامله ذلك مايرضى جشعه ، و يشبع جوعه و نهمه . . .

وليس ذلك للطبيب قطعاً ؛ فان التارك لشفاء المجروح من جرحه شريك جارحه لامحالة كما تقدم . .

ولايملك ان يتساهل أو ان يتعلل ، انتظاراً للاجرة أو لزيادتها ، أو لاى سبب آخر . . كما أنه لايجوز له أن يتساهل أو أن يتوانى فى معالجته له . . كما سنرى ان شاء الله تعالى . . .

الاجرة للطبيب :

ولكن ما قدمناه لايعنى : أن لايأخذ الطبيب أجراً أصلاً ، فان ذلك معناه أن يكون كثير من الاطباء عالة على الاخرين ، كما أن ذلك يستدعى عدم اقبال الناس على تعلم هذا العلم ، واتقانه ، فضلا عن النبوغ والابداع فيه ، وهو بالتالى يحرم الانسانية من عنصرهام ، بل هومن اهم عناصر راحتهاوسعادتها ، بل وتقدمها فى مختلف مدارج الكمال ، والعظمة والمجد .

ولاجل ذلك نجد : ان الامام العسكرى عليه السلام يعطى الطبيب الذى فصده تخت ثياب ، وخمسين ديناراً (١)

و أعطاه أيضاً فى مرة أخرى ـ على الظاهر ـ ثلاثة دنانير ، و كان الطبيب نصرانيا (٢)

وفى روايةعن على عليه السلام : مادون السمحاق (٣) أجر الطبيب . (٤)

وعن ابن عباس : أن النبى (ص) احتجم وأعطى الحجام أجره (٥) . والروايات الدالة على جواز أخذ الحجام للاجرة كثيرة جداً ،وهى موجودة فى كثير من المصادر .

---

(١) الوسائل ج ١٢ ص ٧٥ عن الخرائج والجرائح .

(٢) الوسائل ج ١٢ ص ٧٤ و فى هامشه عن الخرائج والجرائح ص ٢١٣ وعن اصول الكافى ص ٢٨٥ .

(٣) السمحاق : قشرة رقيقة فوق عظم الرأس .

(٤) التهذيب للطوسى ج ١٠ ص ٢٩٣ ح ١٨ والوسائل ج ١٩ ص ٢٩٤ و ٣٠٤

(٥) الموطأ مع تنوير الحوالك ج ٣ ص ١٤١ و الطب النبوى لابن القيم ص ٤١ و فى هامشه عن الترمذى ،و ابى داود، و ابن ماجة،والمصنف لعبد الرزاق ج ١١ ص ٣٠ وفى هامشه عن البخارى كتاب الاجارة ٣٠٨/٤ و عن مسلم ايضاً .

الأن ثمة رواية عن سماعة تخالف ذلك ، وقد حملها الشيخ على الكراهة(١).

وقال العلامة قدس سره في المنتهى : « . . يجوز الاستيجار للختان ، وخفض الجوارى ، والمداواة ، و قطع السلع ، و أخذ الاجرة عليه . لا نعلم فيه خلافاً ؛ لانه فعل مأذون فيه شرعاً ، يحتاج اليه ، ويضطر الى فعله ؛ فجاز الاستيجار عليه كسائر الافعال المباحة . و كذا عقد الاستيجار للكحل ، سواء كان الكحل من العليل أو الطبيب . وقال بعض الجمهور : ان شرط على الطبيب لم يجز» (٢) .

وأما بالنسبة للدواء ، فقد روى محمد بن مسلم، عن أبى جعفر عليه السلام، قال : سألته عن الرجل يعالج الدواء للناس ؛ فيأخذ عليه جعلا ؟ فقال : لا بأس به(٣).

التجارة : .. والسطحية :

وواضح : أنه اذا أصبح الهدف من تعلم الطب هو الحصول على المال والنوال، وخلا من الاحساس الانسانى ، والدفع العاطفى ، ومن المسؤولية الشرعية والاخلاقية... فانه عدا عن أن ذلك يمكن أن يجعل من هذا العلم ـ كما جعل من كثير غيره ـ وبالا على الانسان وعلى الانسانية . . . لابد وأن تقل فيه نسبة الابداع والعمق، بحيث لاينسجم ذلك مع حجم العمل والعاملين فيه . . . و لايبقى ثمة ما يؤهله لان يقدم للامة وللاجيال المزيد من المعارف الدقيقة والهامة ، ويفتح أمامها آفاقاً جديدة

(١) راجع : قرب الاسناد ص ٥٢ و٥٣ ، و الاستبصار ج ٣ ص ٥٨ـ٦٠ و٦٤ و الوسائل ج ١٢ ص ٧١ـ٧٤ و فى هوامشه عن : التهذيب ج ٢ ص ١٠٧ و ١٠٩ وعن فروع الكافى ج ١ص٣٦٠ وعن الفقيه ج ٢ ص ٥٢ و٥٦ وعن البحار ج ١٠ ص ٢٦٧ وعن العلل ، وغير ذلك كثير . . .

(٢) البحار ج ٦٢ ص ٦٥ .

(٣) من لايحضره الفقيه ج ٣ ص ١٠٧ والبحار ج ٦٢ ص ٧٢ والوسائل ج١

فى مجالاته المختلفة... كما . . وتصبح المؤسسات الطبية مجرد حرف جافة لاتهتم باسعاد هذا الانسان بقدر ماتهتم بسلبه ونهب ثرواته ،ومن ثم بزيادة شقائه وبلائه . .

نعم . . وحينئذ تبدأ عملية العد العكسى لازدهار العلوم ، ويتجه المتعلمون ـ فى الاكثر ـ الى السطحية ، ثم الى الجهل الذى يستتبع الكثير من التدليس و التزيف. . .ثم أن يفقد الانسان أخلاقياته وانسانيته،وليتحول الى موجود خسيس و رذل ، و يكون كالبهيمة المربوطة ، همها علفها،على حد تعبير أمير المؤمنين عليه السلام .

حبس الجهال من الاطباء :

ولاجل ما تقدم . . نجد أن الاسلام قد وقف فى وجه هذه الظاهرة بقوة وحزم ، حتى لقد روى عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله :

«يجب على الامام أن يحبس الفساق من العلماء ، والجهال من الاطباء الخ . . .» .(١)

نعم . . .يجب ذلك ؛ لان ممارسة الجاهل لاعمال الطب ، كثيراً ما تزيد من آلام ومتاعب المريض ،وتعرض راحته ، ومستقبله ـ ان لم نقل تعرض حياة الكثيرين ـ للاخطار الجسام . . وكما أن فساق العلماء يفسدون الدين ، فان جهال الاطباء يفسدون الابدان ، ويسلبون الانسان الراحة والسعادة فى الدنيا ، فيجب ردعهم ، والوقوف فى وجههم،بكل قوة وشدة . . .

ضمان الجاهل لما يفسده :

وانطلاقاً مما تقدم . . . فان الجهال اذا مارسوا الطب ، وأفسدوا ما يفترض

(١) من لايحضره الفقيه ج ٣ ص ٢٠ و التهذيب للشيخ ج ٦ ص ٣١٩ و النهاية للشيخ ايضاً ص ٦٢ ، والوسائل ج ١٨ ص ٢٢١ ،وقصار الجمل ج ١ص ٢٩٩ .

فيهم أن يصلحوه ؛ فانهم يكونون مسؤولين عن افسادهم ذاك عقلا ، وعرفاً ، وشرعاً ، لقاعدة : الضمان على كل متلف. . . فاذا أدى ذلك الى الموت : فانه يضمن دية الخطاء، كما هو معلوم .

و ذلك أمر مفروغ عنه بين الفقهاء « بلا خلاف فـى ذلك » بل فى التنقيح : « الطبيب القاصر المعرفة ضامن لما يتلفه بعلاجه اجماعاً »(١) .

كما أن هذا الامر مجمع عليه لدى أهل العلم من غير شيعة اهل البيت عليهم السلام (٢) .

كما أنهم قد رووا عنه(ص) قوله : «من تطبب ولم يعلم منه الطب (قبل ذلك) فهو ضامن» . وبمعناه غيره . (٣)

وفى نص آخر : «من تطبب ولم يكن بالطب معروفاً، فاذا أصاب نفساً فما دونها؛ فهو ضامن» (٤) . . . والتعبير بتطبب ظاهر بأنه يريد : أنه قد دخل فيما فيه عسر و كلفة ، ، من قبيل تشجع ، وتصبر ، ونحو ذلك . . .

---

(١) راجـع : الجواهر ج ٤٣ ص ٤٤ و ٤٥ و المسالك كتاب الديات ، موجبات الضمان ، و الرياض ج ٢ ص ٥٣٧ و مبانى تكملة المنهاج ج ٢ ص ٢٢٢ ، وعن مجمع البرهان كتاب الديات ص ١ . فان هؤلاء جميعاً قد نصوا على عدم الخلاف فى ذلك ، أو نقلوا الاجماع عن التنقيح .

(٢) الطب النبوى لابن القيم ص ١٠٩ .

(٣) كنز العمال ج ١٠ ص ١٦ ، ورمز الى : مستدرك الحاكم ، و سنن أبـى داود ، وابن ماجة ، والبيهقى ، والنسائى ، و الطب النبوى لابن القيم ص ١٠٧ عن بعض من ذكر ، والتراتيب الادارية ج ١ ص ٢٦٦ عن الدارقطنى وغيره .

(٤) التراتيب الادارية ج ١ ص ٢٦٦ ، وكنز العمال ج ١٠ ص ١٧ عن ابن عدى فى الكامل ، وابن السنى ، والبيهقى ، وابى نعيم فى الطب . وراجع المصنف لعبد الرزاق ج ٩ ص ٤٧٠ .

ضمان العارف بالطب :

هذا . . ولاريب في ضمان العارف بالطب ، اذا قصر في اداء مهمته ، سواء أخذ البراءة من المريض ، أو من وليه ، أم لا ، و سواء عالجه باذن منه ، أم لا . و الظاهر عدم الخلاف في ذلك . هذا . . .عدا عما يترتب على ذلك من مسؤولية شرعية .

والظاهر :أن ماورد: من أن علياً عليه السلام قد ضمن ختاناً قطع حشفة غلام(١) . قد كان من أجل تقصيره في أداء وظيفته . . .

قال ابن ادريس ، «والرواية هذه صحيحة لاخلاف فيها» (٢) ، و قد حمل الرواية على صورة التفريط ؛ فراجع .

وأما اذا لم يقصر في أداء مهمته ، وكان حاذقاً ماهراً ، وتلف المريض ، أو تعطل بعض أعضائه بسببه ، فان كان المريض صغيراً ، أو مجنوناً ، وكان الطبيب قد أخذ البراءة من وليه ، أو كان المريض بالغاً عاقلا وقد أخذ البراءة منه . . فانه لايضمن .

وقد روى عن أبي عبدالله عليه السلام ، أنه قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من تطبب أو تبيطر ، فليأخذ البراءة من وليه ، والافهو له ضامن» . (٣)

وضعف سندها منجبر بعمل المشهور . بل ادعي عليه الاجماع (٤) . وليس هذا

---

(١) التهذيب للشيخ ج ١٠ ص ٢٣٤ ، والسرائر ص ٤٢٩ ، والكافي ج ٧ ص ٣٦٤ ، والوسائل ج ١٩ ص ١٩٥ ، والمسالك ، كتاب الديات ، بحث موجبات الضمان ، والرياض ج ٢ ص ٥٣٩ ، وقصار الجمل ج ١ ص ٤٠٤ ، ومباني تكملة المنهاج ج ٢ ص ٢٣٣ ،

(٢) السرائر ص ٤٢٩ .

(٣) الكافي ج ٨ ص ٣٦٤ ، والتهذيب ج ١٠ ص ٢٣٤ ، والوسائل ج ١٩ ص ١٩٥ ؛ والنهاية للشيخ ص ٧٦٢ ، وقصار الجمل ج ١ ص ٤٠٤ ، والمسالك ، كتاب الديات ، في موجبات الضمان . والشرايع نفس البحث ج ٤ ص ٢٤٩ والرياض ج ٢ ص ٥٣٧ ، ومباني تكملة المنهاج ج ٢ ص ٢٢٢ وبمعناه عن علي عليه السلام في المصنف لعبدالرزاق ج ٩ ص ٤٧١ .

(٤) راجع: المسالك ج ٢ كتاب الديات باب موجبات الضمان و الجواهر ج ٤٣ ص ٤٦/ ٤٧ .

من الابراء قبل ثبوت الحق ،وانما هومن قبيل الاذن فى الشيىء ، المقتضى لعدم ثبوت الحق ، مضافاً الى أنه لولم يجز التبرى لم يقدم طبيب على علاج (١) .

وهل يكفى اذن المريض أووليه للطبيب بالعلاج من دون ابراء فى عدم ضمانه؟ ربما يقال: انه لايضمن حينئذ،وذلك «لان الضمان يسقط بالاذن ،ولانه فعل سائغ شرعاً» فلايستعقب ضماناً (٢) .

ولكن هذه الحجة غير كافية،فان كونه سائغاً شرعاً لايوجب سقوط الضمان(٣)، والسائغ هو المعالجة لاالاتلاف،وهو لم يؤذن به..،وأما قوله:ان الضمان يسقط بالاذن... فيمكن أن يكون له وجه ، اذا قلنا : انه من قبيل اقدام المريض،أووليه على تحمل نتائج عمل الطبيب ،و رضاهم بها ، لو اتفق وقوعها . . . فهو من قبيل الابراء . . . ولكن الظاهر : هو أن اذنهم لايدل على عدم مطالبتهم بالدية و الضمان فى صورة التلف ، فهم يأذنون بالعلاج استناداً الى أن الشارع قد ضمن لهم حقهم فى صورة اتلاف الطبيب لمريضه،اولعضو منه ،فتبقى قاعدة:الضمان على من أتلف على حالها . . ولاجل كون ذلك مرتكز الدى العرف نجد:أنه لو أخذ البعض ولده الى الطبيب،فعالجه، فمات بسبب ذلك العلاج؛فانه يشتكى عليه،ويعتبره مسؤولاعن اتلاف ولده(٤)

و أما الاستدلال على الضمان هنا بالاجماع،فهوفى غير محله ، لان الظاهر، أوعلى الاقل يحتمل:أنه اجماع على القاعدة ، التى هى : الضمان على من أتلف ؛ فلايكون حجة . .

و كذا لايصح الاستدلال باطلاق رواية تضمين على عليه السلام للختان . . . على الضمان هنا ،لانها قضية فى واقعة لااطلاق فيها ،فيحتمل قوياً أن يكون تضمينه

(١) راجع : الجواهر ج ٤٣ ص ٤٨ و٤٧ وهامش الوسائل ج ١٩ ص ١٩٥ والشرايع ج ٤ ص ٢٤٩ .

(٢) الشرايع ج ٤ ص ٢٤٩ والجواهر ج ٤٣ ص ٤٥ .

(٣) الجواهر ج ٤٣ ص ٤٦ ومثل له بالضرب للتأديب .

(٤) راجع : الجواهر ج ٤٣ ص ٤٦ .

له بسبب تفريطه وتقصيره في أداء مهمته ، كما أشرنا اليه سابقاً . وقد أشار الى ما ذكرناه أيضاً في الجواهر ، فراجع .

ولو أقدم الطبيب الحاذق على العلاج من دون اذن أحد ، استناداً الى وجوب ذلك عليه ، لرواية : التارك شفاء المجروح من جرحه شريك جارحه لا محالة ، وذلك مقدمة لحفظ النفس المحترمة ، فتلف المريض بسببه ، فانه يضمن أيضاً ، لان التلف سبب للضمان ، فهو من قبيل تأديب الصبي ، ونحوه . (١)

روايتان لاربط لهما بالضمان :

وفي رواية «قلت (أي للامام الصادق عليه السلام) : انا نبط الجرح ، ونكوى بالنار ؟ قال : لا بأس ، قلت : نسقي هذه السموم: الاسمحيقون ، والغاريقون ؟ قال : لا بأس : قلت : انه ربما مات ، قال : وان مات (٢) » .

وعن حمدان بن اسحاق ، قال : كان لي ابن ، وكانت تصيبه الحصاة ، فقيل لي : ليس له علاج الا أن تبطه ، فبططته ، فمات ، فقالت الشيعة : شركت في دم ابنك قال : فكتبت الى أبي الحسن ، صاحب العسكر ، فوقع ـ صلوات الله عليه ـ يا أحمد ليس عليك فيما فعلت شيء ، انما التمست الدواء ، وكان أجله فيما فعلت(٣) .

فالرواية الاولى ليست ناظرة للضمان ولا لعدمه . . . و انما هي ناظرة الى جواز الاقدام على ذلك وعدمه . . . وان أدى الى موت المريض.

وفي الثانية كان الممارس لبط الجرح هو الولي نفسه ، وتعليله عليه السلام بقوله : انما التمست الدواء و كان أجله فيما فعلت ، ليس تعليلاً لعدم الضمان ، ليؤخذ بعموم التعليل ، بل هو ناظر لنفي العقاب الاخروي ، حيث اعتبر الشيعة :

(١) راجع : المسالك والجواهر ج ٤٣ ص ٤٥ .

(٢) روضة الكافي ص ١٩٣ والفصول المهمة ص ٤٠٢ والبحار ج ٦٢ ص ٦٧ والوسائل ج ١٧ ص ١٧٧ وطب الامام الصادق ص ٥٩

(٣) الكافي ج ٦ ص ٥٣ والبحار ج ٦٢ ص ٦٨

أنه قد شرك فى دم ابنه . . .هذا بالاضافة الى عدم وضوح سند الرواية .

والخلاصة : أنه لابأس بأن يأخذالطبيب الحاذق البراءة من ولى المريض ، اذا كان المريض صبياً أومجنوناً ، أو من المريض نفسه ،اذا أراد أن يقدم على العلاج الذى يحتمل فيه الخطر على المريض،حتى لايتعرض للضمان الذى ينشأ عن التلف المحتمل .

الفصل الثانى :

التلميذ...
قبل أن يصير طبيباً ...

مواصفات طالب العلم الطبى :

أما عن مواصفات طالب العلم الطبى ، فلعلها لاتحتاج الى بيان ، اذا اتضح لدينا حقيقة نظرة الاسلام الى المريض ، ومكانته عند الله ، وما أعدّ الله له ، كما يتضح ذلك بالمراجعة الى الروايات الكثيرة جداً ، ولامجال لعدها وحصرها . . . اذا اتضح لدينا أيضاً حقيقة المسؤولية الملقاة على عاتق الطبيب تجاه المريض ، وواجباته تجاهه ، والتى سنتحدث عنها فى الفصل التالى ان شاء الله تعالى .

ونستطيع أن نجمل هنا مواصفات طالب العلم الطبى بكلمة واحدة ، وهى أن يتحلى بجميع مواصفات الانسان المسلم ، الذى يمثل الاسلام وعياً وعمقاً ، وخلقاً ، وسلوكاً ، ويعيش أهداف الاسلام ، وتعاليمه ، وقيمه ، بكل جهات وجوده ، ومختلف شؤون حياته .

وقد ذكر القدماء بعض المواصفات لطالب العلم الطبى ، لا نرى بأساً بالاشارة اليها هنا ، مادامت توافق مقتضيات الفطرة السليمة ، والاسلام دين الفطرة وان كان فى بعضها بعض الهنات .

فقد نسبوا الى ابقراط الوصية المعروفة بترتيب الطب ، ويقول فيها :

« ينبغى أن يكون المتعلم للطب فى جنسه حراً (١) وفى طبعه جيداً ،

---

(١) هذا الشرط لامعنى له اسلامياً ، الا اذا كان العبد لايستطيع أن يقوم بوظيفته بالشكل المناسب .

حديث السن ، معتـدل القامة ، متناسب الاعضاء ، جيـد الفهم ، حسن الحديث ، صحيح الرأى عند المشورة ، عفيفاً ، شجاعاً ، غير محب للفضة ، مالكاً لنفسه عند الغضب ، ولايكون تاركاً له فى الغاية ، ولايكون بليداً .

وينبغى أن يكون مشاركاً للعليـل ، مشفقاً عليه ، حافظاً للاسرار ، لان كثيراً من المرضى يوقفونا على أمراض بهم لايحبون أن يقف عليها غيرهم .

وينبغى أن يكون محتملا للشتيمة ، لان قوماً من المبرسمين(١) ، وأصحاب الوسواس السوداوى يقابلونا بذلك ، وينبغى لنا أن نحتملهم عليه ، ونعلم : أنه ليس منهم ، وأن السبب فيه المرض الخارج عن الطبيعة .

وينبغى أن يكون حلق رأسه معتدلا مستوياً ، لايحلقه ، ولايدعه كالجمة ، ولا يستقصى قص أظافير يديه (٢) ،ولايتركها تعلو على أطراف أصابعه .

وينبغى أن تكون ثيابه بيضـاء نقية ، ولايكون فى مشيـه مستعجلا ، لان ذلك دليل على الطيش ، ولامتباطئاً ، لانه يدل على فتور النفس .

واذا دعى الى المريض ، فليقعد متربعاً ، وليختبر منه حاله بسكون وتأن لابقلق واضطراب . . . الخ(٣) . »

وفى كتاب : « كامل الصناعة الطبية الملكى » لعلى بن العباس فى الباب الثانى ، المقالة الاولى ، مجموعة وصايا جيدة فى هـذا المجال ، وبعضها منسوب الى أبقراط أيضاً ، كما يظهر لمن راجع كتاب ابن أبى أصيبعة ، ويمكن أن يفهم منها اضافة لما سبق :

أن على طالب العلم الطبى : أن يطيـع أوامر الله تعالى ، ويحترم أساتذته

---

(١) البرسام : علة يهذى فيها المريض

(٢) لقد ورد فى بعض الروايات أن المرأة لاتستقصى قص أظافـير يديها ، ولم نجد مثل ذلك بالنسبة للطبيب . . . فيـبقى استحباب قص أظافيره على النحو الكامل بلا معارض . . . الا اذا كانت طبيعة عمله تستدعى ذلك .

(٣) عيون الانباء ص ٤٦/٤٧ .

ويكون في خدمتهم، ويعتبرهم بمنزلة والديه، ويحسن اليهم، ويشركهم في أمواله.

كما أن عليه أن يعتبر ابن معلمه أخاً له، ويعلمه هذه الصناعة بلا أجرة، ولا شرط، ويشرك اولاده واولاد معلمه في العلوم والوصايا، وكذلك سائر التلاميذ الذين يستحقون تعلم هذه الصناعة، دون غيرهم ممن لا يستحق ذلك.

وبعد أن ذكر أموراً أخرى، من جملتها لزوم حفظ المطالب، وعدم الاعتماد على الكتاب، ذكر: أن عليه أن يتعلم مطالب هذا العلم في أيام صباه، لان ذلك أسهل عليه من أيام الشيخوخة . . . وعلى طالب هذا العلم أن يبقى في المستشفيات في خدمة أساتذته العلماء، والحذاق في هذه الصناعة، فيمارس العمل في هذا المجال، ويشرف على المرضى وعلى أحوالهم، ويستفيد من صحبة الاساتذة، وخدمة المرضى ما يرتبط بأحوال وعوارض الامراض، حسناً وسوءاً، ويطبق ما قرأه عملياً . . . الخ(١).

الطالب . . . والتجارب الطبية :

وعدا عما تقدم . . . فاننا نجد: أن الشارع لم يقبل من طالب العلم الطبي: أن يجعل نفسه حقل تجارب، ولاسيما في الموارد التي يحتمل فيها الضرر احتمالا معتدابه، ، فعن الصادق عليه السلام: «ثلاثة لا ينبغي للمرء الحازم أن يقدم عليها: شرب السم للتجربة، وان نجامنه، وافشاء السر الخ . . .» (٢).

وفي حديث آخر عن الامام الباقر عليه السلام: «لا تذوقن بقلة، ولا تشمها حتى تعلم ماهي، ولا تشرب من سقاء حتى تعلم ما فيه» (٣).

(١) راجع كتاب: تاريخ طب در ايران ج ٢ ص ٤٥٦-٤٥٨ بتصرف وعيون الانباء ص ٤٥ قسم أبقراط، وطبقات الاطباء والحكماء لابن جلجل ص ٧٣، الترجمة الفارسية، في الهامش عن منتخب صوان الحكمة ص ٨٢.

(٢) راجع: البحار ج ٧٨ ص ١٨٩ و ج ٩٩ ص ١٢٣ عن اعلام الدين، ومستدرك الوسائل ج ٢ ص ٤٥ وغرر الحكم ج ١ ص ٣٦٥.

(٣) تحف العقول ص ٢٣٧ والبحار ج ٧٨ ص ٢٣٥ و ١٨٩ عنه وعن اعلام الدين

الاستفادة من خبرات غير المسلمين ؛

و بعد . . . فان الحكمة ضالة المؤمن ، اينماوجدها أخذها . . فلماذا اذن يمنع من الاستفادة والتعلم من غير المسلمين : من اليهود والنصارى ،وغيرهم؟... اذاكانت لديهم خبرات يمكن الاستفادة منها ، واذا اقتصروا على ذلك ،و لم يتعدوه الى محاولة الدعوة الى عقائدهم ومذاهبهم ، واذالم يستلزم ذلك أى نحومن انحاء النفوذ أوالتدخل فى الشؤون الخاصة بالمسلمين ؟ . . . وقد جاء عنهم عليهم السلام بالنسبة لبنى فضال : خذوا ماروووا،ودعوا مارأوا . . . وورد:أن«الحكمة ضالة المؤمن؛ فاطلبوها ولوعندالمشرك تكونوا أحق بها وأهلها»،وفى معناه غيره(١)

بل لقدرأينا الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم:قدأمر أسرى المشركين فى بدر ، الذين لايجدون ما يفدون به أنفسهم : أن يعلم الواحد منهم عشرة من اطفال المسلمين القراءة و الكتابة ، ويطلق(ص)سراحهم فى مقابل ذلك...(٢) ولسنا بحاجة الى التعليق على هذه القضية ، فانها بنفسها تعبر عن نفسها ،ومن أرادالاطلاع على بعض مايمكن أن يقال فى ذلك،فليراجع كتابنا: الصحيح من سيرة النبى(ص) ج ٢ ص ٢٥٧/ ٢٥٨ .

---

(١) أمالى الطوسى ج ٢ ص ٢٣٨ و تحف العقول ص ١٣٨ و ٢٩٢ و غرر الحكم ج ١ ص٣٩٤والبحار ج ٧٨ ص٣٤و٣٨.و٣٠٧وج٢ص١٧و٩٦و٩٧وصفحات أخرى منه ؛ و راجع: التراتيب الادارية ج ٢ ص ٣٤٨ و قصار الجمل ج ١ ص ١٥٩ .

(٢)مسند أحمدبن حنبل ج ١ ص ٢٤٧ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٩٥ و السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٩٣ والروض الانف ج ٣ص ٨٤ و طبقات ابن سعد ج ٢ قسم ١ ص ١٤ والتراتيب الادارية ج٢ص٣٤٨وج١ص٤٨ / ٤٩عن السهيلى،وعن المطالع النصرية فى الاصول الخطية لابى الوفا نصر الدين الهورينى،وكتابنا :الصحيح من سيرة النبى ج٣ص ٢٥٧ عمن تقدم و عن الامتاع ص ١٠١ و عن المقريزى . .

القسم الاسلامى للطبيب :

وبعد أن يتخرج ذلك التلميذ ، ويصير طبيباً حاذقاً،فاننانتصور شخصياً: أن من الراجح أن يقسم اليمين التالى ، قبل أن يعطى اجازة للعمل فى هذا المجال :

بسم الله الرحمن الرحيم :

والحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين ، واللعنة على أعدائهم أجمعين ، الى قيام يوم الدين . .

أقسم بالله العلى العظيم ، وبكل مقدساتى ، وبكل الكتب السماوية : أن أبذل جهدى وطاقتى فى معالجة المرضى ، ولاأفرق بين غنيهم و فقيرهم ، ولاأغش ،ولا أتساهل فى ذلك،وأن أعاملهم بالاخلاق الاسلامية والانسانية الفاضلة،وأن التزم بالاحكام الشرعية فى عملى هذا . وأن أعتبر ذلك أمانة فى عنقى، يسألنى الله عنها يوم 'لقاه ، وأن أعمل على أداء هذه الامانة على اكمل وجه .

وأشهد الله تعالى على ذلك ، والله خير الشاهدين . .

الفصل الثالث :

ماذا عـن :
الطبيـب . . . و العـلاج

الطبيب أمام الواجب

ان من الواضح أن المريض لا يستطيع أن يعلق آماله فيما هو فيه على أحد، حتى على أقرب الناس اليه ؛ حتى ولده ، و أبويه ؛ لانه يعرف : أنهم لا يملكون لانقاذه حيلة ، ولا يجدون للتخفيف من آلامه سبيلا . .

وانما هو يتجه بآماله وتوقعاته الى ذلك الذى أمره الله بمراجعته فى حالات كهذه، ألا وهو الطبيب العارف . . . فالطبيب هو الذى يستطيع أن يقدم له معونة من نوع ما ، وهو الذى يمكنه أن يخفف من آلامه ، وينقذه مما هو فيه . . .

ومن البديهى : أن التداوى والرجوع الى الطبيب لا ينافى التوكل ، كما لا ينافيه الاكل والشرب لدفع الجوع ، كما ذكروه (١) .

واذن . . . فالطبيب يتحمل أعظم المسؤولية فى هذا المجال . . . سواء على صعيد تقديم العون المادى بالدواء والعلاج النافع . . . أو على صعيد المعونة الروحية والنفسية ، فهو الذى يستطيع ان يبعث البهجة فى نفس المريض ، وينعش فيه أملا ، ويعيد اليه الثقة بالحياة وبالمستقبل .

---

(١) البحار ج ٦٢ ص ٧٧ وفتح البارى ج ١٠ ص ١١٤ والطب النبوى لابن القيم ص ١٠ .

وعلى هذا . . . فقدكانت مسؤوليات ومواصفات الطبيب فى نفسه ، وبالنسبة لعلاقته بمن يفترض فيه أن يعالجه كثيرة ومتنوعة من وجهة نظر اسلامية . . . ونحن نجمل بعضها فى هذا الفصل على النحو التالى :

المبادرة الى العلاج :

فلايجوز للطبيب التعلل بعدم الاجرة ،أوبقلتها ، فان التارك شفاء المجروح من جرحه شريك جارحه لامحالة ، لان جارحه أراد فساده ، وهذا لم يرد صلاحه كما تقدم .

فالسلبية هنا لاتعنى الا اتخاذ الموقف المضاد ، لانها تعنى فسح المجال لفتك المرض بصاحبه ، والتغلب على سائر مايملكه من قدرات ومناعات ، وبالتالى الحاق أفدح الخسائر فيه .

وبعد . . . فان المبادرة الى العلاج هو ماتفرضه الاخلاق الفاضلة ، والانسانية الرفيعة ، والفطرة السليمة والمستقيمة . وتنسجم مع أريحية الانسان ، ومع عواطفه النبيلة ، وسجاياه الرضية الكريمة .

مداواة حكام الجور :

وبالنسبة لمداواة حكام الجور ، فعدا عن أن ذلك يكون من قبيل تهيئة الفرصة لهم للاستمرار فى بغيهم وظلمهم ، وان لم يكن مساعدة مباشرة لهم على ذلك ـ عدا عن ذلك ـ فاننا نجد الامام الحسين صلوات الله وسلامه عليه يقول :

« لا تصفن لملك دواء ، فان نفعه لم يحمدك ، وان ضره اتهمك(١) . »

وواضح : ان مراده عليه السلام هنا : هو ملوك الجور ، لانهم هم الذين يمتازون بهذه الصفة غير الحسنة . . . كما هو معلوم .

(١) البحار ج ٧٨ ص ١٢٧ عن اعلام الدين و ج ٧٥ ص ٣٨٢عنه .

عدم التمييز بين الغنى والفقير

أما لزوم عدم التمييز بين الغنى والفقير ، فنحسب أنه لايحتاج الى بيان ولا الى اقامة برهان ، فان الوجوب الشرعى الكفائى ، أو العينى أحياناً ، لم يلاحظ فيه الغنى دون الفقير ، ولا الابيض دون الاسود .

بل يمكن أن يقال : ان اهتمام الاسلام بالفقير يفوق كثيراً اهتمامه بالغنى أضف الى ذلك : أن الغنى يقدر على الوصول الى مايريد ، عن طريق بذل ماله دون الفقير .

وبعد ... فان الاوامر القاضية برجحان قضاء حاجة المريض ، والاهتمام بأمره ، وترتيب الثواب على ذلك ـ وهى متواترة ـ لم تخصص غنياً، ولا فقيراً ولاغيرهما بذلك .

وكذلك الحال بالنسبة للروايات القاضية بلزوم المبادرة الى شفاء المجروح من جرحه . . . بل جميع الروايات التى تتعلق بالطب ، وهى تعد بالمئات ، لايمكن أن تلمح فيها أثراً لظاهرة التمييز هذه ، مهماكان حجمه ، ونوعه .

هذا . . . ولايجب أن ننسى تلك الروايات التى تذم من يحترم الغنى ، ويجعل له امتيازاً من أجل غناه . . . ويكفى أن نذكر هنا ما روى عن الامام الرضا عليه السلام : « من لقى فقيراً مسلما ، فسلم عليه خلاف سلامه على الغنى لقى الله عزوجل يوم القيامة وهو عليه غضبان(١) . »

ثم هناك حكاية الرجل الذى بنى قصراً ، ثم صنع طعاماً ، فدعا اليه الاغنياء ، وترك الفقراء ، فاذا جاء الفقير قيل له : ان هذا الطعام لم يصنع لك ، ولا لاشباهك . . . فجاء ملكان فى زى الفقراء فمنعا ، ثم جاءا فى زى الاغنياء

(١) أمالى الصدوق ص ٣٩٦ ، وسفينة البحار ج ٢ ص ٣٧٩ ، والوسائل ج ٨ ص ٤٤٢ وفى هامشه عن عيون أخبار الرضا ص ٢١٩ و عن الامالى .

فسمح لهما بالدخول ، فأمرهما الله بخسف المدينة بمن فيها (١) .

والروايات فى مدح الفقراء ، ومحبة الله لهم ، وأنه ينبغى الاهتمام بشأنهم وملاحظة أحوالهم كثيرة .

وأخيراً . . . فان حكم العقل ، والفطرة ، والاخلاق الفاضلة ، لايفرق بين غنى ، وفقير ، ولابين كبير وصغير . . . هذا . . . ان لم نقل ان اكرام الغنى لغناه ليس فيه اكرام للانسان و الانسانية ، بل هو يعبر عن رذالة فى الطبع ، وخسة فى النفس ، وانحطاط أخلاقى مرعب وخطير .

واذاكان الفقير يعانى فى أحيان كثيرة من الالام النفسية اكثر من الجسدية حيث انه يشعر بعقدة الفقر الذى ربما يتحول الى حقد ، ثم من عقدة الخوف من عدم تمكنه من الحصول على أدنى مايجب الحصول عليه ـ اذاكان كذلك ـ فان القربة الى الله تعالى تكون فى مساعدته اكثر ، والنتيجة التى تترتب على هذه المساعدة أعظم وأكبر .

وقال على بن العباس : ان على الطبيب : « أن يجدّ فى معالجة المرضى ، ولاسيما الفقراء منهم ، ولا يفكر فى الانتفاع المادى ، وأخذ الاجرة من هذه الفئة ، بل اذا استطاع أن يقدم لهم الدواء من كيسه هو فليفعل ، واذا لم يفعل فليجدّ فى معالجتهم ليلاً ونهاراً ، ويحضر الى معالجتهم فى كل وقت . . . الخ(٢) . »

نعم . . . وهذا هو ما يجعل الفقير يثق بنفسه وبمجتمعه ، ويطمئن الى مستقبله ، ويجعله أكثر حيوية ، ونشاطاً ، وتفاعلاً مع سائر الفئات الفاعلة فى المجتمع .

كما أنه يزرع الحب والوفاء والرجاء فى نفسه ، و يبعد الحقد ، والحسد

---

(١) سفينة البحار ج ٢ ص ٣٨٠

(٢) راجع كتاب : تاريخ طب در ايران ج ٢ ص ٤٥٧ عن كتاب : كامل الصناعة الطبية الملكى ، الباب الثانى ؛ المقالة الاولى .

وسائر الصفات الذميمة عن روحه ونفسه ، ولا يعود يعانى من عقدة الاحتقار والمهانة ، والخوف ، وذلك واضح لايحتاج الى مزيد بيان .

اقدام الطبيب على مايعرف :

واذاكان الطبيب متخصصاً فى أمراض العين مثلا ، فليس له أن يتصدى للنظر فى أمراض القلب ، وكذا العكس ، لانه جاهل فى حقيقة الامراض التى تعرض من هذه الجهة ، فيلحق بالجهال من الاطباء ، الذين على الامام أن يحبسهم اذا أرادوا التصدى للتطبيب فى مجال يجهلونه .

وكذلك فانه يكون من القول بغير علم ، الذى جاءت الايات الكثيرة ، والاقوال المتواترة عن المعصومين فى المنع والردع عنه (١) ، وذلك واضح للعيان فلايحتاج الى مزيد بيان ، ولا الى اقامة برهان .

وقد جاء فى القسم المنسوب الى ابقراط : « واحفظ نفسى فى تدبيرى وصناعتى على الزكاة والطهارة ، ولاأشق أيضاً عما فى مثانته حجارة ، ولكن أترك ذلك الى من كانت حرفته هذا العمل (٢) » .

١ـ الحذق ٢ـ الامانة ٣ـ استجلاب الثقة :

١ـ و ٢ـ فالطبيب الحاذق هو الذى يستطيع أن يؤدى واجبه على النحو الاكمل والافضل ، وهو بالتالى الذى يكون خطؤه أقل ، واستفادة المريض من خبراته أتم ، ومنفعته أعم . . . وهوأقدر على الحصول على ثقة المريض ، واعتماده عليه ، وتسليمه له . . . الامر الذى يسهّل عليه علاجه ، كما أنه يسهل على المريض الالتزام بنصائحه ، والعمل بتوجيهاته .

بل ان على الطبيب نفسه أن يسعى للحصول على هذه الثقة ، كما يشير اليه ماروى

(١) راجع على سبيل المثال : البحار ج٢ من ص١١١ حتى ص١٢٤ وغيره من المصادر
(٢) عيون الانباء ص ٤٥

عن الصادق عليه السلام : «كل ذى صناعة مضطر الى ثلاث خصال يجتلب بها المكسب ، وهو أن يكون حاذقاً بعمله ، مؤدياً للامانة فيه ، مستميلا لمن استعمله (١) . »

وقد لوحظ : أن النبى (ص) يتحرّى لمعالجة بعض من جرح من أصحابه أطبّ الرجلين ، اللذين دعيا لهذا الغرض(٢) .

نعم . . . وهذا هو المنسجم مع الفطرة ، ومع حكم العقل السليم ، والنصيحة للمسلمين . . . ومن أولى منه (ص) بذلك ، وبغيره من مكارم الاخلاق ومعاليها ؟

وبعد . . . فقد قيل : ان الطب معناه الحذق بالاشياء ، وان كان فى غير علاج المريض ، ورجل طبيب أى حاذق ، سمى بذلك لحذقه(٣) .

٣ـ وأما الامانة وأداؤها فى المجال الطبى ، فهى من أوجب الامور ، لان الطب ـ كما قدمنا ـ مسؤولية شرعية ، عرفية ، أخلاقية ، انسانية ، وحتى عقلية أيضاً ، هذا بالاضافة الى ما أشار اليه الامام عليه السلام من أن أداء الامانة فى الصنعة يوجب اجتلاب المكسب بها . . . حيث يطمئن الناس اليه ، ويعتمدون عليه ، ويقبلون اليه بكل رضا واطمئنان ، كما هو أوضح من أن يحتاج الى بيان .

١ـ النصح ٢ـ الاجتهاد ٣ـ التقوى :

وعدا عن أن النصح ، والاجتهاد ، وتقوى الله وظائف انسانية وأخلاقية ، فانها وظيفة شرعية أيضاً ـ وخصوصاً فى الطب ـ فعن على عليه السلام أنه قال :

(١) تحف العقول ص ٢٣٨ والبحار ج ٧٨ ص ٢٣٦

(٢) موطأ مالك المطبوع مع تنوير الحوالك ج٣ ص ١٢١ ، وزاد المعاد ج٣ ص ١٠٧ ، والطب النبوى لابن القيم ص ١٠٥

(٣) الطب النبوى لابن القيم ص ١٠٧/١٠٨

« من تطبب فليتق الله ، ولينصح ، وليجتهد(١) » .

وقال ابن ادريس : « ويجب على الطبيب أن يتقى الله سبحانه فيما يفعله بالمريض ، وينصح فيه (٢) » .

١ـ نعم . . . لابد من الاجتهاد فى معالجة المريض ، ولا يجوز التعلل ولا التساهل فى ذلك على الاطلاق ، ولابد أيضاً من النصح فى ذلك ، لان الغش فيه معناه الجناية على نفس محترمة ، و تعريضها للخطر الجسيم ، الامر الذى يكشف عن نفس مريضة وحاقدة ، لاتملك شيئاً من الخلق الانسانى الرفيع ، بل هى أقرب الى النفس السبعية ، التى لاتعرف الا الاعتداء ، والظلم والشر ، بل هى أكثر بشاعة وخطراً منها ، حينما يمتزج الظلم بالخداع ، والاعتداء بالتدليس وتزييف البغيض المقيت .

٢ـ ولابد كذلك من تقوى الله فى المريض ، لان بتقوى الله لايبقى غش ، ولا اعتداء ، ولا تزيف ، ولايبقى أيضاً تساهل ، أو تعلل ، ولايبقى كذلك أى لون من ألوان الرذيلة فى داخل الانسان ، وبتقوى الله يندفع الانسان الى القيام بواجباته الشرعية والانسانية على النحو الاكمل والافضل . . . ولاجل ذلك نلاحظ أنه عليه السلام قد قدم الامر بتقوى الله على الامر بالنصح ، وبذل الجهد وليس ذلك عفوياً ، بل هو متعمد ومقصود ، ولاسيما فى توجيه الطبيب الذى بيده راحة المرضى ، فهو اذن بأمس الحاجة الى هذه التقوى : حتى لا يفرط فيما جعله الله مسؤولا عنه .

٣ـ وبعد . . . فان « الله يحب عبداً اذا عمل عملا أحكمه » كما روى عنه(ص) حينما لحد سعد بن معاذ (٣) ، كما اننا نجد فى نصائح على بن العباس : ان « على

(١) البحار ج ٦٢ ص ٧٤ عن الدعائم ، ومستدرك الوسائل ج ٣ ص ١٢٧

(٢) البحار ج ٦٢ ص ٦٥ عن السرائر

(٣) الفصول المهمة للحر العاملى ص ٥٠٣

الطبيب أن يجد فى معالجة المرضى ، وحسن تدبيرهم ، ومعالجتهم ، سواء بالغذاء أو بالدواء(١) . »

النصح : حدوده وأبعاده :

ومن الواضح : أن على الطبيب أن يمتنع هو أولاً عما يطلب من غيره الامتناع عنه عند الحاجة ، وان يلتزم هو بالتوصيات قبل أن يطلب من غيره الالتزام بها .

والا . . . فانه اذا لم يستطع ان يعالج نفسه قبل ان يعالج غيره ، فانه يكون ولاشك غير ناصح لذلك الغير ، بل هو اما يجرى عليه بعض تجاربه التى لم تصل بعد لديه الى درجة النجاح ، واما أنه يعطيه دواءاً يعلم هو أنه لا ينفعه ، ان لم يكن فيه الكثير من الضرر له . . . اما لاجل أن يحصل منه ومن أمثاله على المال ، أو من أجل الحفاظ على الشهرة الفارغة والصيت الاجوف ، أو لغير ذلك من أمور .

ولا أقل من أن يفكر المريض والمراجع له هذا التفكير ، الذى يملك كل المبررات الموضوعية والاخلاقية ، يقول أبو الاسود الدؤلى :

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا ... كيما يصح به وانت سقيم

و أما اذا كان الطبيب يجر الداء الى نفسه ، فان من الواضح أنه سوف لن يكون ناصحاً لغيره ، لانه لن يحب غيره اكثر من محبته لنفسه ، ولن يستطيع ان يضر نفسه وينفع غيره ، ومن هنا فان من حق كل أحد أن يشير اليه بأصابع الاتهام والشك ، وقد روى عن عيسى عليه السلام هذا المعنى ، قال (ع) فى حديث : « فاذا رأيتم الطبيب يجر الداء الى نفسه فاتهموه ، واعلموا : أنه غير ناصح لغيره(٢) . »

(١) تاريخ طب در ايران ج ٢ ص ٤٥٧
(٢) البحار ج٢ ص١٠٧ حديث٥ ، وقصار الجمل ج٢ ص٦٥ و ج١ ص١٩٧ عنه

١- الرفق بالمريض ٢- حسن القيام عليه :

ولانرى أن ذلك يحتاج الى بيان ، ويكفى أن نذكر : أنه قد ورد فى بعض النصوص التعبير عن الطبيب بـ « الرفيق » من الرفق ، فعن على عليه السلام : « كن كالطبيب الرفيق ، الذى يدع الدواء بحيث ينفع(١) . »

وفى رواية عن الرضا عليه السلام قال : « سمعت موسى بن جعفر(ع) ، وقد اشتكى فجاء المترفقون بالادوية ،يعنى الاطباء(٢) . »

وفى بعض : النصوص : « ان الله عز وجل الطبيب ، ولكنك رجل رفيق » وفى نص آخر : « انت الرفيق والله الطبيب(٣) . »

ومن أولى من المريض بان يكون موضعاً للعناية ، والرفق ، والمداراة ، ومراعاة الجانب .

وقد روى : أن أمير المؤمنين عليه السلام قد قطع أيدى سراق ، ثم قال : « ياقنبر ، ضمهم اليك فداو كلومهم ، و أحسن القيام عليهم » ، وبعد أن برئت كلومهم كساهم ثوبين ثوبين ، وخلى سبيلهم ، وأعطى كل واحد منهم مايكفيه الى بلده ،وزاد فى نص آخر : أنه أمرهم أن يدخلوا دار الضيافة ، وأمر بأيديهم أن تعالج فأطعمهم السمن ، والعسل ، واللحم حتى برئوا (٤) .

وعن على عليه السلام : من كنت سبباً فى بلائه وجب عليك التلطف فى

(١) البحار ج٢ ص٥٣ عن مصباح الشريعة ، وقصار الجمل ج ٢ ص ٦٣ عن البحار

(٢) الفصول المهمة ص ٤١٥

(٣) راجع :كنز العمال ج ١٠ ص ٣ و ١ عن أبى داود ، وعن أحمد ، وأبى نعيم فى الطب وارشاد السارى ج ٨ ص ٣٦٠ ، والتراتيب الادارية ج ١ ص ٤٦٢

(٤) التهذيب للشيخ ج ١٠ ص ١٢٥-١٢٧ ح ١٢٦ و ١١٩ و ١١٨ ، والكافى ج ٧ ص ٢٦٤ و ٢٨٦ ، والوسائل ج ١٨ ص ٥٢٩ و ٥٢٨ عنهما ، ومستدرك الوسائل ج ٣ ص ٢٣٩ عن دعائم الاسلام .

علاج دائه (١) فعبّر بالتلطف لما ذكرناه.

رفع معنويات المريض :

واذاكان ضعف الانسان وانهزامه نفسياً أمام المرض فى بادىء الامر يكون أمراً طبيعياً ، بسبب شعوره بآلام ومتاعب يجد نفسه عاجزاً عن دفعها ، ومواجهتها ـ اذاكان كذلك ـ فان من الطبيعى ، أن يكون لرفع معنويات المريض ، وبعث الثقة فى نفسه بالشفاء اكبر الاثر فى تقويه وسيطرته على المرض ، وبالتالى فى شفائه منه ، والتخلص من آثاره .

وأما الانهزام النفسى أمام المرض ، فانه يعود بأسوأ الاثار عليه ، ويجعل من الصعب عليه التغلب على المرض ، ومواجهة عوارضه ، لان الانهيار النفسى يتبعه الانهيار الجسدى المريع والخطير دون شك .

ولذلك نلاحظ : أن الاسلام يهتم فى تطييب نفس المريض بل يكون دور العلاج الجسدى بالنسبة للعلاج النفسى ثانوياً للغاية ، ومما يوضح لنا هذه الحقيقة الهامة : أننا نجد فى بعض النصوص بعد محاولة ربط المريض بالله تعالى ، وافهامه أنه هو الشافى له وليس سواه يشير الى أن دور الطبيب هو أن يطيب نفس المريض ، ويبعث الامل فى نفسه ، فقد ورد : أن المعالج يسمى بالطبيب لانه يطيب بذلك أنفسهم (٢) .

بل لقد جاء أنه حتى الذين يقومون بعيادة المريض ينبغى لهم : أن يفسحوا له فى الاجل ، كما سيأتى .

يتقى الله ، ويغض بصره عن المحارم :

ولعل اكثر الناس ابتلاءً بالنظر الى ما يحرم فى الاحوال العادية النظر

(١) غرر الحكم ج ٢ ص ٧١٨

(٢) العلل للصدوق ص ٥٢٥ ، وروضة الكافى ص٨٨ ، والوسائل ج ١٧ ص ١٧٦ عنهما ، والبحار ج٦٢ ص٢٦٥و٧٥ عنهما أيضاً وعن الدعائم ، والفصول المهمة ص ٤٠٠ ، وطب الامام الصادق عليه السلام ص ٧٥ .

اليه ، هم الاطباء . . . وواضح : أن الامر بغض البصر عما يحرم النظر اليه يبقى واجب الامتثال حتى تحكم الضرورة ، فيجوز حينئذ النظر بمقدار ماترتفع به الضرورة .

فلواستطاع أن يعالج المريض علاجاً صحيحاً ، استناداً الى وصف المريض له مايعانيه من اعراض ، فانه يجب الاقتصار على ذلك ، ولايجوز النظر . . . واذا استطاع أن يعالج بالنظر الى دائرة أضيق لم يجز له التعدى الى مازاد .

بل انه اذا تمكن من المعالجة بواسطة النظر فى المرآة لم يجز التعدى الى النظر المباشر ، وقد امرهم أمير المؤمنين بذلك بالنسبة للنظر الى الخنثى كما سيأتى فى الفصل التالى .

وبعد . . . فانه اذا استطاع أن يعالجه استناداً الى النظر لم يجز له التعدى الى اللمس . . . وهكذا يقال بالنسبة الى التعدى من اللمس القليل الى الكثير هذا ان لم يمكن اللمس بواسطة .

ومن هنا نجده عليه السلام يأمر الطبيب أول مايأمره بتقوى الله ، ثم بان ينصح ويجتهد ، فعن على عليه السلام : « من تطبب فليتق الله ، ولينصح ، وليجتهد »

ولسوف نتحدث عن هذا الامر أيضاً فى الفصل التالى ان شاء الله تعالى .

وأخيراً . . . فقد جاء فى نصائح على بن العباس : « وان لاينظر الى النساء بريبة ، سواء كان النظر للسيدة ، أم للخادمة ، ولايدخل الى منازلهن الا للمداواة » وقال : « وعليه أن يكون رحيماً ، برىء النظرة (١) . »

وجاء فى قسم ابقراط : « وأحفظ نفسى فى تدبيرى على الزكاة والطهارة » الى أن قال : « وكل المنازل التى أدخلها ، انما أدخل اليها لمنفعة المرضى ، وأنا بحال خارجة عن كل جور وظلم ، وفساد ارادى مقصود اليه فى سائر الاشياء ، وفى الجماع للنساء والرجال ، الاحرار منهم والعبيد(٢) . »

(١) راجع : تاريخ طب در ايران ج٢ ص٤٥٧ عن كتاب كامل الصناعة الطبية الملكى
(٢) عيون الانباء ص ٤٥

تجويز الافطار للصائم ونحو ذلك :

ونجد بعض الاطباء ، اذا جاءهم المريض فى شهر رمضان مثلا ، وكان صائماً فانهم يبادرون الى تجويز الافطار له ، بل انهم يوجبون عليه ذلك فى كثير من الاحيان ، مع عدم وجود ضرورة تقتضى ذلك . . . بل قد لايكون هناك ضرورة أصلا . . . ومثل ذلك أمرهم له بالصلاة من جلوس مع قدرته على القيام ، وعدم الضرر فيه عليه ، وما أشبه ذلك .

و نحن لابد وأن نشير هنا : الى أن الطبيب يتحمل مسؤولية فى ذلك أمام الله تعالى ولاجل ذلك ، فان عليه أن يتروى فيه ، ويحققه قبل أن يقدم عليه فلا يجوّز له الافطار أو الصلاة من جلوس مثلا لاسباب تافهة لاتقتضى ذلك الا اذا احتمل الحاجة الى ذلك احتمالا قوياً ، لان المريض انما يجوز له ان يأخذ بقوله ويستنداليه على اعتبار أنه من أهل الخبرة ،فلابد وأن يستعمل خبرته فى اكتشاف السبب الذى يحتم عليه ذلك ، والذى يعتمد عليه المكلف فى عملية اكتشافه ، و تشخيصه .

من وصايا الاهوازى :

وقال على بن العباس الاهوازى : « على الطبيب أن يكون نظيفاً ، يخاف الله ، عذب اللسان ، حسن السلوك ، وأن يبعد عن كل سوء ، و كل مشين ، وان لا ينظر الى النساء . . . الخ(١) » .

وقد تقدمت مواصفات طالب العلم الطبى فى الفصل السابق ، فلا نعيد .

الدواء . . . و العلاج :

وأما بالنسبة للدواء والعلاج ، فيمكن أن يستفاد من النصوص : أنه كلما

(٢) تاريخ طب در ايران ج ٢ ص ٤٥٧ عن كتاب كامل الصناعة الطبية الملكى

أمكن أن لايتداوى الانسان كلما كان ذلك أصلح له . . . وذلك مثل ما روى عن أبي عبدالله عليه السلام : من ظهرت صحته على سقمه ، فيعالج نفسه فمات ، فأنا الى الله منه برىء (١) .

وكتلك الروايات التى تؤكد على عدم تناول الدواء ماا حتمل البدن الداء أو مع عدم الحاجة الى الدواء(٢) .

وكذلك الروايات التى تنهى عن الاضطجاع مع وجود القدرة على القيام(٣) .

والتى تقول : امش بدائك ما مشى بك (٤) .

والتى تقول : انه ما من دواء الا و يهيج داء (٥) .

وعن الكاظم عليه السلام : ادفعوا معالجة الاطباء ما اندفع الداء عنكم فانه بمنزلة البناء قليله يجر الى كثيره (٦) .

---

(١) الخصال ص ٢٦ ج ١ والفصول المهمة ص ٤٠٤ . وسفينة البحار ج٢ص٧٨ والوسائل ج ٢ ص٦٢٩ وطب الائمة ص٦١ والبحار ج ٨١ ص ٢٠٧ وج ٦٢ ص٦٤ و٦٥ عن الخصال وعن علل الشرايع ج ٢ ص ١٥١ و ١٥٠ .

(٢) الكافى ج٦ ص٣٨٢ ، والمحاسن للبرقى ص٥٧١ ، ومستدرك الوسائل ج١ص٨٢ والفصول المهمة ص ٤٠٤ و٤٤٢ ، وطب الامام الصادق ص٧٥ عنه ، وسفينة البحار ج ٢ ص٧٨ ، والوسائل ج ٢ ص٦٣٠ وج١٧ ص ١٩٠ ، عن العلل ومكارم الاخلاق وغيرهما ، ومجمع الزوائد ج ٥ ص ٨٦ عن الطبرانى ، والبحار ج ٨١ ص ٢٠٧و٢١١ و ج ٦٢ ص ٦٣ و٦٤ و٦٥ و٦٦ و٢٦٠ و٢٦٩ و٢٨٧ وج ٦٦ ص ٤٥٦ وفى هامشه عن كثير ممن تقدم وعن الدعوات للراوندى ، ومكارم الاخلاق ص ٤١٨ وعن فقه الرضا ص٤٦ وعن الشهيد رحمه الله وغير ذلك .

(٣) البحار ج ٨١ ص ٢٠٤ ومستدرك الوسائل ج ١ ص ٨٢ عن النهج .

(٤) نهج البلاغة قسم الحكم رقم ٢٦ والوسائل ج٢ ص ٦٣٠ و ٦٢٩ عنه والبحار ج ٦٢ ص ٦٨ و ج ٨١ ص ٢٠٤ والفصول المهمة ص ٤٠٤ وسفينة البحار ج ٢ ص٧٨ .

(٥) روضة الكافى ص ٢٧٣ والبحار ج ٦٢ عنه والوسائل ج ٢ ص ٦٢٩ ، وسفينة البحار ج ٢ ص ٧٨ ، ومقدمة طب الائمة للخرسان ص ٤ .

(٦) البحار ج ٨١ ص ٢٠٧ وفى هامشه عن علل الشرايع ج ٢ ص ١٥١ و ١٥٠

والتى تقول : لايتداوى المسلم حتى يغلب مرضه على صحته (١) .

والتى تقول: شرب الدواء للجسد كالصابون للثوب، ينقّيه ، ولكن يخلقه(٢) .

وأما شرب الدواء من غير علة ، فلا ريب فى أنه غير صالح ، وانه يعقب مكروها كما ورد فى بعض النصوص ، فعن الصادق عليه السلام : «ثلاثة تعقب مكروها: حملة البطل فى الحرب فى غير فرصة ، وان رزق الظفر ، وشرب الدواء من غير علّة ، وان سلم منه . . . الخ (٣) » ، كما أنه قد ورد عنه عليه السلام قوله : « ثلاثة لاينبغى للمرء الحازم أن يقدم عليها : شرب السم للتجربة ، وان نجا منه وافشاء السر الى القرابة . . . الخ(٤) » .

لا اسراف فى الدواء :

ومن الجهة الاخرى ، فان على الطبيب : أن لايحاذر فى اعطاء الدواء للمريض من أن ذلك قد يعدّ اسرافاً ، اذا وجد للدواء موضعاً ، كما ورد فى بعض النصوص(٥) مهما كان ذلك الدواء كثيراً ، أو ثمنه غالياً ، فان صحة الانسان وسلامته أغلى من ذلك مهما بلغ . . . أما اذا لم يجد للدواء موضعاً فان عليه أن يمسك ، ليس لاجل أن ذلك يخلق البدن ، ولانه يهيج داء فقط . . . وانما

(١) راجع : طب الامام الصادق عليه السلام ص ٧٥ عن الفصول المهمة ، و مستدرك الوسائل ج١ ص٨٢ ، والوسائل ج١٧ ص١٧ وفى هامشه عن الخصال ج٢ ص١٥٣ فصاعداً والبحار ج ٦٢ ص ٧٠ و ج ٨١ ص ٢٠٣ عن الخصال أيضاً ص ١٦١ ، وتحف العقول ص ٧٣ ح ٤٠٠ .

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلى ج ٢٠ ص ٣٠٠ وقصار الجمل ج ١ ص ٢٠٩ عنه

(٣) تحف العقول ص ٢٣٧ والبحار ج ٧٨ ص ٢٣٤ عنه

(٤) تحف العقول ص ٢٣٧/ ٢٣٨ ، و البحار ج ٧٨ ص ٢٣٥ عنه ، وغرر الحكم ج ١ ص ٣٦٥ .

(٥) روضة الكافى ص ٣٤٥ ، والوسائل ج ١١ ص ٤٠١ و ج ٢ ص ٦٢٩ والبحار ج ٨٢ ص ٥٣ ، وقصار الجمل ج ٢ ص ٦٣ .

لاجل ان ذلك يعدّ اسرافاً أيضاً . . . وقد جاء فى بعض النصوص :

« ليس فيما أصلح البدن اسراف ، انما الاسراف فيما أتلف المال وأضرّ البدن (١) » .

وذلك واضح ولا يحتاج الى مزيد بيان .

عدم اطالة فترة العلاج :

وأما بالنسبة لاطالة فترة العلاج وعدمها ، فيمكن أن يستفاد من النصوص المتقدمة الامرة بعدم العلاج لمن ظهرت صحته على سقمه ، و من قوله (ع) : ما من دواء الا ويهيج داء ، ومن قوله : ان الدواء يخلق الجسم ، وغير ذلك مما تقدم تحت عنوان : « الدواء . . . والعلاج » ، يمكن ان يستفاد منه : ان الشارع يرغب فى الاسراع بالتخلص من هذا الوضع الاستثنائى وفى عدم الاستسلام له .

كما ويستفاد ذلك بوضوح من قول أمير المؤمنين عليه السلام المتقدم ، الامر للطبيب بالاجتهاد فى العلاج .

ومما تقدم من أن التارك شفاء المجروح من جرحه شريك جارحه لامحالة وذلك أن الجارح أراد فساد المجروح ، والتارك لاشفائه لم يشأ صلاحه . . . الخ .

وواضح : أن اطالة فترة المعالجة من قبل الطبيب تنافى الاجتهاد فيه ، كما أنها نوع من ترك شفاء المريض ، ومن عدم النصح له .

وبعد . . . فقد تقدم فى نصائح الاهوازى قوله : « على الطبيب أن يجدّ فى معالجة المرضى ، وحسن تدبيرهم ، ومعالجتهم . . . الخ » .

ومن ذلك الذى لايحب أن يتخلص من الالم والمرض بسرعة ، لينصرف

(١) المحاسن للبرقى ص ٣١٢ ، وطب الامام الصادق ص ٧٧ عن الفصول المهمة والبحار ج ٧٥ ص ٣٠٤ و ٣٠٣ و ج ٧٦ ص ٧٥ و ٨١ و ٨٢ عن كامل الزيارة ، وعن المحاسن ، ومكارم الاخلاق ص ٥٧ و ٥٧ ، والتهذيب للشيخ ج ١ ص ٣٧٦ ، والكافى ج ٦ ص ٤٩٩ ، ومن لايحضره الفقيه ج ١ ص ٦٨ ، والوسائل ج ١ ص ٣٩٧ و ٣٩٨ .

الى تدبير أموره ، والنظر فى شؤون معاشه ومعاده ؟ !

ولماذا لايحاول الطبيب مساعدته فى هذا الامر الذى يرغب فيه ، ويخلصه من الالام التى يعانى منها ؟ ! ، وهل اطالة فترة المعالجة الا منافية لما يحكم به العقل ، والشرع والوجدان ؟ !

فلسفة الدواء للمريض :

وان مما يزيد فى ثقة المريض بالطبيب ، وبمعرفته بالعلاج الذى يقدم على تجويزه له ، وبالدواء الذى يفترض فى المريض أن يتجرعه ، ويساعد بالتالى على نجاح العلاج له . . . هو أن يفلسف الطبيب له ـ بنحو مّا ـ سر تجويزه هذا الدواء له ، ويبين له بعض منافعه ليطمئن الى أن هذا الدواء ان لم ينفع فى دفع المرض عنه ، فانه لن يضره جزماً ، مع قوة احتمال نفعه من الجهة أو الجهات الاخرى . . . ولقد رأينا النبى(ص) والائمة المعصومين عليهم السلام من بعده يذكرون منافع الادوية التى يوصون مراجعيهم بتناولها فى موارد كثيرة جداً ، لاتكاد تحصر (١) .

وقد قال على (ع) : من لم يعرف مضرة الشىء لم يقدر على الامتناع منه(٢) .

كما أن للاعتقاد دور هام فى تأثير الدواء ، ودفعه للمرض . . . ولاجل ذلك نجد الامام الصادق عليه السلام حينما يروى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم دواء لوجع الجوف ، ويعترض عليه البعض : بأنهم قد بلغهم ذلك ففعلوه ، فلم ينفع ـ نجده عليه السلام ـ يغضب ويقول :

« انما ينفع الله بهذا أهل الايمان به ، والتصديق لرسوله ، ولاينفع به أهل النفاق ، ومن أخذه على غير تصديق منه للرسول (٣) . »

---

(١) راجع على سبيل المثال : الوسائل ج ١٧ ص ٧٦ و ١٣٥ و ١٣٦ و هوامشها والبحار ، والفصول المهمة ، وطب النبى «ص» ، وطب الائمة ، وغير ذلك كثير جداً .

(٢) غرر الحكم ج ٢ ص ٧٠٣

(٣) البحار ج ٦٢ ص ٧٣ عن دعائم الاسلام .

اطعام المريض عند اشتهائه :

وبعد . . . فقد جاء في فقه الرضا (ع) وغيره ، في حديث قوله :

« . . . فاذا اشتهى الطعام ، فأطعموه ، فلربما فيه الشفاء (١) . »

ولعل مردّ ذلك الى أن الجسد ربما يكون قد بدأ يشعر بما يحتاج اليه ويحاول التعويض عن النقص الذى يعانى منه ، ومعنى ذلك هو : أن مقتضيات الصحة والعافية قد بدأت تتغلب على عوامل المرض فيه . . . واذن . . . فلابد من تلبية حاجة الجسد هذه ، وعدم منعه عما يتطلبه .

ولعل الى هذا يشير ما روى عنهم عليهم السلام : اذا جعت فكل ، واذا عطشت فاشرب ، واذا هاج بك البول فبل ، ولاتجامع الا من حاجة ، واذا نعست فنم (٢) .

فاذا لم يكن لدى المريض اشتهاء الى الطعام ، فان اكراهه عليه لن يكون مفيداً كثيرا ، ان لم نقل : انه لربما يؤدى الى مضاعفات غير حميدة : نفسياً ، وجسدياً . ولاجل ذلك نجد بعض النصوص تقول :

عنه(ص) : «لاتكرهوا مرضاكم على الطعام ، فان الله يطعمهم ويسقيهم(٣) . »

---

(١) مستدرك الوسائل ج ١ ص ٩٦ ، والبحار ج٦٢ ص٢٦١ عن فقه الرضا ص٤٦ وراجع : كنز العمال ج ١٠ ص ٧ و ٤٦ عن ابن ماجة عن ابن عباس ، وعن ابن أبى الدنيا وعبدالرزاق عن عمر ، وراجع البحار ج ٨١ ص ٢٢٤ ومجمع الزوائد ج ٥ ص ٩٧ عن الطبرانى ، وسنن ابن ماجة ج ١ ص ٤٦٣ ، والطب النبوى لابن القيم ص ٨٤ .

(٢) مستدرك الوسائل ج ٣ ص ١٢٨ .

(٣) البحار ج٦٢ ص١٤٢ عن الدعائم و ص ٢٧٣ عن السرائر ، أبواب الاطعمة والاشربة ، ولم ينسبه له (ص) ، وطب الصادق ص ١٦ عن الدعائم ، ومستدرك الحاكم ، ج ١ ص ٣٥٠ و ٤١٠ ، وتلخيصه للذهبى بهامش نفس الصفحة ، وكنز العمال ج ١٠ ص٢٧ عنه وعن الترمذى ، وسنن البيهقى ج٩ ص ٣٤٧ ومجمع الزوائد ج ٥ ص ٨٦ عن البزار والطبرانى فى الاوسط ، ونوادر الاصول ص ٦٦ ومستدرك الوسائل ج ٣ ص١٢٧ ، والطب النبوى لابن القيم ص ٧١ والترمذى ج ٤ ص ٣٨٤ ومصابيح السنة ج ٢ ص ٩٥ .

ولعل المراد بأن الله يطعمهم ويسقيهم : أنه تعالى يلطف بهم ، و يكيّف أجسادهم بحيث تقل حاجتها الى الطعام و الشراب ، الذى ربما لايستطيع الجسد أن يتكيف معه ، بملاحظة مضاعفات المرض التى تلم به . . . و ليس ذلك على الله تعالى ببعيد .

لايكلف المريض المشى :

وقد روى عن أبى عبدالله عليه السلام : أن «المشى للمريض نكس» (١) .

ولعل ذلك بملاحظة : أن الطاقة التى يفترض أن يصرفها البدن فى التغلب على المرض . . . يصرفها فى تكلف المشى ، ان لم يصرف تكلّفه هذا أزيد من المعتاد ، بملاحظة الحالة الخاصة التى يعانى منها . . . ومعنى ذلك : أن ينتكس المريض ، ويعطى الفرصة للمرض ليتغلب عليه ، ويفتك فيه من جديد .

حمل الادوية فى السفر :

والذى يلاحظ الروايات الواردة فى مجال الطب العام يجد انها لم تهمل أياً من الحالات التى يتعرض لها الانسان عادة ، ومن جملتها حالة السفر ، حيث امرت الرواية باستصحاب الادوية التى ربما يحتاج اليها للعوارض التى تترافق مع السفر عادة ، والتى تنتج عن المتغيرات التى يتعرض لها الانسان فى مواجهة المناخات والاجواء المختلفة ، او عن استخدامه لوسائل النقل المختلفة ، هذا عداعن ان بعض الامراض لربما تظهر فى بعض البلاد دون بعض .

نعم . . . ولاجل هذا نجد لقمان ينصح ولده ـ اذا اراد السفر ـ فيقول : « تزوّد معك الادوية فتنتفع بها انت ومن معك (٢) » .

(١) راجع : الوسائل ج ٢ ص ٦٣٢ و روضة الكافى ص ٢٩١ ، والبحار ج ٦٢ ص ٢٦٦ عنه ، وطب الصادق ص ٧٦ ؛ وسفينة البحار ج ٢ ص ٧٨ .

(٢) المحاسن للبرقى ص ٣٦٠ والبحار ج ٧٦ ص ٢٧٥ و ٢٧٣ و ٢٧٠ عنه وعن دعوات الراوندى ومكارم الاخلاق ص ٢٥٤ والوسائل ج ٨ ص ٣١١ والكافى ج ٨ ص ٣٠٣ و من لايحضره الفقيه ج ٢ ص ١٨٥ .

العلاج بما يخاف ضرره :

وبعد كل ما تقدم . . . فانه اذا كان الطبيب يرى ان الدواء الفلانى يفيد فى دفع المرض واستئصاله لكنه يعلم ان له مضاعفات سيئة على المريض فان كانت هذه المضاعفات مما لايتسامح العرف ولا الشرع بالاقدام عليها لم يجز له ذلك ، والا جاز . وكذا الحال بالنسبة للمريض نفسه ، فانه يجوز له تناول الدواء وان كان يحتمل ضرره احتمالاً لايعتد به العرف والعقلاء . . . ويشير الى هذا ما عن الدعائم ، عن جعفر بن محمد عليه السلام : انه رخص فى الكى فيما لايتخوف فيه الهلاك ولا يكون فيه تشويه (١) . »

وعن يونس بن يعقوب قال : سألت ابا عبدالله عليه السلام عن الرجل يشرب الدواء وربما قتل ، وربما سلم ، ومايسلم منه اكثر ، قال : فقال : انزل الله الدواء ، وانزل الشفاء ، وما خلق الله داء الا وجعل له دواء ، فاشرب وسم الله تعالى (٢) .

وعن يونس بن يعقوب ، قال : قلت لابى عبدالله عليه السلام : الرجل يشرب الدواء ، ويقطع العرق ، وربما انتفع به ، وربما قتله ، قال يقطع ويشرب (٣) .

وفى هذا المعنى روايات اخرى ايضا (٤) .

حفظ الاسرار الطبية :

سيأتى فى بحث عيادة المريض : البحث فى انه هل ينبغى للمريض كتمان مرضه أم لا ؟ والذى نريد : ان نشير اليه هنا هو كتمان الطبيب للاسرار الطبية ، ولابد

(١) البحار ج٦٢ ص ٧٤ .
(٢) الوسائل ج ١٧ ص ١٧٨ / ١٧٩ وطب الائمة ص ٦٣ .
(٣) الوسائل ج ١٧ ص ١٧٧–١٧٨ وروضة الكافى ص ١٩٤ .
(٤) الوسائل ج ١٧ ص ١٧٦–١٧٩ وفى هامشه مصادر اخرى .

من التكلم فى ذلك من ناحيتين :

الاولى : انه لابد وأن يحفظ الطبيب سر المريض فلا يبوح به لاحد.. وقد ورد فى الشريعة المطهرة الحث على كتمان سر المؤمن . ووعد الله ان يجعل من يكتم سر اخيه المؤمن يستظل بظل عرش الله يوم القيامة ، يوم لاظل الاظله . (١)

وعن عبدالله بن سنان قال : قلت له : عورة المؤمن على المؤمن حرام ؟ قال نعم ، قلت : سفلته ؟ قال : ليس حيث تذهب ، انما هو اذاعة سره . (٢)

كما انه اذا اطمأن المريض الى ان سره محفوظ ؛ فانه يصير اكثر شجاعة على البوح للطبيب بكثير من الامور التى قد يكون لها اكبر الاثر ، او الاثر الكبير فى معرفة حقيقة الداء ، الامر الذى يسهل على الطبيب وصف المناسب والناجع من الدواء . . كما انه يمكن ان تصدر من المريض الكثير من الامور التى يحب ان لا يعلمها منه احد . وهذا أمر طبيعى وواضح . .

نعم . . وقد امر الشارع المريض بان لا يكتم الطبيب مرضه ، لان كتمانه اياه يجعل الطبيب غير قادر على فهم حقيقة ما يعانى منه مريضه من جهة . .

هذا ان لم يكن ذلك سبباً فى ان يفهم غير ما هو الواقع ؛ فيصف له ليس فقط ما لا يجدى ، بل وما قد يضر بحالته ويكون له مضاعفات خطيرة جداً عليه من جهة اخرى . .

ووردان علياً (ع) اشار الى الجهة الاولى بقوله : من كتم مكنون دائه عجز طبيبه عن شفائه (٣) . وعنه (ع) : لاشفاء لمن كتم طبيبه داءه (٤) .

واشار الى الجهة الثانية فقال (ع) فيما روى عنه : من كتم الاطباء مرضه

---

(١) قصار الجمل ج ٢ ص ١٧٩ عن الوسائل كتاب النكاح باب ١٢ حديث ٣ .

(٢) اصول الكافى ج ٢ ص ٢٦٧ ط المكتبة الاسلامية والمحاسن ص ١٠٤ والوسائل ج ٨ ص ٦٠٨ وج ٢ ص ٣٦٧ وراجع هامشها .

(٣) غرر الحكم ج ٢ ص ٦٦٨ .

(٤) غرر الحكم ج ٢ ص ٨٣٣ .

خان بدنه (١) .

ولقد جاء في القسم المنسوب الى ابقراط : « . . . واما الاشياء التي اعانيها في اوقات علاج المرضى ، واسمعها في غير اوقات علاجهم في تصرف الناس في الاشياء ، التي لاينطق بها خارجاً ، فامسك عنها ، وارى ان امثالها لاينطق بـه . . » (٢)

وجاء في الوصية المنسوبة لابقراط ايضا ان الطبيب : «ينبغي ان يكون مشاركا للعليل مشفقا عليه ، حافظاً للاسرار ، لان كثيرا من المرضى يوقفونا على امراض بهم لايحبون ان يقف عليها غيرهم » (٣)

و قال علي بن العباس : «يجب على الطبيب ان يحفظ اسرار المريض ، ولا يفشيها ، لالاقاربه ولالغيرهم ممن يتصل به ، لان كثيراً من المرضى يكتمون مابهم عن اقرب الناس اليهم ، حتى والديهم ، و يبوحون بـه للطبيب كاوجاع الرحم و البواسير . . . فعلى الطبيب ان يحافظ علـى سر المريض اكثر من المريض نفسه (٤) .» .

الثانية : كتمان اسرار الطب عمن يمكن ان يسيء استعمالها .. وقد روى عن الصادق عليه السلام ان : «لكل شيء زكاة ، وزكاة العلم ان يعلمه اهله » (٥) وفي معناه غيره .

وعن علي (ع) : «شكر العالم على علمه ان يبذله لمن يستحقه» (٦) .

---

(١) غرر الحكم ج ٢ ص ٦٦٣ .

(٢) عيون الانباء ص ٤٥ .

(٣) عيون الانباء ص ٤٦ / ٤٧ .

(٤) تاريخ طب در ايران ج ٢ ص ٤٥٧ عن كتاب كامل الصناعة الطبية الملكي .

(٥) البحار ج ٢ ص ٢٥ وقصار الجمل ج ٢ ص ٥٦ وراجع اصول الكافي ج ١ باب سؤال العلم وتذاكره .

(٦) البحار ج ٢ ص ٨١ عن كنز الكراجكي وقصار الجمل ج ٢ ص ٦٠ .

وفي البحار ج٢ روايات متعددة يستفاد منها هذا المعنى .

وواضح ان من يسيء استعمال العلم ليس ممن يستحق العلم ،ولاهو من اهله ولعل من اظهر مصاديق هؤلاء العدو الغاشم ،فلابد من الاحتياط منه وعدم اطلاعه لاعلى الادوية ولاعلى اسرارها؛فعن على (ع) : ثلاثة لايستحى من الختم عليها : المال لنفى التهمة ،والجوهر لنفاسته،والدواء للاحتياط من العدو . (١)

واما بالنسبة لغير العدو فقد قال على بن العباس:ان على الطبيب ان«لايجوّز لهم الدواء الخطر ، ولايصفه لهم ، و لايدل المريض على ادوية كهذه ، و لايتكلم عنها امامه ، ولايجوز لهم الادوية المسقطة للجنين،ولايدل عليها احداً (٢)» .

وما ذلك الا لان الطب لم يكن الالخدمة الانسانية ، والتخفيف من آلامها، فاذا أسيىء استعماله،وكان مضرا بالانسان وبالانسانية،فان الانسانية تكون فى غنى عنه ، وليست بحاجة اليه .

وقدجاء فى القسم المنسوب الى ابقراط : «واما الاشياء التى تضر بهم ، وتدنى منهم بالجور عليهم فأمنع منها بحسب رأيى ، ولااعطى اذاطلب منى دواء قتالا ، ولااشير ايضاً بمثل هذه المشورة . و كذلك ايضاًلارى ان ادنى من النسوة فرزجة تسقط الجنين (٣)» .

تحرى الدقة فى اجراء الفحوصات :

وبعد . .فان على الطبيب ان يتحرى الدقة التامة فى مجال اجرائه الفحوصات للمريض ، فان ذلك بالاضافة الى انه من مقتضيات الامانة ؛ فانه مما تفرضه المشاعر الانسانية النبيلة بالنسبة لهذا الانسان الذى سلم امره اليه ،وعلق الكثير من آماله عليه ..وقد اشار امير المؤمنين على(ع) الى ذلك حينما قال ـ فيما روى عنه ـ : «لاتقاس عين فى يوم غيم»(٤) .وقدتقدم ما فيه اشارة الى ذلك أيضاً .

(١) شرح النهج للمعتزلى ج ٢ ص ٢٨٩ .
(٢) تاريخ طب در ايران ج ٢ ص ٤٥٧ عن كتاب :كامل الصناعة الطبية الملكى .
(٣) عيون الانباء ص ٤٥ . والفرزجة : شيى يتداوى به النساء. . .
(٤) الوسائل ج ١٩ ص ٢٨٠ والتهذيب ج١٠ص ٢٦٨ والفقيه ج ٤ ص ١٠١ .

من مواصفات الطبيب الحاذق :

وأخيراً . . .فقد ذكر البعض بعض المواصفات التي يفترض بالطبيب الحاذق أن يراعيها ويهتم بها...وقد تقدم بعض ما يشير الى نقاط منها...وبقي ان نشير منها الى ما يلي :

١ـ أن يعرف نوع المرض .

٢ـ أن يعرف سببه .

٣ـ معرفة المزاج الطبيعي للبدن .

٤ـ معرفة المزاج الحادث على غير المجرى الطبيعي .

٥ـ سن المريض .

٦ـ عادات المريض .

٧ـ ملاحظة حالة الجو الحاضرة وما ينسجم معها .

٨ـ ملاحظة كونه في اى فصل من فصول السنة .

٩ـ النظر في امكان المعالجة لتلك العلة، او تخفيفها، ام لا يمكن .

١٠ـ ملاحظة بلد المريض وتربته .

١١ـ النظر في امكان المعالجة بغير الدواء، كالحمية والغذاء والهواء، ثم بالادوية البسيطة ، ثم بالمركب . . . وهكذا . . .

١٢ـ النظر في الدواء المضاد لتلك العلة ، ثم الموازنة بين قوته وقوة ذلك المرض ، بالاضافة الى قوة المريض نفسه .

١٣ـ ان يربط المريض بالله ، واعتباره القادر على شفائه ، وتوجيهه نحو تصفية النفس ، والاخلاص له تعالى . . .(١)

انتهى ما أردناه من كلامه ، مع تصرف ، وزيادة ، وحذف . . . وبعضه يمكن استخلاصه مما تقدم ومن غيره من روايات أهل البيت عليهم السلام ، أو يدخل في قواعد عامة صدرت عنهم صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين. . .

(١) الطب النبوي لابن القيم ص ١١٢ـ١١٤ .

معالجة غير المسلم للمسلمين :

ولم يمنع الاسلام من مداواة اليهودى والنصرانى للمسلم ، فقدروى عن أبى جعفر عليه السلام ، قال : سألته عن الرجل يداويه النصرانى واليهودى ، ويتخذ له الادوية ، فقال : لابأس بذلك ، انما الشفاء بيدالله . (١)

وعن عبدالرحمان بن الحجاج قال : قلت لموسى بن جعفر (ع) : انى احتجت الى طبيب نصرانى ، أسلم عليه ، وأدعوله ، قال : نعم ، انه لاينفعه دعاؤك(٢) .

وقدداوى رجل يهودى بعض الناس على عهد النبى (ص) ، وأخرج من بطنه رجراجاً، كما تقدم (٣) كما أن الحارث بن كلدة قد عالج بعض الصحابة بامر من النبى ـ كما يقولون ـ مع أنهم يقولون : انه لايصح ان الحارث قد اسلم ،فراجع كتب تراجم الصحابة ، و المصادر المتقدمة فى الفصل الاول من الكتاب .

وقال الشهيد فى الدروس : يجوز المعالجة بالطبيب الكتابى ، وقدح العين عند نزول الماء (٤) .

وذلك يدل بوضوح على أن الاسلام يهتم بالكفاءات أينما وجدت ، و لان ذلك لا يؤثر على عقيدة الانسان المسلم ، ولافى سلوكه ، بل هو يساهم فى اعادة السلامة والمعافاة له . . . الامر الذى يمكّنه من العودة الى مجال الحياة والنشاط فيها ، وخدمة نفسه ومجتمعه على مختلف الاصعدة .

الا اذا كان ذلك يوجب مودة لليهود والنصارى ، ومحبة لهم ، تكون سبباً فى الانحراف عن الجادة المستقيمة ، والوقوع فى مهاوى الجهل والحيرة والضياع . .

---

(١) الوسائل ج ١٧ ص ١٨١ ، و البحار ج ٦٢ ص ٧٣ و ٦٥ و الفصول المهمة ص ٤٣٩ وقصار الجمل ج ١ ص ٢٠٩ .

(٢) الفصول المهمة ص ٤٤٠ ،والوسائل ج ٨ ص ٤٥٧ وقال فى هامشه : «الاصول ص ٦١٥ : أخرجه عنه ؛ و عن كتب أخرى فى كتب أخرى فى ج ٢ فى ١/ ٤٦ من الدعاء» انتهى. وقرب الاسناد ص ١٢٩ والبحار ج ٧٥ ص ٣٨٩ .

(٣) تقدمت المصادر لذلك . .

(٤) البحار ٦٢ ص ٦٥ و ٢٨٨ .

الفصل الرابع :

التمريض
و
المستشفى

بداية :

وبعد . . فقد حان الوقت لاعطاء لمحة سريعة عن المواصفات التى ينبغى توفرها فى المستشفى من وجهة نظر اسلامية .

ثم الاشارة الى علاقة الممرض بالطبيب وبالمريض . .

وبعد ذلك محاولة التعرف على رأى الاسلام الصريح فى تمريض وتطبيب الرجل للمرأة وعكسه ، وكذلك فى تشريح الموتى ، مع مراعاة الاختصار مهما أمكن . . فان كل ذلك مما تمس اليه الحاجة بالفعل . . فـ:

الى ما يلى من صفحات ...

المستشفيات النموذجية :

وبعد . .فانه اذا كانت خدمة المريض، والقيام بشؤونه يوجبان الاجر الجميل ، والثواب الجزيل ، حيث كان قريباً من الله ، مستجاب الدعاء ؛ فلابدوأن يكون فى محيط يتناسب مع حالته المتميزة هذه . .

ومن الجهة الاخرى . .فانه اذا كان المرض يجعل لدى المريض قابلية التفاعل ببعض التلوثات ، والاجواء الموبوءة ، الامر الذى يحمل معه احتمالات مضاعفات غير مرغوب فيها فى هذا المجال . . فان من المحتم ـ والحالة هذه ـ أن يكون المريض فى محيط يتوفر فيه عنصر الوقاية الصحية ؛ والابتاد عن كل مامن شأنه أن يؤثر عكسياً ، بشكل مباشر ، اوغير مباشر على المستوى الصحى له ..

واذا كان بحث الوقاية الصحية يعتبر من الموضوعات الاسلامية المتنوعة ، والمتعددة الابعاد ، وليست الاحاطة بها بالامر السهل اليسير ، وتحتاج الى دراسة معمقة ، وشاملة . . فاننا لايسعنا فى هذه العجالة الا ان نكتفى هنا بالاشارة الى بعض النقاط التى ترتبط بالحالة العامة فى المستشفيات ، وشؤونها وأوضاعها المختلفة ، وبعض مواصفاتها ، بشكل موجز ومحدود ؛ فنقول : . .

مواصفات المستشفى الاسلامى :

لقد ورد عن النبى الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ذكر لكثير من المواصفات

المطلوب توفرها في محل السكنى والمنازل.. ونستطيع أن نفهم من التأمل في الحكمة في اعتبارها ومطلوبيتها : أن توفرها في المستشفى الذى يعالج فيه المرضى اكثر ضرورة والحاحاً . . كما سنرى . .

ويمكن أن نجمل هذه المواصفات التى يمكن استخلاصها من الروايات على النحو التالى :

ألف : ماير تبط بموقع المستشفى . .

١ ـ أن تكون بقعته حسنة اللون جيدة الموضع (١) . .

٢ ـ أن يكون الهواء طيباً (٢) . .

٣ ـ أن يكون ثمة ماء غزير عذب ، بحيث يقع النظر عليه (٣) . .

٤ ـ أن يكون فى بقعة، تربتها لينة رخوة (٤) فى مقابل الصلبة .

---

(١) راجع : مكارم الاخلاق ص ١٢٥ / ١٢٦ و٢٥٣ والبحار ج ٧٦ ص ٢٦٥ عن المزار الكبير وص ١٥٤ ومن لايحضره الفقيه ج ٢ ص ١٩٥ و الوسائل ج ٨ ص ٣٢٤ والكافى ج ٨ ص ٣٤٩ والمحاسن ص ٣٧٥ .

(٢) راجع : تحف العقول ص ٢٣٧ والبحار ج ٧٨ ص ٢٣٤ .

(٣) راجع تحف العقول ص ٢٣٧ و ٣٠٦ والبحار ج ٧٨ ص ٢٣٤ وج ٦٢ ص ١٤٤ وج ٧٨ ص ٣٢٠ وج ١٠ ص ٣٦٨ والمحاسن ص ٦٢٢ والخصال ج ١ ص ٩٢ والوسائل ج ٣ ص ٥٨٩ وج ١٤ ص ٣٨ وقصار الجمل ج ٢ ص ٢٨٧ و ٣٢٨ .

(٤) تحف العقول ص ٢٣٧ والبحار ج ٧٨ ص ٢٣٤ وج ٧٦ ص ٢٦٥ عنه وعن المزار الكبير ومكارم الاخلاق ص ٢٥٣ ومن لايحضره الفقيه ج ٢ ص ١٩٥ والوسائل ج ٨ ص ٣٢٤ والكافى ج ٨ ص ٣٤٩ والمحاسن ص ٣٧٥ .

٥ ـ أن يكون كثير العشب والاشجار ، بحيث لايقع النظر فيه الا على الخضرة (١) . .

٦ ـ أن لايكون في منخفض من الارض، كواد ، ونحوه (٢) .

٧ ـ أن يكون في المدينة (٣) .

٨ ـ أن يكون بعيداً عن اماكن الضوضاء والضجة ، كالشوارع المزدحمة ونحوها (٤) .

٩ ـ جودة المنظر الطبيعي العام الذي يشرف عليه (٥).

١٠ ـ هذا . . بالاضافة الى لزوم كون المحيط نقياً وسالماً ، فلايكون في مرعى وبي ، ولا في مشرب دوى ، أي فيه داء، كما عن أمير المؤمنين عليه السلام (٦).

---

(١) الكافي ج ٨ ص ٣٤٩ ، و المحاسن للبرقي ص ٣٧٥ و ١٤ و ٢٢ و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٤٠، ومن لايحضره الفقيه ج ٢ ص ١٩٥ والوسائل ج ٨ ص ٣٢٤ و ج ٣ ص ٥٨٩ و ج ١٤ ص ٣٨ وقصار الجمل ج ٢ ص ٢٨٧ ومكارم الاخلاق ص ٢٥٣ ، وتحف العقول ص ٣٠٦ والخصال ج ١ ص ٩٢ و ج ٢ ص ٥٨ ، والبحار ج ٧٦ ص ٢٦٥ و ١٤١ و ٣٢٢ و ج ٦٢ ص ٤٤ ؛ و ج ٧٨ ص ٣٢٠ عن المزار الكبير وغيره .

(٢) من لايحضره الفقيه ج ٢ ص ١٩٣ و مكارم الاخلاق ص ٢٦٧ و ٢٦٥ و البحار ج ٧٦ ص ٢٦٥ عن المزار الكبير والوسائل ج ٨ ص ٣١٦ و ٣١٧ عن المحاسن للبرقي ص ٣٦٤ وقصار الجمل ج ١ ص ٣١٦ .

(٣) البحار ج ٧٦ ص ٢٧٧ عن دعوات الراوندي .

(٤) سيأتي بعض مايدل على ذلك . . .

(٥) فقد روى عن علي عليه السلام قوله: وأعوذ بك من . . وسوء المنظر في الاهل والمال . راجع نهج البلاغة بشرح عبده ج ١ ص ٩٢، ومستدرك الوسائل ج ٢ ص ٢٦ و ٢٧ وراجع: البحار ج ٧٦ ص ٢٩٣ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٤٢ و في هامشه عن امان الاخطار ص ٣٠ و غيره .

(٦) البحار ج ٦٦ ص ٤١٢ عن النهاية . . .

باء : ماير تبط بهندسة البناء بصورة عامة ؛ ونشير الى :

١ ـ أن يكون البناء حسناً (١) .

٢ ـ أن تكون الهندسة جيدة، بحيث تقل العيوب فيه بصورة عامة (٢) .

٣ ـ أن تكون الغرف واسعة ، وكذلك الدار ـ الساحة ـ (٣) .

٤ ـ أن لا يكون ثمة تماثيل وصور لذوات الارواح ، حتى ولو في السقوف (٤).

٥ ـ أن يكون مريحاً وهنيئاً (٥) .

٦ ـ أن يكون منظر كل شيء فيه مريح ومقبول (٦) ، لان ذلك

---

(١) البحار ج ٧٦ ص ١٤١ و١٧٦ وج٧٩ ص ٣٠٠ وراجع أمالى الطوسى ج١ ص ٢٨١ .

(٢) الخصال ج ١ ص ١٠٠ ومعانى الاخبار ص ١٤٩ و البحار ج ٧٦ ص ١٥٠ وفى هامشه عن أمالى الصدوق ص ١٤٥ .

(٣) الكافى ج٦ص٥٢٦و٥٢٥ ومكارم الاخلاق ص ١٢٥ و١٢٦ و٤٣٨ والمحاسن ص ٦١٠ و٦١١ ، وشرح النهج للمعتزلى ج ٢٠ ص ٣٤١و ٢٧٦ و قرب الاسناد ص٣٧ ومعانى الاخبار ص ١٤٩ ، والخصال ج ١ص ١٠٠ و١٢٦ و١٥٩ ومستدرك الوسائل ج٢ ص ٥٠ والوسائل ج ٣ ص ٥٥٧ ـ ٥٦٠ وج ١٤ ص ٢٤ والبحار ج ٧٦ ص ١٥٤ و٢٨٨ و١٤٨ حتى ص ١٥٥ ، وج٧٩ ص ٣٠٣و٢٨٩ وج ٧٧ ص ٤٦ و٥٣ عن نوادر الراوندى وعن أمالى الصدوق ص ٤٥وفقه الرضا ص ٤٨ . واولين دانشكاه ج ٢ ص ١٨٦ والتراتيب الادارية ج ١ ص ٢٨٢ و٢٩١ وقصار الجمل ج ١ ص ١٩٤ و٢٣٨ .

(٤) البحار ج ٧٦ ص١٥٩ والمحاسن ص٦١٢ حتى ص٦٢١ والكافى ج٦ص ٥٢٦ـ ٥٢٨ والوسائل ج ٣ ص ٥٦٠ـ ٥٦٣ ومصابيح السنة ج ٢ ص ٩٣و٩٤ .

(٥) راجع المصادر التى قبل الحاشية الاخيرة . . .

(٦) راجع كثيراً من المصادر التى سبقت لتعوذه عليه السلام حين سفره من سوء المنظر فى الاهل والمال . . والمصنف ج١١ص ٤٣٣ وج٥ ص ١٥٤ و١٥٥ و١٥٩ وفى هوامشه عن مصادر كثيرة جداً ونهج البلاغة ج ١ ص ٩٢ .

يبعث البهجة والارتياح في النفس .

٧ ـ أن يكون فيه مسجد (١) ،وأن تكون بقعة المسجد سهلة الموطىء ، طيبة الموقع (٢) .

٨ ـ أن يكون فيه حمام ـ شرط أن يكون في اكناف الدار (٣) .

٩ ـ أن يكون فيه بيت خلاء بشرط :

الف : أن يكون في أستر موضع من البناء (٤) .

باء : أن لا يكون في مقابل الشمس والقمر ، بحيث يستقبلهما المتخلي بفرجه (٥) .

جيم : أن لا يكون الى جهة القبلة (٦) .

١٠ ـ أن تتسع الغرف لاكثر من سرير واحد (٧) .

---

(١) المحاسن ص ٦١٢ والبحار ج ٧٦ ص ١٦١ و ١٦٢ و التراتيب الادارية ج ١ ص ٨٧ عن سنن أبي داود . .

(٢) المصنف لعبدالرزاق ج ١ ص ٥٠٩ / ٥١٠ عن علي عليه السلام وبهامشه عن ابن ابي شيبة ١٤٧/١ مخطوط .

(٣) الكافي ج ٦ ص ٥٢٩ والوسائل ج ٣ ص ٥٦٦ والمحاسن ص ٦٠٩ والبحار ج ٧٦ ص ١٥١ ومكارم الاخلاق ص ١٢٨ .

(٤) توحيد المفضل ، المطبوع مع أمالي الامام الصادق ج ١ ص ٢٠٥ والبحار ج ٣ ص ٧٦ وج ٨٠ ص ١٩٤ .

(٥) البحار ج ٨٠ ص ١٦٩ عن امالي الصدوق ص ٢٥٣ و ٢٥٤ .

(٦) المصادر لهذا كثيرة ؛ فراجع أي كتاب حديثي شئت .

(٧) حيث قد ورد النهي عن نوم الانسان وحده ؛ فراجع : مشكاة الانوار ص ٣١٩ والكافي ج ٦ ص ٥٣٣ و ٥٣٤ ، والمحاسن ص ٣٩٨ و الوسائل ج ١ ص ٢٣٢ و ج ٣ ص ٥٨١ ـ ٥٨٤ وج ١٦ ص ٥٢٨ ومكارم الاخلاق ص ٤٣٧ و ٤٣٦ والبحار ج ٧٤ ص ٢١ وج ٧٦ ص ٣٣٨ و ١٨٧ وج ٧٧ ص ٥١ و ٤٦ وج ٨٠ ص ١٧٠ و ١٨٢ و ١٧٣ والخصال ج ١ ص ١٢٥ و ٩٣ . ط سنة ١٣٨٩ ونقل عن ج ٢ ص ١٠٢ في طبعة أخرى وقصار الجمل ج ١ ص ٨٣ و ١٩ وج ٢ ص ١٢٠ وفقه الرضا ص ٤٨ وعن الفقيه ج ٢ ص ٣٣٦ .

١١ ـ أن لايتم الاستعمال للمبنى ولغرفه ، الابعد تجصيصه ، وبعدوضع الابواب والستائر للغرف (١). ولايكون فيه آثار الخراب . راجع : اولين دانشكاه ج ٢ ص ١٨٦ .

١٢ ـ أن لايزيدارتفاع سقف الغرف ـ بل البناء مطلقاً ـ على ثمانية أذرع (٢) ، ولايكون عدة طبقات أيضاً .

١٣ ـ أن لاتكون الشرف والميازيب ظاهرة الى الطريق ، فقدورد أنه : « اذاقام القائم عليه السلام : . . . ووسع الطريق الاعظم ، وكسر كل جناح خارج في الطريق ، وأبطل الكنف والميازيب الى الطرقات » (٣) . كما أن علياً عليه السلام ـ كماروى ـ كان يأمر بالمثاعب والكنف تقطع عن طريق المسلمين (٤) .

والمثعب : الميزاب ، أومسيل الحوض . و الكنف . جمع الكنيف ، وهو السقيفة اوالظلة تكون فوق باب الدار .

جيم : مايرتبط بأوضاع المستشفى الداخلية ، ونشير الى :

١ ـ أن تكون الغرف حسنة الترتيب ، من حيث وضع الوسائل المحتاج اليها فيها (٥) .

٢ ـ نظافة كل مايستعمله المريض من فراش ، ولحاف وثياب يلبسها

(١) الكافى ج٦ص٥٣٣ والوسائل ج٣ ص ٥٧٧ والبحار ج ٧٩ ص ٣٠٣/٣٠٤ وج ٧٦ ص ١٥٧ وفى هامشه عن قرب الاسناد ص ٩٠ وعن فقه الرضا ص ٤٨ .

(٢) المحاسن ص ٦٠٨ ـ ٥١٠ ومكارم الاخلاق ص ١٢٦ و١٢٧ والكافى فى ج ٦ ص ٥٢٩ والوسائل ج ٣ ص ٥٦٥ـ ٥٦٧ .

(٣) الارشاد للشيخ المفيد ص٤١٢ والوسائل ج ١٧ ص ٣٤٧ وأولين دانشگاه وآخرين پيامبر ج ٢ ص ١٩٣ والبحار ج ٥٢ ص ٣٣٣ و٣٣٩ والغيبة للشيخ الطوسى ص ٢٨٣ .

(٤) المصنف لعبدالرزاق ج ١٠ ص ٧٢ .

(٥) راجع مكارم الاخلاق ص ١٢٦ .

ونحو ذلك (١) .

٣ ـ كنس الغرف وتنظيفها ، سواء من الوسخ ، أو من حوك العنكبوت (٢) .

٤ ـ أن لا تبيت القمامة والتراب في الغرف خلف الباب مثلا ، بل لا بد ان تخرج نهاراً (٣) .

٥ ـ تنظيف أفنية المستشفى ، وكل ما يتصل به من ساحات ومرافق ، بل لقد اعتبر عدم نظافة الافنية من التشبه باليهود (٤) .

٦ ـ أن لا يكون في السقوف صور ، ولا يوضع في الغرف أي نوع من أنواع التماثيل لذوات الارواح ، وقد تقدم . .

---

(١) قرب الاسناد ص ٣٤ وأمالي الطوسي ج ١ ص ٢٨١ ، وكنز الكراجكي ص ٢٨٣ والوسائل ج ١ ص ٤١٧ وفي هامشه عن الفروع ج ٢ ص ١٥ والبحار ج ٧٦ ص ٢٢ و ٨٤ و ٨٥ و ١٤١ و ١٧٦ و ج ٧٨ ص ٩٣ وج ٧٩ ص ٣٠٠ و ٢٩٧ وفي هامشه عن الخصال ج ٢ ص ١٥٦ و ١٦٠ وغيره . .

(٢) الوسائل ج ٣ ص ٥٧١ و ٥٧٤ و ٥٧٥ ، والكافي ج ٦ ص ٥٣١ و ٥٣٢ ومرآة الكمال للمامقاني ص ٤١ ، والمحاسن للبرقي ص ٦٢٤ والبحار ج ٧٦ ص ٣١٤ و ٣١٥ و ٣١٦ و ١٧٥ و ١٧٧ وج ٦٦ ص ١٧٦ وفي هوامشه عن : قرب الاسناد ص ٣٥ وعن الخصال ج ٢ ص ٩٣ وعن جامع الاخبار ، وعن دعوات الراوندي والتراتيب الادارية ج ١ ص ٨٧ .

(٣) الكافي ج ٦ ص ٥٣١ والمحاسن ص ٦٢٤ والوسائل ج ٣ ص ٥٧١ و ٥٧٢ والبحار ج ٧٦ ص ١٧٧ و ١٧٥ وعن أمالي الصدوق ص ٢٥٤ ، وراجع المصنف لعبد الرزاق ج ١١ ص ٣٢ .

(٤) أمالي الطوسي ج ١ ص ٢٨١ ومكارم الاخلاق ص ١٢٦ و ١٢٧ و الكافي ج ٦ ص ٥٣١ والوسائل ج ٣ ص ٥٧١ ، والمحاسن ص ٦٢٤ وطب الصادق ص ٧٦ عن الاثني عشرية ، ورسالة آداب المتعلمين للمحقق الطوسي ، بهامش جامع المقدمات ص ١٩٨ والبحار ج ٦٦ ص ٤٠٤ و ج ٧٩ ص ٣٠٠ و ٣٠٣ و ٣٠٤ و ج ٧٦ ص ١٤١ و ١٧٦ و ٣١٥ و ٣١٦ و ٣١٨ وفي هامشه عن فقه الرضا ص ٤٨ وعن دعوات الراوندي ، وعن الخصال ج ١ ص ٢٨ و ٥٤ و ج ٢ ص ٩٣ وعن جامع الاخبار وغيرها . واولين دانشكاه ج ٢ ص ١٨٧ و ١٩٧ و ١٩٥ والطب النبوي لابن القيم ص ٢١٦ عن مسند البزار ، وراجع النهاية ج ٤ ص ١٤٧ .

٧ ـ أن تكون الثياب المستعملة في المستشفى لينة ، لانها تسمن البدن ، ويفرح بها الجسم (١) .

٨ ـ أن لايكون في المستشفى روائح كريهة (٢) .

٩ـ أن تكون الاسرة بحيث يكون المريض مستقبل القبلة ، نائماً كان أو مستيقظا (٣) .

١٠ـ أن يكون لكل مريض منديل يختص به (٤) .

١١ـ أن لايكون في الغرفة نار مشبوبة ؟ حين نوم المريض (٥) .

أضواء على بعض ماتقدم :

ان المحافظة على المريض ، وضمان عدم تعرضه لاية نكسة من أى نوع

---

(١) البحار ج ٧٩ ص ٢٩٩ و ج ٧٦ ص ١٤١ و ج ٧٢ ص ١٩٠ و ٦٢ ص ٢٦١ و ٢٩٥ وفي هوامشه عن : فقه الرضا ص ٤٦ وعن الخصال ج ١ ص ٧٤ و ج ٢ ص ٣٩ وعن طب المستغفرى .

(٢) قرب الاسناد ص ١٣ وأمالى الطوسى ج ١ ص ٢٨١ ، و الخصال ج ٢ ص ٦٢٠ والبحار ج ٧٦ ص ٨٤ و ١١٩ و ١٧٦ و ١٤١ و ج ٧٩ ص ٣٠٠ عن أمان الاخطار و غيره . و الوسائل ج ١ ص ٤٣٤ ، و الكافى ج ٦ ص ٤٩٢ و فيه : رواجبكم . بدل روائحكم ، والرواجب هى : أصول الاصابع .

(٣) مشكاة الانوار ص ٢٠٤ ومستدرك الوسائل ج ٢ ص ٧٦ عنه وعن لب اللباب ، و عن كتاب الغايات والبحار ج ٧٥ ص ٤٦٩ و ج ٧٧ ص ١٣٠ وتحف العقول ص ٢٠ وقصار الجمل ص ١٠٦ ج ١ .

(٤) فقد كان لامير المؤمنين عليه السلام خرقة يمسح بها وجهه اذا توضأ ، ثم يعلقها على وتد ، ولايمسها غيره . راجع : المحاسن ص ٤٢٩ والبحار ج ٨٠ ص ٣٣٠ .

(٥) مكارم الاخلاق ص ١٢٨ والوسائل ج ٣ ص ٥٧٧ والمصنف ج ١١ ص ٤٦ وفي هامشه قال : اخرجه الشيخان والترمذى ٣ : ٨٥ .

كانت ، ثم تهيئة الاجواء الملائمة والمناسبة للاتجاه بالمريض نحو الصحة والسلامة.. لايمكن أن يكون سهلا وميسوراً كما ربما يبدو لاول وهلة ، بل هو أمر صعب يحتاج الى معاناة ، والى جد وعمل ومثابرة . . . و نحن فى مجال اعطاء لمحة عامة عن بعض المواصفات التى تقدمت، والتى ينبغى توفرها فى المستشفيات من وجهة نظر اسلامية . . نشير الى النقاط التالية :

١ـ انه لابد وان يكون المستشفى فى الموضع الذى تشتد فيه حاجة الناس اليه ، ويمكن أن نفهم هذا ورجحان تكثير المستشفيات أو الاستعاضة عنها بالمستوصفات العامة فى الاماكن المختلفة ، من الرواية المتقدمة فى آخر الفصل السابق ، والتى يأمر فيها لقمان ابنه، بحمل الادوية معه فى السفر ، حتى اذا احتاج أحد المسافرين اليها ؛ فانها تكون فى متناول يده، الامر الذى يعكس مدى اهتمام الاسلام بصحة الناس وسلامتهم البدنية . . .

كما أننا يمكن أن نستفيد من ذلك : أن الاسلام يريد تعميم الطب ، وتيسير الوصول اليه والحصول عليه لكل أحد ، فى كل وقت ، ودون مشقة . .

ولابد وأن نفهم من ذلك أيضاً :أن الشارع يهتم فى أن لايكون فى المستشفيات أية تعقيدات ادارية تعيق المراجعين عن الوصول الى الطبيب والى الدواء بالسرعة الممكنة . .

٢ـ كما أن بعض ماتقدم وماسيأتى يجعلنا نبادر الى القول : بأن المستشفيات لابد وأن تخلو من كل مايوجب سخط الله سبحانه وتعالى ، والحرمان من رحمته وغفرانه ، لان المريض يعيش الحالة التى هى رحمة الهية ، وكرامة ربانية ، ومن موجبات زكاة النفس ، والطهارة من الذنوب ، كما صرحت به الروايات الكثيرة التى لامجال لنقلها هنا . . .هذا من الناحية السلبية .

ومن الناحية الايجابية فانه لابد وأن تتوفر فى هذه المستشفيات حالة روحية

تنسجم مع ماأخبر عنه المعصومون بالنسبة لدرجات القرب ، والرحمة والغفران للمريض ، ولكل من يقوم بخدمته ، أو يسعى لعيادته . كما سنشير اليه ان شاءالله تعالى . . .

٣ـ وبعد هذا . . . فلابد من توفير عنصر الهدوء في المستشفيات ، فلاضجة، ولاضوضاء فيها . . . الامر الذى يستدعى اضجار المريض ، وازعاجه وتبرمه ، وهو من أحوج الناس الى الراحة والطمأنينة ، هذا بالاضافة الى وجوب توفر عنصر الرحمة له ، واللطف به ، فلايصح اثارة عواطفه ولااغضابه . . .

وقد ورد عن أبى عبدالله الصادق عليه السلام قوله : «ثلاثة دعوتهم مستجابة : الحاج ، والغازى ، و المريض ؛ فلاتغيظوه ، ولاتضجروه » . أو «ولاتزجروه» (١) و قد ورد في القرآن الكريم الامر بغض الصوت على لسان لقمان فى نصائحه لابنه : .

«واغضض من صوتك،ان انكر الاصوات لصوت الحمير»(٢)

وقد نعى القرآن أيضاً على الذين يرفعون أصواتهم فوق صوت النبى (ص).. ويستفاد هذا المعنى ـ أى حسن غض الصوت ـ من آيات أخرى كذلك . . .

يقول الدكتور پاك نجاد رحمه الله تعالى :«لقد اثبتت التجارب على الحيوان أن الضجيج يزيد من حساسيتها تجاه الميكروب ،ويوجب مرض الكلى،وقرحة المعدة، بل يوجب الموت العاجل سواء بالنسبة للانسان،أوبالنسبة لغيره»(٣) .

ويقول : «قد ثبت لدى العلماء : أن السبب فى ازدياد تناول الاقراص المهدئة للاعصاب هو الضجيج الناشىء عن الكثافة السكانية،وبالخصوص ؛ فان وجود العمارات

(١) أصول الكافى ط المكتبة الاسلامية ج ٢ ص ٣٦٩ ،والبحار ج ٨١ ص ٢٢٥ عن عدة الداعى،والوسائل ج ٢ ص ٦٣٧ و ج ٤ ص ١١٦٢ عن أصول الكافى.

(٢) لقمان ١٩ .

(٣) أولين دانشكاه وآخرين پيامبر ج ١٥ ص ١٦٢ .

الشاهقة، وناطحات السحاب له أثر حتمي في تحطيم الاعصاب» (١) . . ويقول الدكتور هال : « يبدو أن السكنى في الطبقات العليا من البنايات لها مدخلية فيما يعانيه الساكن من غم ويأس . أما الذين يعيشون في غرف لامنافذ لها ، ولا يتصلون بالفضاء الخارجي الا قليلا ، فانهم يرتكبون خطأ اكبر (٢) ».

وذلك يوضح عدم صحة كون المستشفى مؤلفاً من طبقات عديدة ؛ فان ذلك يضر بحالة المريض ، كما يضر من نواح أخرى لامجال لها . . . وقد نهى الائمة عليهم السلام عن رفع البناء . . فعن الصادق (ع) أنه قال: اذا بنى الرجل فوق ثمانية أذرع نودي : يا أفسق الفاسقين اين تريد ؟ . وبمعناه غيره (٣) .

كما أن ذلك يوضح ضرورة بعد المستشفى عن الاماكن ، والشوارع المزدحمة بالناس وبالسيارات ، حيث العجيج والضجيج ، ويؤكد على لزوم كونه في مكان مطمئن وهادئ . . كما أنه لايمكن السماح بأي نوع من انواع الضجيج في داخل المستشفى ، ولاسيما في اوقات نوم المرضى ، فان النوم راحة الجسد (٤) ؛ فلابد من تمكين الجسد من التمتع بهذا القسط من الراحة .

٣ ـ لابد وأن تكون غرف المستشفى بحيث تتسع لاكثر من سرير واحد ، وذلك لورود النهي الاكيد عن نوم الانسان منفرداً . . ولابد وأن يتأكد ذلك النهي بالنسبة الى المريض الذي يتعرض لحالات طارئة ، بسبب مضاعفات المرض غير المتوقعة في أحيان كثيرة . . الامر الذي يحتم وجود آخرين معه من المرضى أنفسهم ، حيث لايمكن السماح للاصحاء بالتواجد معه في كثير من الاحيان . .

---

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ١٨٤ .

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ١٨٢ .

(٣) المحاسن للبرقي ص ٦٠٨ والوسائل ج ٣ ص ٥٦٦ و ٥٦٥ .

(٤) طب الصادق ص ٧٧ عن أمالي الصدوق .

كما أن الراحة النفسية للمريض تحتم سعة غرفته ، وسعة الساحة التي يشرف عليها ، هذا عدا عن أن الحث على عيادة المريض يفرض أن تكون الغرف بحيث تتسع لاستقبال زائريه، من دون أن يضر ذلك بحالته ، أو يؤدي الى اضجاره وازعاجه بأي نحو كان . . كما لابد للمريض من أن يشرف على فضاء أرحب ، وتكون الساحة الخارجية للمستشفى قادرة على تأمين ذلك بالاضافة الى قدرتها على تأمين الاحتياجات الطبيعية لمؤسسة كهذه... و الروايات تهتم كثيراً بالتأكيد على لزوم السعة في المنزل، وفي الساحة . . .

٥ـ لابد من رسم اوقات للعيادة ، بحيث تكون في كل ثلاثة أيام مرة، مع مراعاة عدم اطالة فترتها ـ وسنشير الى الروايات المرتبطة بذلك في الفصل الاتي ان شاء الله .

٦ـ وبعد . . فقد ورد في الروايات التأكيد الشديد على النظافة ، واعتبرت من الايمان . . ، . وان الله يكره من عباده القاذورة . . وقد ورد : أن غسل الثياب يذهب بالهم والحزن (١) وعن علي عليه السلام : من نظف ثوبه قل همه (٢).

ومعلوم: أن هذا الامر ـ يعني الهم ـ سيىء الاثر والعاقبة على المريض؛ اذ أن الهم نصف الهرم، كما عن علي عليه السلام(٣).. وعن النبي (ص): من كثر همه سقم بدنه(٤).. وعن الكاظم (ع) : كثرة الهم يورث الهرم (٥) .

نعم . . وقد أثبتت البحوث العلمية صحة هذا الامر ، فان الهم يرهق الاعصاب

(١) البحار ج ٧٦ ص ٨٤و٢٢ و في هامشه عن الخصال ج ٢ ص ١٥٦ و ١٦٠ .
(٢) كنز الفوائد للكراجكي ص ٢٨٣ ، و البحار ج ٧٨ ص ٩٣ عنه .
(٣) كنز الفوائد للكراجكي ص ٢٨٧ والخصال ج ٢ ص ٦٢٠ والبحار ج ٧٨ ص ٩٣ عن الاول .
(٤) أمالي الطوسي ج ٢ ص ١٢٥ والبحار ج ٧٧ ص ١٢٦ .
(٥) تحف العقول ص ٣٠١ والبحار ج ٧٨ ص ٣٢٦ عنه .

ويترك أثراً كبيراً على نشاط الجسم وحيويته ، واستمرار ذلك يؤدى الى السقم والمرض . . . وتفصيل ذلك موكول الى أهل الاختصاص فى محله .

و أما بالنسبة لنظافة الغرفة، وجميع ما فيها من وسائل ،وعدم ابقاء القمامة فيها ليلا . . وكذلك نظافة الساحات والافنية والمرافق ، فقد ورد التأكيد عليها كثيراً فى كلامهم عليهم الصلاة والسلام بالنسبة الى بيت السكنى ، وواضح أن تأكد ذلك بالنسبة للمستشفيات والمستوصفات اكثر وضوحاً، مادام أن ذلك يمس سلامة المريض النفسية ، هذا عداعما له من آثار جسدية أيضاً بملاحظة : أن التساهل والاهمال فى هذا الامر لربما يكون له مضاعفات لاتحمد عقباها بالنسبة للمرضى الذين يفترض الاهتمام بمعالجتهم ، و بابعاد كل ما يمكن أن يحمل ميكروباً عنهم ،لا بزيادة مشاكلهم ، ومتاعبهم وآلامهم . .

٧ـ وبعدهذا . . فانه اذاكانت النار المتوقدة فى الغرفة تساهم فى تقليل كمية الاوكسيجين فيها،فان من الطبيعى أن يترك ذلك أثراً على تنفس المريض ، حيث تقل كمية الاوكسجين التى تصل الى الجسم . ويمكن أن يترك ذلك أثرا سيئاً على الحالة الصحية العامة للمريض، ويحدث له مشاكل ومضاعفات جديدة، كان فى غنى عنها ، ولعل هذا هو بعض السر فى نهيهم عليهم السلام عن النوم فى الغرفة التى فيها نار مشبوبة .

٨ـ وأما بالنسبة لكون المكان كثير العشب والشجر (١) . . فان الامر فيه

(١) ان اهتمام الاسلام بالشجر والخضرة واضح جداً حتى لقد حرم على الحجاج قطع شجر الحرم ، وجعل عليهم الكفارة فى ذلك . . كما أن النبى (ص) كان يوصى المقاتلين بأن لايقطعوا شجراً ، ولايتلفوا زرعاً . . وفى وصية على عليه السلام لولده : «وان لا يبيع من أولاد نخيل هذه القرى ودية ، حتى تشكل أرضها غراساً» قال الرضى : «والمراد : أن الارض يكثر فيها غراس النخل ، حتى يراها الناظر على غير تلك الصفة التى عرفها ؛ فيشكل عليه أمرها، ويحسبها غيرها . .» راجع نهج البلاغة بشرح محمد عبده ج٣ ص٢٦ .وقال تعالى : «لقد ←

واضح ؛ فعداعن أن النظر الى الخضرة من شأنه أن يبعث البهجة والارتياح فى النفس ،ويجلو البصر . . فان هذه الاشجار والاعشاب بالذات هى التى تجعل الهواء طرياً وصافياً ، بالاضافة الى أنها تغنيه بمادة الاوكسيجين التى تفرزها ، والتى هى بمثابة الغذاء للجسم ، وتصل اليه عن طريق التنفس وعن طريق خلايا الجسم الظاهرة ، التى اهتم الاسلام بالمحافظة على قدرتها على القيام بوظيفتها عن طريق الامر بالنظافة والغسل ، وغير ذلك من أمور ضرورية لذلك . .

٩ـ أما وضع الاسرّة فى المستشفى ، بحيث يكون المريض مستقبلا للقبلة فى مجلسه و فى حال نومه . . فانه هام أيضاً؛ حيث ان ذلك يمكّن الجسم ـ بسبب ملاحظة بعض التوازنات بالنسبة للدورة الدموية وللجاذبية وغيرها ـ من أن يحتفظ بذرات الحديد المتواجدة فيه فى حالة متوازنة . وقد شرح ذلك المرحوم الشهيد الدكتور پاك نجاد فى كتابه أولين دانشكاه وآخرين پيامبر ،فراجع . .

وحسبنا ماذكرناه هنا ..فان استقصاء الكلام فى تلك الخصوصيات يحتاج الى وقت طويل وتأليف مستقل ، وغرضنا هنا هو الاشارة الى بعض ذلك ،لا كله . . وللتوسع مجال آخر . .

علاقة الطبيب بالممرض :

وأما عن العلاقة بين الممرض والطبيب ، فيجب أن تحكمها الروح الاسلامية والانسانية . .

← كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم، واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور» سبأ ١٥ .

وهذا كثير جدا . . وهو يعطى حقيقة القيمة التى يعطيها الاسلام للشجرة حتى ليهتم بتعويد الناس على المحافظة على الشجر والزرع ولو عن طريق وضع العقاب على المخالفة فى ذلك ، وحتى فى حال الحرب مع العدو .

وعلى الطبيب أن لا يرهق الممرض ، ويجعله يتضايق نفسياً ، لان ذلك يمكن أن يؤثر على معاملته و اخلاقياته مع المريض ، وبالتالى على مستوى خدمته له ونوعيتها .

كما أن على الممرض أن يحترم الطبيب ، ويسارع الى تلبية طلباته ؛ لانها انما تكون من أجل المريض وفى سبيله ، وليست طلبات شخصية له . .

واذا كان كل من الطبيب والممرض يسعيان الى هدف واحد ، و هو انقاذ المريض ، والتخفيف من آلامه ، ثم الحصول عن طريق ذلك على رضا الله سبحانه؛ فلما ذا لا يتعاونان على الوصول الى ذلك الهدف ، الذى يرضى الله ، و الضمير ، والوجدان الانسانى ؟! .

الممرض فى المستشفى :

وبعد كل ما تقدم . . فان العلاقة بين الممرض والمريض تصبح واضحة ، و كذا السلوك العام للممرض فى مختلف أحواله ومواقفه ؛ فان كل ذلك يجب أن يكون اسلامياً بكل ما لهذه الكلمة من معنى ؛ وما ذلك الا لان المريض ـ كما قدمنا ـ قريب من الله ، ومن رحمته وغفرانه ، وهو مستجاب الدعوة ، وليس مرضه الا كرامة ربانية ، ورحمة الهية .

واننا بملاحظة ما تقدم وغيره نستطيع أن نشير الى النقاط التالية:

١ـ ان على الممرض أن لا يزعج المريض ولا يغيظه ، بل يحافظ على مشاعره، ويهتم براحته النفسية بكل ما أوتى من قوة وحول . . ولا يحق له أن يزجره أو ينتهره بأى وجه . .

كما أن عليه أن لا يضجره كذلك . . وذلك عملا بقول الصادق عليه السلام : « فلا تزعجوه ولا تضجروه » ، أو « ولا تزجروه » . . وعنه عليه السلام : « اسماع الاصم

من غير تضجر صدقة هنيئة » (١) . وهذا يتأكد بالنسبة الى الممرض الذى ربما ينفد صبره احياناً ، بسبب المتاعب التى يتعرض لها فى عمله .

نعم . . وهذا هو ما تفرضه الاخلاق الانسانية الفاضلة ، و التعاليم الالهية الكريمة السامية ، وتضافرت عليه النصوص والاثار بالنسبة لغير المريض أيضاً ، فكيف بالنسبة اليه . :

نعم . . وهكذا الحال بالنسبة الى غير ذلك من أخلاق اسلامية و انسانية ، يفترض فى كل مسلم أن يتحلى بها ، ويعامل اخوانه المؤمنين على أساسها . .

٢ـ أن لا يكون ثمة تمييز بين الغنى والفقير ـ سواء فى قبول المستشفى لهما ، أم فى العناية والخدمات التى يفترض بالمستشفى والممرض ان يقدمها لكل منهما ، وقد تقدم ما يشير الى ذلك فى الفصل السابق .

٣ـ ان يكون الممرض نظيفاً حسن المظهر ، بالاضافة الى الاهتمام البالغ بالنظافة سواء بالنسبة للمريض ، او المستشفى بصورة عامة ، ثم تصريفه لجميع الشؤون المطلوبة منه ، والتى يحتاج المستشفى الى تصريفها بالسرعة الممكنة ، و الاتقان والجد اللازمين .

٤ـ انه لابد للذين يشرفون على المريض من أن لا يديموا النظر اليه ، وأن لا يسمعوه الاستعاذة من البلاء فان ذلك يجعله يلتفت الى نفسه ، و ما حاق بها من بلاء ـ ولاسيما اذا كان مبتلى بعاهة ظاهرة ـ ويعتبر أن هذا النظر اليه انما هو ليتجلى للناظر ذلك النقص الذى يحب هو اخفاءه . ولابد وأن يقايس هذا المبتلى بين النقص الذى يحيق به ، و بين كمال ذلك الناظر اليه ، و هنا لابد وأن يتملكه حزن عميق ، وشعور قوى بالمرارة والكآبة . .

وقد «كان محمد بن على لا يسمع المبتلى الاستعاذة من البلاء» (٢) والمراد

(١) البحار ج ٧٢ ص ٣٨٨ وثواب الاعمال ص ١٦٨ .

(٢) البيان والتبيين ج ٣ ص ٢٨٠ و ١٥٨ وعيون الاخبار ج ٢ ص ٢٠٨ .

بمحمد بن علي الامام الباقر عليه السلام.

و روى عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام : لاتنظروا الى اهل البلاء ؛ فان ذلك يحزنهم(١) .

وفي نص آخر عن النبي (ص):اقلّوا النظر الى أهل البلاء . . أو : لاتديموا النظر الخ . . .(٢)

وفي حديث آخر عنه (ص) : لاتديموا النظر الى المجذومين (٣) .

وواضح : أن هذا لايختص بالمشرفين على شؤون المريض ، بل يعم كل ناظر اليه من غيرهم أيضاً . .وان كان هؤلاء يتعرضون لهذا الامر اكثر من غيرهم ..

٥ـ هذا ، . ولابد من توفر عنصر حسن القيام على المرضى ، وحسن معاملتهم، كما أمر به على عليه السلام مولاه قنبراً ، ثم الاهتمام بقضاء حوائجهم ، فلايكلفون القيام اليها بأنفسهم . . وقد كان الامام الباقر عليه السلام اذا اعتل جعل في ثوب ، وحمل لحاجته ـ يعني الوضوء ـ وذلك أنه كان يقول : ان المشي للمريض نكس، كما تقدم .

وبعد . . فان المبادرة الى قضاء حاجات المريض تستدعي حصول الرضا منه، والدعاء له منه ، وسيأتي : أن دعاء المريض مستجاب ، كدعاء الملائكة . . هـذا كله عدا عن أن ذلك يوفر له الراحة والطمأنينة النفسية ،الامر الذي يجعله أقوى على مواجهة المرض الذي يلم به . . كما هو معلوم . .

واذا كان المريض من أهل بيته ؛ فانه يكون أعظم قربة وأجراً عند الله تعالى؛ فعن النبي (ص) :«من قام على مريض يوماً وليلة بعثه الله مع ابراهيم خليل الرحمان،

(١) مشكاة الانوار ص٢٨ ، والبحار ج٧٥ ص١٦ وطب الائمة ص ١٠٦ وقصار الجمل ج١ ص١٦٤

(٢) طب الائمة ص ١٠٦ والبحار ج ٧٥ ص ١٥ وج ٦٢ ص ٢١٣ .

(٣) الطب النبوي لابن قيم الجوزية ص ١١٦ عن ابن ماجة و في هامشه عن أحمد والطيالسي ، والطبراني والبيهقي ، وابن جرير والتراتيب الادارية ج ٢ ص ٣٤٢ .

فجاز على الصراط كالبرق اللامع» . (١)

وروى على بن ابراهيم فى تفسيره، فى قوله تعالى : انانراك من المحسنين، قال : كان يقوم على المريض (٢) .

وعن الصادق عليه السلام ، عن آبائه، عن النبى (ص) : من سعى لمريض فى حاجة ، قضاها ، أولم يقضها ، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه . فقال رجل من من الانصار ، بأبى أنت وأمى يارسول الله ، فان كان المريض من أهل بيته ، أوليس ذلك أعظم أجراً اذا سعى فى حاجة أهل بيته ؟ قال : نعم (٣) .

ومن الطبيعى : أن المريض يصير حساساً جداً ، نتيجة لاحساسه بالضعف ، وبحاجته الى الاخرين ؛ فيتأثر ، ويشعر بالمرارة لاقل شيء . . كما أن الناس الذين يقومون عليه ، انما يخدمونه وهم يرون فيه عبئاً ثقيلا على كواهلهم . .

وأما أولئك الذين يكلفون بنظافته ، و ابعاد القذارات عنه ، فان احساسهم بالتبرم و التضجر منه يزيد ، و شعورهم بالقرف و الاشمئزاز من حالاته ينمو ويتعاظم . . هذا بالاضافة الى انفعالاتهم النفسية ، تجاه معاناته للالام و المصائب التى يرونها ؛ فمن يقوم على المريض يوماً وليلة ؛ فانه لابد وأن يتحمل ويصبر، ويكبت عواطفه ،ويتحمل المشقات الروحية والجسدية، فيكون كابراهيم الخليل ، الذى كبت عواطفه و تحمل المحنة فى ولده الذبيح .

هذا . . وقد ورد نص بالخصوص بالنسبة للسعى فى قضاء حاجة الضرير ؛ فعن النبى (ص) :من كفى ضريراً حاجة من حوائج الدنيا ، ومشى فيها حتى يقضى

(١) عقاب الاعمال ص٣٤١ والوسائل ج ١١ ص ٥٦٥ ومستدرك الوسائل ج١ ص ٨٦ عن اعلام الديلمى ، والبحار ج ٨١ ص ٢٢٥ وج ٧٦ ص ٣٦٨ .

(٢) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٦١ .

(٣) امالى الصدوق ص ٣٨٧ ومن لايحضره الفقيه ج ٢ ص ١٠ وعقاب الاعمال ص ٣٤١ و الوسائل ج ٢ ص ٦٤٣ و ج ١١ ص ٥٦٥ و البحار ج٨١ ص٢١٧ وج ٧٦ ص ٣٦٨ و٣٣٥/ ٣٣٦ .

الله له حاجته ، أعطاه الله براءة من النفاق ، وبراءة من النار ، وقضى له سبعين حاجة من حوائج الدنيا، ولا يزال يخوض في رحمة الله حتى يرجع (١) .

هذا كله . عدا عن الروايات الكثيرة ، التي تحث على قضاء حاجات المؤمنين ومعونتهم ، وتعد بالاجر الجزيل ، والثواب الجميل على ذلك . .

وبعد . . فان ذلك هو ما تقتضيه الرحمة الانسانية ، التي تنشأ عن رؤية عجز وضعف الاخرين . وقد أشار الصادق عليه السلام الى ذلك ـ كما روى عنه ـ فقال : لا تنظروا في عيوب الناس كالارباب ، وانظروا في عيوبهم ، كهيئة العبيد ، انما الناس رجلان ، مبتلى ، ومعافى ، فارحموا المبتلى ؛ واحمدوا الله على العافية(٢). كما ورد أن الله انما يقبل الصلاة ممن يتواضع لعظمته . . . الى أن قال : ويكسو العارى ، ويرحم المصاب (٣) ..

بقي أن نشير أخيراً الى أنه لا مانع من أن تمرض المرأة الحائض ، المريض(٤). . والذى ورد النهي عنه هو أن تحضره حال احتضاره لا اكثر .

٦ـ وبكلمة جامعة ، . لابد أن يكون المحيط في المستشفيات والمستوصفات انسانياً ، واسلامياً الهياً بكل ما لهذه الكلمة من معنى . . وعلى ذلك . . فلابد من الاهتمام بالمحافظة على قواعد الشرع ، و التوجيهات الواردة عن المعصومين

(١) أمالى الصدوق رحمه الله تعالى ص ٣٨٦/٣٨٧ ومن لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ٩، وعقاب الاعمال ص ٣٤٠ ، والوسائل ج ٢ ص ٦٤٣ ، والبحار ج ٧٤ ص ٣٨٨ ، وج ٧٦ ص ٣٣٥ و ٣٣٦ .

(٢) تحف العقول ص ٢٢٥، والبحار ج ٧٨ ص ٢٨٤ وراجع ج ٨١ ص ١٧٣ عن دعوات الراوندى .

(٣) تحف العقول ص ٢٢٦ ، والبحار ج ٧٨ ص ٢٨٥ عنه .

(٤) الكافى ج ٣ ص ١٣٨ ، والبحار ج ٨١ ص ٢٣٠ ، والوسائل ج ٢ ص ٥٩٥ و ٦٧١ وفى هامشه عن التهذيب ج ١ ص ١٢١ وقرب الاسناد ص ١٢٩ .

ـ وقد تقدم بعضها ـ بدقة وامانة في مختلف المظاهر والمجالات .

تمريض ومعالجة الرجل للمرأة والعكس :

ويواجهنا هنا سؤال ، وهو : هل للرجل أن يتولى علاج ، وتمريض المرأة؟ وهل للمرأة ذلك بالنسبة للرجل ام لا ، واذا كان ذلك جائزاً ، فالى أى مدى ؟

وفي مقام الاجابة على هذا السؤال نقول :

اننا اذا راجعنا أحاديث جواز النظر لكل من الرجل والمرأة الى الاخر ، مع الاية الكريمة الامرة بغض البصر من قبل كل منهما عن الاخر . فاننا نخرج بنتيجة : أن اختلاط الرجال بالنساء وعكسه ، فضلا عن المعالجة والتمريض بالنظر أو باللمس أمر مرجوح ومرغوب عنه شرعاً ، ولكن لابد لنا هنا من التكلم في ناحيتين :

الاولى : في مداواة المرأة للرجل . ونشير الى :

١ـ اننا نجد في التاريخ : انهم يذكرون : أن عدداً النساء كن يداوين المرضى والجرحى ، كما سنرى ان شاء الله .

٢ـ عن علي بن جعفر ، عن أخيه عليه السلام قال : سألته عن الرجل يكون بأصل فخذه ، أو اليته الجرح ، هل يصلح للمرأة أن تنظر اليه ، أو تداويه ؟ قال : اذا لم يكن عورة فلا بأس (١) .

والمراد هنا: العورة بالمعنى الاخص ، لا ما كان عورة بالنسبة الى الجنس الاخر ، كما هو ظاهر .

---

(١) قرب الاسناد ص ١٠١/١٠٢ والبحار ج ١٠٤ ص٣٤ عنه ، والوسائل ج ١٤ ص ١٧٣ .

٣ـ قد تقدمت الرواية عن على ابن أبـى حمزة ، قال : قلت لابى الحسن عليه السلام : المرأة تقعد عند رأس المريض ـ و هى حائض ـ فـى حد الموت ؟ قال : لا بأس أن تمرضه ؛ فاذا خافوا عليه ، وقرب ذلك ؛ فلتنح عنه وعن قربه ؛ فان الملائكة تتأذى بذلك (١) .

وهذه الرواية هى العمدة. ولا يضر وجود على ابن ابى حمزة فى سندها ؛ لاننا نطمئن الى أن الشيعة ما كانوا يروون عنه الا أيام استقامته، أما بعد انحرافه ووقفه ؛ فقد كان الواقفة عند الشيعة منبوذين مبعدين كالكلاب الممطورة على حد بعض التعابير. وقد بحثنا هذا الموضوع فى كتاب ولاية الفقيه فى صحيحة عمر بن حنظلة، فليراجع .

واحتمال . . انصراف هاتين الروايتين الى تمريض ومداواة النساء والمحارم للرجل . . لا يمكن قبوله ، لعدم الشاهد على انصراف كهذا . . ولاسيما فى رواية على بن جعفر .

نعم يمكن أن يقال : انه لابد مـن حملها على صورة الضرورة، وانه هـو المنصرف منها ، كما سيأتى فى روايات معالجة الرجل للمرأة ، علـى اعتبار : أن الحكم الاولى المشترك بين الرجل والمرأة ، والثابت بالايات والروايات ، مطلق، ولم يفرق بين تطبيب الرجل للمرأة وعكسه . .

ويمكن أن يؤيد هـذا الانصراف بأنه لو كان هناك طبيبان أحدهما امرأة وأمامهما رجل مريض، فلو تولت المرأة معالجته فان الناس ينتقدون ذلك، ويستنكرونه ويستغربونه .

ويمكن أن يؤيد ذلك أيضاً بالرواية الاتية فى النظر الى الخنثى ، حيث وافق الامام عليه السلام فيها على عدم جواز نظر المرأة للرجل وعكسه ، وحكم بلزوم النظر فى المرآة . .

(١) قد تقدمت المصادر لهذه الرواية آخر الحديث على عنوان : الممرض فى المستشفى.

الا أن الانصراف المذكور غير سليم عن المناقشة ، فان التمثيل بالطبيبين الذين أحدهما امرأة لايدل على ذلك ، اذ من القريب جداً : أن يكون ذلك قد انغرس في أذهان الناس بسبب فتاوى العلماء على مر العصور ، من دون ان يتصل بزمان المعصوم، فلا يكون ذلك كاشفاً عن رأي الشارع . .

وأما بالنسبة الى الخنثى ، فان الرواية المذكورة ناظرة الى صورة النظر الى العورة منها ، وكلامنا انما هو في النظر الى ماسوى العورة . . كما أن تلك الرواية لم ترد في بيان التكليف في مقام المعالجة أو التمريض ، وانما في مقام بيان الطريقة التي يتم بها التعرف على حقيقة الخنثى لاجل الارث . .

وعدا عن ذلك . . فاننا يمكن أن ندعي أن السيرة كانت قائمة في زمن النبي (ص) وبعده على تولي النساء معالجة وتمريض الرجال . .

فقد كان لرفيدة خيمة في المسجد تعالج فيها المرضى ، وتداوى الجرحى ، ولما جرح سعد بن معاذ أمر النبي صلى الله عليه وآله أن يجعل في خيمتها حتى يعوده ، وكان (ص) يعوده في الصباح والمساء (١) .. كما أنها كانت تداوي جرحى المسلمين يوم بني قريظة (٢) .

وقيل : ان كعيبة بنت سعيد الاسلمية كانت تكون لها خيمة في المسجد لمداواة المرضى والجرحى ، و كان سعد بن معاذ عندها تداوى جرحه حتى مات . و هي

(١) سيرة ابن هشام ج٣ ص ٢٥٠ ، والاصابة ج ٤ ص ٣٠٢ و٣٠٣ عن ابن اسحاق ، وعن البخاري في الادب المفرد ، و في التاريخ بسند صحيح ، و أورده المستغفري من طريق البخاري ، وأبو موسى من طريق المستغفري والتراتيب الادارية ج ٢ ص ١١٣ وج ١ ص ٤٦٢ و٤٥٣/٤٥٤ عمن تقدم ، و الاستيعاب بهامش الاصابة ج ٤ ص ٣١١ ، و المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٨ ص ٣٨٧ عن الاصابة .

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٨ ص ٣٨٧ عن نهاية الارب ج ١٧ ص ١٩١ .

اخت رفيدة (١) و لعل خيمتهما واحـدة .

وكانت كل من: ليلى الغفارية ،وأم كبشة القضاعية ،وأم سلمة،ومعاذة الغفارية، وأم سليم ، وربيع بنت معوذ ، وأم زياد الاشجعية فى ست نسوة ،وأم أيمن ،وأم سنان الاسلمية ، وأم عطية الانصارية(٢) كن كلهن يخرجن معه(ص) فى الغزوات لمداواة الجرحى،ومعالجة المرضى. . بل ان أم عطية قد خرجت معه (ص) فى سبع غزوات من أجل ذلك (٣) وامرأة أخرى خرجت معه فى ست غزوات من أجل ذلك ايضاً(٤) .

وعن أنس ، قال :كان رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم يغز و بأم سليم ونسوة معها من الانصار، يسقين الماء،ويداوين الجرحى(٥) .

وعن ربيع بنت معوذ : كنا مع النبى (ص) نسقى ونداوى الجرحى ، ونرد القتلى(٦) .وعن حشرج ابن زياد الاشجعى،عن جدته أم ابيه،أنها قالت: انها خرجت فى

(١) الاصابة ج ٤ ص ٣٩٦ ، والتراتيب الادارية ج ٢ ص ١١٣ وج ١ ص ٤٥٤ .

(٢) راجع فيما تقدم ، كلا أو بعضاً : التراتيب الادارية ج ٢ ص ١١٣–١١٦ ومسند أحمد ج ٥ ص ٢٧١ و٨٤ وج ٦ ص ٤٠٧ وفى ج ٦ ص ٣٥٨ عن امرأة غفارية انها خرجت معه (ص) لذلك ، و قاموس الرجـال ج ١١ ص ٣٣ و٤٨ ، وسنن البيهقى ج ٩ ص ٣٠ ، والاصابة ج ٤ ص ٤٠٢ و٣٠١ ، و٤٣٣ و٤٨٧ و٤٥٤ وفيها عن ابى داود والنسائى ،وابن أبى عاصم ، والاستيعاب بهامش الاصابة ج ٤ ص ٣١١ و٤٧٢ و٤٠٤ ، وأسد الغابـة ج ٥ ص ٥٤٣ و٤٥١ ،وطبقات ابن سعد ج ٨ ترجمة أم سنان الاسلمية ، وصحيح البخارى ج ٢ ص ٩٧ ط سنة ١٣٠٩ وسنن الدارمى ج ٢ ص ٢١٠ ، وسائر المصادر التى فـى الهوامش التالية ، وفى تراجم المذكورات فى كتب الرجال . .

(٣) صحيح مسلم ج ٥ ص ١٩٩ ومسند أحمد ج ٥ ص ٨٤ .

(٤) المسند للحميدى ج١ ص ١٧٥ والبخارى ج ١ ص ١١٥ ط سنة ١٣٠٩ و فى موضع آخر ؛ ومسند أحمد ج ٥ ص ٨٤ .

(٥) المنتقى لابن تيمية ج ٢ ص ٧٦٨ عن مستدرك الحاكم ، وأحمد ،ومسلم ، وسنن البيهقى ج ٩ ص ٣٠ .

(٦) صحيح البخارى ، هامش فتح البارى ٦ص٦٠ و فتح البارى ج ١٠ ص١١٥ ، و أسد الغابة ج ٥ ص٤٥١ ، والاصابة ج ٤ ص ٣٠١ .

خيبر مع خمس نسوة أخريات لاجل مداواة الجرحى وغير ذلك ، فاسهم لهن (ص) تمرا (١) .

وعن أم سلمة ، قالت : كان رسول الله (ص) يغزو بنا نسوة من الانصار نسقى ونداوى الجرحى . (٢)

وعن الزهرى : كانت النساء تشهدن مع النبى (ص) المشاهد ، ويسقين الماء ويداوين الجرحى (٣). ومثل ذلك عن مالك فى العتيبة (٤) .

وسئل ابراهيم عن جهاد المرأة ، فقال : كن يشهدن مع رسول الله (ص) ، فيداوين الجرحى ، ويسقين المقاتلة (٥).

وكتب ابن عباس فى جواب نجدة الحرورى : كتبت الى تسألنى : هل كان رسول الله (ص) يغزو بالنساء ؟ وقد كان يغزو بهن ، فيداوين الجرحى (٦).

وعن يوم عماس يقول المسعودى وغيره : «وأقبل المسلمون على قتلاهم ، فأحرزوهم ، وجعلوهم وراء ظهورهم ، وكان النساء والصبيان يدفنون الشهيد ،

---

(١) راجع : مسند أحمد ج ٥ ص ٢٧١ ، والتراتيب الادارية ج ٢ ص ١١٥ عن أبى داود ، وفيه : حنين ، بدل خيبر وهما تكتبان فى القديم على نحو واحد ، وبلا نقط ، وهو سبب الاشتباه .

(٢) التراتيب الادارية ج ٢ ص ١١٥ عن السيرة الشامية ، عن الطبرانى .

(٣) التراتيب الادارية ج ٢ ص ١١٥ عن عبد الرزاق .

(٤) التراتيب الادارية ج ٢ ص ١١٦ .

(٥) مصنف عبد الرزاق ج ٥ ص ٢٩٨ وفى هامشه عن الشيخين بمعناه عن أنس ومسلم عن ابن عباس . والمنتقى ج ٢ ص ٧٦٨ ، وسنن ابن ماجة ج ٢ ص ٩٥٢ .

(٦) الام للشافعى ج ٤ ص ٨٨ ، وصحيح مسلم ج ٥ ص ١٩٧ ، وسنن البيهقى ج ٩ ص ٣٠ ، ومسند أحمد ج ١ ص ٢٢٤ : و ٣٠٨ والمنتقى ج ٢ ص ٧٦٨ عن احمد ومسلم ، وابن ماجة ، والترمذى ج ٤ ص ١٢٦ .

ويحملون الرثيث الى النساء ، ويعالجونهم من كلومهم الخ . .» (١)

فكل ذلك يكون مؤيداً لجريان السيرة على تمريض النساء للرجال ، كما دل عليه خبر على ابن ابى حمزة ، وعلى بن جعفر . . هذا . . ولكننا نجد فى مقابل ذلك :

١ـ ماروا الطبرانى من أن امرأة من عذرة استأذنت النبى (ص) ، أن تخرج فى جيش كذا وكذا ، فلم يأذن لها ، فقالت : يا رسول الله ، انه ليس أريد أن أقاتل ، وانما أريد أن أداوى الجرحى والمرضى ، أو أسقى المرضى ؟ !

قال : لو لا أن تكون سنة ، ويقال : فلانة خرجت لاذنت لك ، ولكن اجلسى (٢).

وروى بهذا المضمون له (ص) مع أم كبشة القضاعية (٣) . .

٢ـ كما أنه (ص) لم يأذن لام ورقة الانصارية بالغزو معه ، لمداواة الجرحى ، وتمريض المرضى (٤) .

ولكن الحقيقة هى : أن هذا لا يضر فى دلالة كل ماسبق ، بل هو مؤيد له ، لانه قد علل منعه لها فى الاولى بأنه : لا يحب أن يكون ذلك سنّة ، فهو لا يحب أن تجرى العادة على اخراجهن فى الغزو كذلك ، ولو لا ذلك لاذن لهن .

---

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٣١٧. وراجع : الفتوحات الاسلامية لد حلان ج ١ ص ١١٤ وتاريخ الطبرى ج ٣ ص ٥٨ والكامل لابن الاثير ج ٢ ص ٤٧٧ والعبر لابن خلدون ج ٢ قسم ٢ ص ٩٧ و٩٨ .

(٢) مجمع الزوائد ج ٥ ص ٣٢٣ وقال : رواه الطبرانى فى الكبير و الاوسط ، ورجالهما رجال الصحيح ، وحياة الصحابة ج ١ ص ٦١٨ عن المجمع . .

(٣) الاصابة ج ٤ ج ٤٨٧ والتراتيب الادارية ج ٢ ص ١١٥ .

(٤) الاصابة ج ٤ ص ٥٠٥ والاستيعاب بهامشها نفس الجلد والصفحة ، والتراتيب الادارية ج ١ ص ٤٧ عن طبقات ابن سعد ، وعن السيوطى فى الجمع ، وعزاه لابن راهويه ، وأبى نعيم فى الحلية ، والبيهقى ، قال : وروى أبو داود بعضه ، ومسند احمد ج ٦ ص ٤٠٥ وسنن ابى داود كتاب الصلاة ص ٦١ .

وأما بالنسبة لام ورقة ، فانه لم يظهر لنا الوجه في منعها، ولعله لخصوصية ترتبط بها ، لالاجل أن ذلك غير جائز للنساء مطلقاً .

وهكذا . . يتضح : أنه يمكن دعوى :أن السيرة كانت جارية في زمن الرسول على تمريض النساء للرجال . .

الاان يقال :ان السيرة هذه لم تثبت الامن طرق غير الشيعة ، فلاحجية فيها وهو كما ترى .

أويدعى اعراض المشهور عن خبرى ابن أبى حمزة ،وعلى بن جعفر، وهو موجب ـ عند البعض ـ لضعف سندهما ، ومن ثم عدم الاقدام على الافتاء بمضمونهما.. أوحملهما على صورة الضرورة ، وحمل ماتقدم نقله كله على هذه الصورة أيضاً (١). ولعل لاجل هذا نجد : اهل الفتوى لايفرقون ـ عموماً ـ بين الرجل والمرأة في هذه المسألة كماسيأتى.. كماأن الحمل على صورة الضرورة اوغيرها وملاحظة مايرمى اليه الشارع في تحديداته للعلاقات بين الرجل والمرأة يستدعى الاقتصار على العجائز منهن، كماهو واضح.

الثانية : مداواة و تمريض الرجل للمرأة :

وقد تقدم : أن جسد المرأة كله عورة بالنسبة الى الرجل ، وان كان النظر الى بعض المواضع ـ كالعورة ـ أشد قبحاً ومفسدة من النظر الى البعض الاخر ،كالذراع مثلا . . .

ومن هنا . ، فان معالجة المرأة تنحصر في النساء أمثالها ، فيجوز للمرأة أن تعالج المرأة ، لكن يحرم عليها النظر الى الفرج ، الا في مقام الضرورة ، فيقتصر

(١) فقد حمل البعض الروايات المتقدمة عن الصحابيات على ذلك . راجع ، التراتيب الادارية ج٢ص ١١٦عن ابن زكرى والقرطبى .

منهاعلى ماتندفع به ، فان امكن الاكتفاء بالنظر فى المرآة ، لم يجز التعدى الى النظر المباشر ـ كماسيأتى فى رواية النظر الى الخنثى ـ وان لم يمكن الا بالنظر المباشر جاز بمقدار الضرورة ، زماناً ، وكيفية ، ولايجوز الرجوع الى الرجال مع وجود المماثل . . ولاجل هذه الضرورة طلب أمير المؤمنين عليه السلام من داية الكوفة أن تنظر الى الجارية : أبكر هى ، أم ثيب (١) ، وروى مثله عن النبى (ص) (٢) الأن يقال : ان ذلك انما يتم باللمس وهو لايلازم النظر .

ثم هناك ما يدل على قبول شهادة النساء فيما لايحل للرجال النظر اليه ، كالولادة والنكاح (٣) ، فراجع ابواب الشهادات فى كتب الحديث والرواية . .

كما أنه اذا امكن الاكتفاء بالنظر لم يجز التعدى الى اللمس المباشر ، مع عدم امكان كونه من وراء ثوب ونحوه . . الى غير ذلك مما تقدمت الاشارة اليه . .

ويدل على عدم جواز مداواة الرجل المرأة مع امكان معالجة النساء لها . .

١ ـ ماعن على بن جعفر ، أنه سأل أخاه عن المرأة : يكون بها الجرح ، فى فخذها ، أوعضدها ، هل يصلح للرجل أن ينظر اليه ، ويعالجه ؟ قال لا (٤) .

٢ ـ وعن على بن جعفر عن أخيه عليه السلام ، قال : سألته عن المرأة : لها أن يحجمها رجل ؟ قال : لا (٥) . .

٣ ـ بل لقد روى أن أمير المؤمنين عليه السلام سئل عن الصبى : يحجم المرأة ؟ قال : اذا كان يحسن يصف ، فلا (٦) .

ولعل نظره عليه السلام الى كراهة أن يرى الصبى من المرأة المواضع الخفية

(١) وان كان ليس فى القصة تصريح بالنظر المباشر ، ولكن ذلك هو الظاهر منها ، فراجعها فى : طب الامام الصادق ص ١٨ / ١٩ والبحار ج ٦٢ ص ١٦٧ / ١٦٨ وقال : ان ذلك قد رواه جم غفير من علمائنا كابن شاذان وعن غيرهم كالاردبيلى المالكى .

(٢) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٣٩ .

(٣) راجع البحار ج ١٠٤ ص ٣٢١ ، باب شهادة النساء ، وغيره من الكتب . .

(٤) قرب الاسناد ص ١٠١ والوسائل ج ١٤ ص ١٧٣ ؛ والبحار ج ١٠٤ ص ٣٤ .

(٥) قرب الاسناد ص ١٠١ ، والبحار ج ١٠٤ ص ٣٣ / ٣٤ .

(٦) الوسائل ج ١٤ ص ١٧٢ والكافى ج ٥ ص ٥٣٤ .

اذا كان قد قارب البلوغ ، وصار يحسن يصف . . اوأنه ناظر الى الحجامة فى موضع يمنع عنه حتى الصبى . .

٣ ـ ويدل على ذلك الاخبار الدالة على الجواز فى حال الاضطرار كما سنرى.

نعم لو اضطرت المرأة الى أن يتولى الرجل معالجتها جاز ذلك ، ولكن بمقدار ما ترتفع به الضرورة، فقد روى :

١ ـ عن على (ع) فى المرأة يموت فى بطنها الولد ،فيتخوف عليها ؟ قال :لا بأس أن يدخل الرجل يده فيقطعه ، ويخرجه،اذا لم ترفق بها النساء(١) . .

٢ ـ عن الباقر عليه السلام: أنه سئل عن المرأة تصيبها العلل فى جسدها ، أيصلح أن يعالجها الرجل ؟ قال : اذا اضطرت الى ذلك فلا بأس (٢) .

وفى نص آخر: سألته عن المرأة المسلمة ،يصيبها البلاء فى جسدها :اما كسر أو جرح ، فى مكان لا يصلح النظر اليه ، فيكون الرجل أرفق بعلاجه من النساء ، أيصلح له النظر اليها ؟ قال : اذا اضطرت اليه فليعالجها ان شاءت (٣) .

٣ ـ ويقال : ان الشمردل قال للنبى (ص) : انى كنت اتطبب فما يحل لى ، فانني تاتينى الشابة ؟ قال : فصد العرق،وتحسيم الطعنة، ان اضطررت الخ (٤) » .

وأخيراً . فقد قال ابن ادريس فى السرائر :«اذا أصاب المرأة علة فى جسدها ، واضطرت الى مداواة الرجال لها ، كان جائزاً..وقال العلامة قدس سره فى المنتهى : يجوز الاستيجار للختان ، وخفض الجوارى الخ (٥) » .

هذا..ولكن قال فى العروة الوثقى : «يستثنى من عدم جواز النظر من الاجنبى

(١) البحار ج ٨٢ ص ١٢ و ج ١٠٤ ص ٣٦ ، وقرب الاسناد ص ٦٤ وفروع الكافى ج ١ ص ١٥٥ ، والوسائل ج ٢ ص ٦٧٣ وفى هامشه عنهما وعن التهذيب ج ١ ص ٩٨ .

(٢) البحار ج ٦٢ ص ٧٤ عن الدعائم . .

(٣) الوسائل ج ١٤ ص ١٧٢ والكافى ج ٥ ص ٥٣٤ .

(٤) الاصابة ج ٢ ص ١٥٦ .

(٥) البحار ج ٦٢ ص ٦٥ .

والاجنبية مواضع : « منها » مقام المعالجة ، ومايتوقف عليه من معرفة نبض العروق، والكسر ، والجرح ، والفصد، والحجامة ، ونحو ذلك ،اذا لم يمكن بالمماثل ، بل يجوز المس واللمس حينئذ (١)».

وقال : « اذا توقف العلاج على النظر دون اللمس ، أو اللمس دون النظر ، يجب الاقتصار على ما اضطر اليه ،فلا يجوز الاخر بجوازه (٢) » .

وقال نائب الامام السيد الخميني ، دام عزه وبقاه : « يستثنى من حرمة النظر واللمس في الاجنبي والاجنبية مقام المعالجة ، اذا لم يمكن بالمماثل ، كمعرفة النبض، اذا لم تمكن بآلة ، نحو الدرجة ، وغيرها . والفصد ، والحجامة ، وجبر الكسر ، ونحو ذلك . ومقام الضرورة ، كما اذا توقف استنقاذه من الغرق على النظر واللمس . واذا اقتضت الضرورة ، أو توقف العلاج على النظر دون اللمس ، أو العكس اقتصر على مقدار الضرورة ، فلا يجوز الاخر ، ولا التعدى » (٣) .

وأما النظر الى عورة غير المسلم وهم الذين لا يهتمون عادة بالتستر ، فيدخلون الحمامات بلا أزر ـ كما يفهم اجمالاً أو أن ذلك هو القدر المتيقن ـ فليس فيه اشكال شرعي ، كما نصت عليه الرواية المعتبرة (٤) .

النظر الى الخنثى :

وأما بالنسبة للنظر الى الخنثى فانه ينبغي الاجتناب عن النظر المباشر اليها لكل من الرجل والمرأة احتياطاً للدين . . فلو امكن معالجتها بواسطة المرآة تعين ذلك . وأما بالنسبة الى النظر الى العورة ؛ مع عدم معرفة مماثلها ،ليصار اليه،

(١) العروة الوثقى ص ٦٢٦ .
(٢) العروة الوثقى ص ٦٢٧ .
(٣) تحرير الوسيلة ج ٢ ص ٢٢٣ .
(٤) البحار ج ١٠٤ ص ٤٢ وج ٧٦ ص ٨٠ والوسائل ج ١ ص ٣٦٥ و ٣٦٦ والفروع ج ٦ ص ٥٠١ ومن لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٦٣ ومكارم الاخلاق ص ٥٦ .

لاخفيّة المفسدة بالنسبة الى نظر غير المماثل . . فقد سأل يحيى بن اكثم الامام الهادى عليه السلام ، عن قول على (ع): « ان الخنثى يورث من المبال»، وقال : فمن ينظر ـ اذا بال ـ اليه ؟ ، مع انه عسى أن تكون امرأة وقد نظر اليها الرجال ، أو عسى أن يكون رجلا وقد نظر اليه النساء ، وهذا لايحل .

فأجاب عليه السلام : ان قول على حق ، وينظر قوم عدول ؛ يأخذ كل واحد منهم مرآة ، وتقوم الخنثى خلفهم عريانة ، فينظرون فى المرايا فيرون الشبح فيحكمون عليه (١) .

تشريح الموتى :

لقد منع الاسلام من الاعتداء على جسد الميت المسلم ، بقطع رأسه ؛ أو كسر عظمه ، أوشق بطنه الى غير ذلك من أنحاء الاعتداء ، وقرر الدية والارش فى ذلك ، واعتبر ، أن حرمته ميتاً كحرمته حياً ، بل أعظم . كما فى بعض الروايات (٢) .

وهذا يعنى : أنه لايجوز ممارسة ما يسمى اليوم بالتشريح للميت ، سواء أكان لاجل التعلم ، أولاى سبب آخر ، الا اذا دعت الضرورة الى ذلك ؛ فانها حينئذ تقدر بقدرها . .

---

(١) راجع : البحار ج ١٠٤ ص ٣٥٨/٣٥٩ ، وج ٦١ ص ٢٥٤ ، وتحف العقول والسؤال فى ص ٣٥٦ والجواب فى ص ٣٥٩ ، وقضاء امير المؤمنين عليه السلام ص ١٥٧/١٥٨ ومناقب آل أبى طالب ج ٢ ص ٣٧٦ .

(٢) راجع فيما تقدم : التهذيب للشيخ ج ١٠ ص ٢٧١ حتى ٢٧٤ وج ١ ص ٤١٩ ، والاستبصار ج ٤ ص ٢٧٥ ـ ٢٩٨ والمحاسن للبرقى ص ٣٠٥ ، و العلل للصدوق ص ٥٤٣ باب ٣٣٠ والكافى ج ٧ ص ٣٤٨ و ٣٤٩ ونقله عن ج ١ ص ٣٠٢ ومن لايحضره الفقيه ج ٤ ص ١١٧ و ١١٨ ، وراجع : الوسائل ج ٢ ص ٨٧٥ و ج ١٩ ص ٢٤٧ ـ ٢٥١ والمسالك أواخر الجزء الثانى ، أواخر كتاب الديات ، و البحار ج ٨١ ص ٣٢٨ عن قرب الاسناد ص ١٧٠ ط نجف ص ١٣٠ ط حجر وغير ذلك .

ويمكن أن يقال :

ان الروايات يمكن ان تكون ناظرة الى التشريح ،أوقطع العضوعدواناً وتشفياً،فلاتشمل التشريح لغرض عقلائى ،كالتعلم مثلا . .

ولكنه كلام لايمكن قبوله : وذلك لامرين : أحدهما : أن بعض النصوص قد قررت الكفارة على من جرح ميتاً خطأ ،مع أنه لاعدوان فيه (١)(فتأمل). . الثانى : ان التعليل بأن حرمته ميتاً كحرمته حياً ، لم يفصل فيه بين صورة التعليم وبين غيرها . . فكما لايجوز ذلك لاجل التعليم فى حياته ، فكذا لايجوز ذلك فى حال موته . .

وأما الاستدلال على حرمة التشريح بأحاديث النهى عن المثلة ، فهو لايصح، وذلك لان النهى عنها يمكن أن يكون من أجل أن الغرض منها هو التشفى،وليس هذا أمراً عقلائياً . بخلاف التشريح ، فانه يتعلق به غرض عقلائى مطلوب ومرغوب فيه كالتعلم ونحوه . . هذا بالاضافة الى أن تجويز المثلة يستتبع أن يقدم العدو على مثل ذلك بالنسبة الى الشهداء من المسلمين ، فيكون سبباً لهتك حرمتهم ، وهو أمر مرغوب عنه شرعاً ، مع عدم ترتب فائدة معقولة على ماكان سبباً أوداعياً له كما قلنا . .

بقى أن نشير الى أنه قدورد فى بعض النصوص : أن حرمة «المؤمن» أو «المسلم»ميتاً كحرمته حياً ، (٢) أما باقيها ، فعبرت بـ«الميت»و«رجل ميت»ونحو

---

(١) المسالك آخر كتاب الديات والتهذيب ج ١٠ ص ٢٧٤ والاستبصار ج ٤ ص ٢٩٩ والكافى ج ٧ ص ٣٤٩ ومن لايحضره الفقيه ج ٤ ص ١١٧ والعلل للصدوق ص ٥٤٣ والمحاسن ص ٣٠٦ والجواهر ج ٤٣ ص ٣٨٤/ ٣٨٥ ومبانى تكملة المنهاج ج ٢ ص ٤٢٣ .

(٢) التهذيب ج ١٠ ص ٢٧٢ وج١ ص ٤١٩ ، والاستبصار ج ٤ ص ٢٩٧ ، والوسائل ج ١٩ ص ٢٥١ وفى هامشه عنهما وعن الكافى ج ١ ص ٣٠٢ .

ذلك . . و لم تذكر : أنه مؤمن أومسلم . . فيحمل المطلق منها على المقيد . . كما أنه يمكن دعوى انصراف سائر الروايات الى خصوص الميت من المسلمين ، لانه هو محل ابتلائهم ، وهو الذى يعنيهم السؤال عنه . .

وعليه فلا يشمل جثة من لم يكن مسلماً حتى ولو كان ذمياً . . وما ورد من وجوب الدية فى الذمى ، أوالارش فى اعضائه . . فانما هو حق جعل له من أجل حفظ حياته ، وعدم حصول فوضى فى المجتمع ، نتيجة للاعتداء عليهم ، كما تشير اليه موثقة سماعة ، التى تثبت الدية فى قتل الذمى .(١)

أما بعد موته ، فلا فرق بين جثته وبين غيرها من غير المسلمين . .

الا أن يتمسك بعموم التعليل ، ليشمل كل من كان له حرمة فى حال الحياة ، حتى الذمى مع عدم التفات الى ماذكرناه ، من ان ذلك حق له ، لا أكثر ، ولا أقل ، ولعل ذلك هو الداعى لصاحب القواعد لان يعتبر أن «فيه عشر دية الحر الذمى» (٢) . .

ولكن ما ذكرناه هو الاظهر والاقرب . .

أما بالنسبة للكافر المحارب للاسلام وللمسلمين ، والمعاهد ، فلا حرمة له حياً ، فلا تكون له حرمة بعد موته ، فلا مانع من تشريحه لاى غرض كان ، ولا دية ، ولا اثم فيه . .

---

(١) الوسائل ج١٩ ص ١٦٣ وفى هامشه عن التهذيب ج١٠ ص ١٨٨ والاستبصار ج ٢ ص ٢٧٠ .

(٢) الجواهر ج ٤٣ ص ٣٨٩ وفى هامشه عن : ايضاح الفوائد فى شرح القواعد ج٤ ص ٧٢٩ وفيه : «الذمى الحى» مكان : «الحر الذمى» . .

الفصل الخامس :

المريض وعواده

فى اجواء عيادة المريض :

و بعد . . فاننا لانرى حاجة الى التذكير بما لعيادة المريض من فضل عندالله تعالى . . وبمالها من آثار نفسية على المريض ، وعلى كل من يلوذبه ، بل وعلى العائد نفسه . .

وبديهى : أن هذه الاثار ستنعكس ـ ايجابياً ـ فى المستقبل على واقع التعامل فيما بينهم ، وعلى صميمية العلاقات وصفائها ..

ويمكن استجلاء بعض هذه الاثار من دراسة الواقع الذى يعانى منه المريض، وذووه معه ، وانعكاسات ذلك الواقع عليهم ايجاباً أوسلباً .

و بملاحظة هذه المعاناة وانعكاساتها نعرف : أنه لابدوان يكون الانفعال والتأثير فى أجواء العيادة متناسباً ومنسجماً معها الى حد بعيد . .

ونحن لانريد أن نفيض فى الحديث فى هذا المجال ، وانما نكتفى بهذه الاشارة ،ونترك المجال للقارىء الكريم فيما لوأحب التعمق والاستقصاء . .

أمانحن فنسارع الى الدخول فى التحديد للمواصفات التى لابد وأن يلاحظها كل من المريض ، وزائريه . . ونلاحظ مدى الدقة فى تنظيم العلاقة بين المريض و بينهم . حيث تعرضت الروايات لمختلف الخصوصيات فى هذا المجال ، وقد

تقدم أن من اطعم المريض شهوته أطعمه الله من ثمار الجنة وتقدم النهي عن ازعاجه ، والنهي عن اضجاره ، وغير ذلك مما لامجال لاعادته . . والذي نريد أن ننبه عليه هنا نستطيع أن نجمله في ضمن النقاط التالية . .

اعلام المريض اخوانه بمرضه :

لقد ورد في بعض الروايات المعتبرة عن أبي عبدالله عليه السلام : أنه ينبغي للمريض أن يؤذن اخوانه بمرضه ، فيعودونه ، فيؤجر فيهم ، ويؤجرون فيه . .

قال : فقيل له : نعم ، فهم يؤجرون فيه بممشاهم اليه ، فكيف يؤجرهو فيهم ، فقال : باكتسابه لهم الحسنات فيؤجر فيهم ، فيكتب له بذلك عشر حسنات ، ويرفع له عشر درجات ، ويمحى بها عنه عشر سيئات (١) .

اذنه لعواده بالدخول عليه :

كما وأنه ينبغي للمريض أن يأذن للناس بالدخول عليه ، من أجل أن يروا ما هو فيه فيخصونه بدعواتهم ، فانه ليس من أحد الا وله دعوة مستجابة . . والمراد بالناس على ماجاء في بعض النصوص هم الشيعة . . (٢)

هذا . . ولابد من الاشارة الى أن الدعوات الخالصة لاتكون الا عن رضا ومحبة ، وذلك يستدعي أن تكون السمعة والروابط فيما بينهم على درجة من الحسن ، و الصفاء ، و السلامة . . كما أن ربط الاخرين بالمريض ، و تحسيسهم بمشاكله ، واحساسهم بضعفه يجعلهم اكثر ارتباطاً به ، ويجعل احساسهم بالضعف أمام الله أعظم . . ثم يكون الاعتبار بما يرون غيرهم قد ابتلي به ، مع عدم ضمانة

(١) الكافي ج ٣ ص ١١٧ ، والسرائر ص ٤٨٢ ، والبحار ج ٨١ ص ٢١٨ عنه ، والوسائل ج ٢ ص ٦٣٢ ومكارم الاخلاق ص ٢٣٥ .

(٢) طب الائمة ص ١٦ ، والكافي ج ٣ ص ١١٧ ، والوسائل ج ٢ ص ٦٣٣ ، والبحار ج ٨١ ص ٢١٨ .

واقعية لهم تكفل عدم تعرضهم لابتلاء مشابه ـ يكون هذا الاعتبار ـ اكثر عمقاً، وأبعد أثراً . .

استحباب عيادة المريض :

لاريب في أن عيادة المريض محبوبة ومطلوبة لله تعالى ، ومستحبة شرعاً ، وقد ورد : أن من عاد مريضاً شيعه سبعون الف ملك ؛ يستغفرون له حتى يرجع الى منزله (١)

والاخبار في هذا المجال كثيرة، لا مجال لاستقصائها ، فمن أرادها فليراجعها في مظانها من كتب الحديث ، كالوسائل ج ٢ ، والبحار ، وغير ذلك .

حد القصد الى عيادة المريض :

ولربما يمكن أن يقال : ان قول النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «سر ميلا عد مريضاً» (٢) يستفاد منه عدم مطلوبية ذلك فيما فوق ميل . .

ولكننا بدورنا لا نوافق على هذه الاستفادة ؛ ونرى : أن من القريب جداً ، أن يكون المراد السير على الاقدام ونحوه ، فهو كناية عن مطلوبية تحمل المشقة في هذا السبيل ، ولو بأن يسير الانسان ميلا ، وليس في مقام تحديد المسافة التي تستحب منها العيادة . . واذن . . فحيث تتوفر الوسائل لعيادة المريض ولو بأن يسير اميالا بالسيارة مثلا ، فان ذلك يكون مطلوبا ومحبوباً ، بل يزيد محبوبية كلما زادت المشقة في ذلك . .

---

(١) الوسائل ج ٢ ص ٦٣٤ ، وفروع الكافي ج ١ ص ١٢٠ .

(٢) البحار ج ٧٧ ص ٥٢ وج ٧٤ ص ٨٣ عن نوادر الراوندي ص٥ وفقه الرضا ص٤٨ ومكارم الاخلاق ص ٤٣٧ ، ومستدرك الوسائل ج ٢ ص ٢٢ .

لاعيادة على النساء :

وأما بالنسبة لخروج النساء الى عيادة المريض ، فانه غير مطلوب منهن ، ولاأمرن به ، فقد ورد أنه : ليس على النساء عيادة (١) . . ولعل ذلك يرجع الى أن الشارع يرغب فى تقليل اختلاط الرجال بالنساء ، حفظاً للمجتمع من كثير من المتاعب ، التى ربما تنشأ عن أمر كهذا .. ومن أجل ذلك نجد الزهراء عليها السلام ترجح للمرأة : أن لاترى الرجل ، ولا الرجل يراها ، كأسلوب أنجح فى مقاومة كل مظاهر الانحراف ، ولو بعدم المساهمة فى ايجاد محيط يساعد عليه . فهو لا يريد أن يقطع اليد التى تسرق ، وانما يريد أن يهيىء الظروف التى تمنع حتى من التفكير بالسرقة ، التى تؤدى الى قطعها . .

العيادة كل ثلاثة أيام :

وقد لاحظنا : أن الروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام لم تصر على تكثير العيادة للمريض ، فلم تجعل العيادة له فى كل يوم ، بل هى توصى بأن تكون فى كل ثلاثة أيام مرة : بل عن الصادق عليه السلام : لاتكون العيادة فى أقل من ثلاثة أيام ، فاذا وجبت فيوم ، ويوم لا ، فاذا طالت العلة ترك المريض وعياله (٢)

(١) مستدرك الوسائل ج ١ ص ٩٦/٩٧ والخصال ج ٢ ص ٥٨٥ والبحار ج ٨١ ص ٢٢٤ و٢١٥ و٢٢٨ و ج ٨٢ ص ٧٩ و ج ٧٧ ص ٥٤ وفى هامشه عن الخصال ج ١ ص ٢١٨ و٩٧ وج ٢ ص ١٤٥ وعن مكارم الاخلاق ص ٥٠٠ وعن دعوات الراوندى ، وعن الدعائم .

(٢) الكافى ج ٣ ص ١١٧ و الوسائل ج ٢ ص ٦٣٨ وسفينة البحار ج ٢ ص ٢٨٥ ومستدرك الوسائل ج ١ ص ٨٤ والبحار ج ٨١ ص ٢٢٦ وفى هامشه عن مكارم الاخلاق ص ٤١٤ .

وقد احتمل البعض : أن المراد : أن العيادة لاتكون فى مرض لايستمر ثلاثة أيام . . ولكن هذا الاحتمال فى غير محله ، ولاسيما بملاحظة ذيل الرواية ، وبملاحظة رواية ، أغبوا فى العيادة وأربعوا ، فانها ظاهرة فيما ذكرناه .

و فى نص آخر عن النبى (ص) : أغبوا فى العيادة وأربعوا الا أن يكون مغلوباً (١) .

فالمراد من هذه الرواية هو: أنه اذا كان المريض غير مغلوب ، فتأخروا فى عيادته ...أما اذا كان مغلوباً فانه يعاد يوماً، ويوماً لا، حسبما ورد فى الرواية الاولى.. ويؤيده ما ورد فى ذيلها أيضاً .

لكن العلامة المجلسى رحمه الله يرى : أن المراد : أنه اذا كان مغلوباً فينبغى أن يترك المريض وعياله ، كما فى الرواية الاولى . والمراد بأغبوا :العيادة له يوما وتركه يوماً (٢) .

ونحن نستبعد ماذكره ، فانه اذا كان مغلوباً ، فان العيادة تتأكد، كما هو مقتضى الطبع والذوق و السليقة . . وأما اذا طالت العلة ، فانه أمر آخر : ويناسب ان يترك المريض وعياله ، ليمكن لهم مباشرة خدمته ، وتحمل مشقاتها ، فلا يزيد فى احراجهم ، كما أن المريض نفسه لا يرى نفسه عبئاً على غيره ، ولا يضطر لان يتطلب من عياله ما ربما لا يكون لديهم ميل الى تحمله و انجازه له . . والعيادة تكون كل ثلاثة أيام مرة ، وهو مايظهر من الرواية الاولى بقرينة ذيلها وبقرينة الرواية الثانية أيضاً ، والتى تفيد : أن الاحسن أن لاتكون متوالية ، بل الارجح أن يغب (أى يباعد) فى العيادة ، فتكون فى اليوم الرابع بعد الثلاثة أيام . .

هذا . . ولكن المجلسى رحمه الله قد فهم من الرواية الاولى : «أن المراد به: أنه لاينبغى أن يعاد المريض فى أول مايمرض الى ثلاثة أيام ، فان برىء قبل مضيها ، والافيوماً تعود ، ويوماً لاتعود . ويحتمل أن يكون أن أقل العيادة : أن يراه ثلاثة أيام متواليات ،وبعد ذلك غباً . أوأن أقل العيادة أن يراه فى كل

(١) أمالى الطوسى ج ٢ ص ٢٥٣ ومستدرك الوسائل ج ١ ص ٨٤ وسفينة البحار ج ٢ ص ٢٨٥ والبحار ج ٨١ ص ٢٢٢ عن الاول ، وعن الجوهرى ، والنهاية .

(٢) البحار ج ٨١ ص ٢٢٣ .

ثلاثة أيام ، فلما ظهر منه أن عيادته فى كل يوم أفضل استثنى من ذلك حالة وجوب المرض ، ولايخفى بعدالوجهين الاخيرين وظهورالاول» انتهى .(١)

ولكننا نرى ـ كماتقدم ـ أن الوجه الاخير هو الاظهر ؛ والاولان بعيدان.. وذلك بقرينة رواية أغبوا فى العيادة وأربعوا ، الاأن يكون مغلوباً .ولكن بمعنى أن العيادة فى الحالة الطبيعية هى بعد مضى ثلاثة أيام فيعوده فى اليوم الرابع ، فاذاثقل المريض،ووجبت،فانه يعوده يوما ويوماً لا . . فاذا طالت العلة ترك المريض وعياله..

العيادة بعد ثلاثة أيام :

وعن على عليه السلام : العيادة بعد ثلاثة أيام الخ (٢) . . فاذا شفى المريض قبلها فلاعيادة له . .و قد تقدم احتمال المجلسى ارادة هذا المعنى من الرواية الاولى المتقدمة تحت العنوان المتقدم، وقد تقدم :أنه ليس ظاهراً منها، والالوجب طرح الرواية الاخرى . . و ما ذكرناه نحن هناك هو الاوجه فى الجمع بين الاخبار . .

العيادة ثلاث مرات :

و على المؤمن أن يعود أخاه فى مرضه ثلاث مرات فاذازاد عن ذلك فقد طالت العلة . . فليتركه وعياله ، فقد روى عنه (ص) : العيادة ثلاثة،والتعزية مرة . (٣)

---

(١) البحار ج ٨١ ص ٢٢٦ ومستدرك الوسائل ج ١ ص ٨٤ عن المجلسى .

(٢) سفينة البحار ج ٢ ص ٢٨٥ ، والبحار ج٨١ ص ٢٢٨ وفى الهامش عن دعائم الاسلام ج ١ص ٢١٨ . ومستدرك الوسائل ج ١ ص ٨٤ و٩٦ عن الدعائم و الجعفريات ، وروى هذا المعنى ايضاً عن النبى (ص) فراجع مجمع الزوائد ج ٢ ص ٢٩٥ عن الطبرانى فى الاوسط وسنن ابن ماجة ج ١ ص ٤٦٢ والمنتقى ج ٢ ص ٦٧ .

(٣) البحار ج٨١ ص ٢٢٧ وفى هامشه عن مكارم الاخلاق ص ٤١٥ .

أوقات العيادة :

انه يفهم من النصوص : أنه لا يفرق في العيادة بين أن تكون صباحاً أو مساء، وقد روى عن أبي عبدالله عليه السلام ، أنه قال :أيما مؤمن عاد مريضاً حين يصبح شيعه سبعون الف ملك فاذا قعد معه غمرته الرحمة، واستغفروا الله عز وجل له حتى يمسي، وان عاده مساء كان له مثل ذلك حتى يصبح(١) .قال المجلسي : «ربما يستفاد منه : أن ما شاع من أنه لا ينبغي أن يعاد المريض في المساء لا عبرة به» (٢) .

وبهذا المعنى روايات كثيرة لا مجال لاستقصائها و تتبعها . . (٣) بل اننا نستطيع أن نقول :بما ان المريض في المساء يأخذه الملل ، ويتوقع قدوم الليل الذي يراه طويلا عليه .. فزيارته في هذا الوقت لها فائدة أيضاً ، لانها تخفف عنه وحشته، وترفع عنه حالة الملل ، والانتظار التي يعيشها، ولعله لاجل هذا نجد الامام الحسن(ع) يقتصر على ذكر العيادة في المساء ،فيقول لابي موسى حينما جاءه عائداً : «ما من رجل يعود مريضاً ممسياً الا خرج معه سبعون الف ملك يستغفرون له حتى يصبح، وكان له خريف في الجنة» (٤) . . او لعله لاجل أن أبا موسى قد زاره ممسياً فكان

(١) الكافي ج ٣ ص ١٢٠ وأمالي الشيخ ج ٢ ص ٢٤٨ ، ومستدرك الوسائل ج١ ص ٨٤ ومكارم الاخلاق ص ٢٣٦ والوسائل ج ٢ ص ٦٣٦ ، و البحار ج ٨١ ص ٢٢١ و٢٢٤ و٢٢٥عن دعوات الراوندي وغيره وسنن ابن ماجة ج ١ص٤٦٤وراجع المنتقى ج٢ ص ٦٦ وهامشه ومصابيح السنة ج ٢ ص ٧٧ وجواهر الاخبار والاثار المطبوع مع البحر الزخار ج ٣ ص ٨٦ .

(٢) راجع البحار ج٨١ ص ٢٢١ .

(٣) راجع جميع المصادر المتقدمة وغيرها في الصفحات المذكورة و ما قبلها وما بعدها ، ومجمع الزوائد ج ٢ ص ٢٩٦ عن ابي يعلى .

(٤) امالي الطوسي ج٢ ص١٧ و سفينة البحار ج ٢ ص ٢٨٥ ، و الوسائل ج ٢ ص ٦٣٧ والبحار ج ٨١ ص ٢١٥ و٢١٦ .

من المناسب ذكر هذا القسم من الحديث له، فلا يدل على الاختصاص : هذا ولكن الرواية قد رويت أيضاً بين علي وأبي موسى حينما جاء عائداً للحسن عليه السلام. وروى ما يشبه ذلك بين علي عليه السلام ؛ وبين عمرو بن حريث ، وفي كليهما ذكر العيادة في الصباح والمساء معاً(١).. ولا مانع من تكرر الحادثة في الجميع . .

العيادة لمن ؟ !

وقد ورد أنه لا عيادة لـ :

١ـ شارب الخمر ، فعن الرضا عليه السلام ، عن آبائه عليهم السلام : ان رسول الله (ص) قال : شارب الخمر ان مرض فلا تعودوه ... الخبر(٢) .

٢ـ أهل الذمة، فقد روى عنه(ص): لا تعودوا مرضاهم، ولا تشيعوا جنائزهم(٣) ولكن قد روى في الجعفريات بسنده : أن النبي (ص) عاد يهودياً في مرضه (٤) ،

---

(١) امالي الطوسي ج٢ ص٢٤٩ ، والبحار ج٨١ ص ٢٢١ و ٢٢٨ وعن دعائم الاسلام ج١ ص ٢١٨ ، ومستدرك الوسائل ج١ ص ٨٣ عن الاول وعن الدعائم ، وسفينة البحار ج٢ ص ٢٨٥ ، و٥٣٤ ، وسنن البيهقي ج٣ ص ٣٨٠/٣٨١ ، مستدرك الحاكم ج ١ ص ٣٤٩ و ٣٥٠ ، وتلخيصه للذهبي بهامش نفس الصفحة ، و صحيح الترمذي ج ٣ ص ٣٠٠/٣٠١ وسنن أبي داود ج٣ ص١٨٥/١٨٦ ،وراجع: سنن ابن ماجة ج١ ص٤٦٢ ،والترغيب والترهيب ج ٤ ص ٣٢٠ عن غير واحد والمصنف لعبد الرزاق ج٣ ص ٥٩٤ ، و المنتقى لابن تيمية ج٢ ص ٦٦ وهامشه عن غير واحد .

(٢) أمالي الصدوق ص ٣٧٤ ، والبحار ج ٨١ ص ٢٦٧ عن دعوات الراوندي ، ومستدرك الوسائل ج ١ ص ٩٦ . والوسائل ج١٤ ص ٥٣ وفي الهامش عن الفروع ج ٢ ص ١٩٠ وغير ذلك .

(٣) البحار ج ٨١ ص٢٢٤ عن دعوات الراوندي ،ومستدرك الوسائل ج١ ص٩٥.

(٤) مستدرك الوسائل ج ١ ص ٨٣ .

والذى يبدو لناهو : أنه اذا كان ثمة مصلحة فى عيادتهم ،فلامانع منها ، كما فعله النبى صلى الله عليه وآله ، اذ الظاهر : أن مرادهم بذلك اليهودى هو ذلك الغلام الذى مرض ، فعاده (ص) ، فكانت النتيجة هى أنه قد أسلم نتيجة لذلك . . كما روى (١) . .

أما حيث لامصلحة،فلايعادون، كماهو ظاهر الرواية الاولى. .

وأما بالنسبة لعيادة غير الشيعى ،فقد ورد الامر بها ، لان ذلك يوجب توثيق عرى المودة بين المسلمين وشد أزرهم على عدوهم ، وتقريب القلوب فيمابينهم ، كما أنه يعكس الاخلاق الرفيعة ، والانسانية الفاضلة .

فعن الصادق عليه السلام : اياكم أن تعملوا عملا نعيّر به . . . الى أن قال: صلوا فى عشائرهم ، وعودوا مرضاهم، واشهدوا جنائزهم ، ولايسبقونكم الى شيء من الخير الخ (٢) . . .

٣ـ و٤ـ و٥ـ عن النبى (ص) : ثلاثة لايعادون : صاحب الدمل ، والضرس ، والرمد . (٣)

---

(١) راجع سنن ابى داود ج ٣ ص ١٨٥ وسنن البيهقى ج ٣ ص ٣٨٣ والتراتيب الادارية ج ١ ص ٣٠ و ٣٩١ عن غير واحد ، والبحار ج ٨١ ص ٢٣٤ وفى هامشه عن امالى الصدوق ص ٢٣٩ .

(٢) الوسائل ج ١١ ص ٤٧١ وفى الهامش عن الاصول ص ٤١٩ وراجع البحار ج ٧٨ ص ٣٧٢ عن تحف العقول ص ٤٨٦ ومستدرك الوسائل ج ٢ ص ٣٧٤ عن دعائم الاسلام والبحار ج ٧٥ ص ٤٢٠ و ٤٣١ وج ٧٤ ص ١٦١ و ١٦٧ وامالى الطوسى ج ٢ ص ٢٨٠ وعن الكافى ، وعن المحاسن ص ١٨ ، وعن العياشى ج ١ ص ٤٨ وعن صفات الشيعة،وقصار الجمل ج ١ ص ٧٣ .

(٣) البحار ج ٨١ ص ٢٢٤ عن الجواهر للكراجكى ، ومستدرك الوسائل ج ١ ص ٨٤ ومجمع الزوائد ج ٢ ص ٣٠٠ عن الطبرانى فى الاوسط .

عـ وجع العين . . فقدورد عن الصادق (ع) : لاعيادة فى وجع العين(١).

ولكن قدورد : أن رسول الله(ص) قد عاد علياً عليه السلام فى وجع عينه (٢) الا أن يقال : ان قول الصادق المتقدم يحمل على نفى تأكـد الاستحباب ، وما فعله (ص) يحمل على الرجحان فى الجملة . . أوعلـى خصوصية لامير المؤمنين عليه السلام فى ذلك . .

عيادة الرجل للمرأة :

وقد ورد : أنه صلى الله عليه وآله و سلم قدعاد بعض النساء ، كأم العلاء ، وعاد ايضاً امرأة من الانصار فى مرض ألم بها (٣)..

عيادة بنى هاشم :

وان اكرام من ينتسب الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكون اكراماً للرسول نفسه ، اذاكان المكرم قاصداً لذلك . . ومن أولى من الرسول بالتعظيم والتكريم ؟ ! ..

---

(١) راجع هامش الحديث الاول الذى مرتحت عنوان : العيادة كل ثلاثة أيام .

(٢) الكافى ج ٣ ص٢٥٣ ، والوسائل ج ٢ ص ٦٣٨ ، ومستدرك الوسائل ج١ ص ٨٤ عن الجعفريات . وقدروى فى سنن ابى داود ج٣ ص ١٨٦ ، أنه (ص) عاد انساً فى وجع كان بعينه وكذا فى المنتقى ج ٢ ص ٦٦ و فى هامشه عن المنذرى والحاكم و غيرهما وسنن البيهقى ج ٣ ص ٣٥٨ ومستدرك الحاكم ج ١ ص ٣٤٢ و تلخيصه للذهبى بهامش نفس الصفحة .

(٣) راجع : الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٢٩٣ عن أبى داود وص ٢٩٨ عنه وعن الطبرانى والمصنف ج١١ص١٩٥/١٩٦ ومجمع الزوائد ج ٢ ص ٣٠٧ وتيسير المطالب فى امالى الامام ابى طالب ص ٤٢٧ .

كما أن اكرام بني هاشم ، الذين يتعرضون الى مختلف أنواع الاضطهاد والتنكيل ، ويتحملون المصاعب والمصائب بسبب ارتباطهم بالرسول (ص) ، و انتسابهم اليه ، هذا الاكرام يكون من أقرب القربات ، ولعل هذا يفسر لنا ما روى عن الامام الكاظم عن آبائه عليهم السلام ، عنه صلى الله عليه وآله وسلم :

«عيادة بني هاشم فريضة ، وزيارتهم سنة» (١) .

عيادة الاقارب :

وقد ورد في وصية أمير المؤمنين عليه السلام لولده : « واكرم عشيرتك فانهم جناحك . . الى أن قال : وأكرم كريمهم ، وعد سقيمهم» (٢) .

استحباب الهدية للمريض :

ولان المريض يحتاج الى اظهار المحبة والعطف ، و لان ذلك يربط على قلبه ، ويجعله يطمئن الى محبة الاخرين له ، فان الهدية له تكون تعبيراً عن هذا الحب ، وهذا العطف .

وقد روى بعض موالي الامام الصادق عليه السلام قال : مرض بعض مواليه ، فخرجنا اليه نعوده ، ونحن عدة من موالي جعفر ، فاستقبلنا جعفر في بعض الطريق ، فقال لنا : اين تريدون ؟ فقلنا : نريد فلانا نعوده ، فقال قفوا ، فوقفنا . .

فقال : مع احدكم تفاحة ، او سفرجلة ، او أترجة ، او لعقة من طيب ، او قطعة من عود بخور ؟

فقلنا ، مامعنا شيء من هذا .

فقال : اما تعلمون ان المريض يستريح الى كل ما ادخل به عليه ؟ (٣)

---

(١) مستدرك الوسائل ج ١ ص ٨٣ عن البحار ، عن كتاب الامامة والتبصرة .

(٢) كشف المحجة ص ١٧٣ ، والبحار ج ٧٧ ص ٢١٨ عنه .

(٣) الوسائل ج ٢ ص ٦٤٣ و الكافي ج ٣ ص ١١٨ و مكارم الاخلاق ص ٢٣٦ ، والبحار ج ٨١ ص ٢٢٧ عنه .

عدم شكوى المريض الى عواده :

لقد ورد فى كثير من النصوص الدعوة الى كتمان المرض ، و اعتبار ذلك من كنوز البر (١) ، وان من كتم وجعاً اصابه ثلاثة ايام من الناس ، وشكا الى الله عزوجل كان حقاً على الله ان يعافيه منه (٢) ، وان من مرض ليلة ولم يشك ما اصابه فيها الى احد كتب الله له عبادة ستين سنة (٣) ، وان المريض فى سجن الله مالم يشك الى عواده (٤) .

وقد مدح امير المؤمنين عليه السلام رجلا ، فكان مما قال : «وكان لا يشكو وجعاً الا عند برئه» .(٥)

وهناك مضامين اخرى فى هذا المجال ، لامجال لتتبعها ، فلتراجع فى

---

(١) أمالى المفيد ص ٤ ، و المواعظ العددية ص ٦ ، و تحف العقول ص ٢١٦ . والبحار ج ٨٢ ص ١٠٣ وج ٨١ ص ٢٠٨ وج ٧٨ ص ١٧٥ ، وص ٣٦/٣٧ و ١٣٧ لكنه عبر بكتمان المصيبة هنا وج ٧٧ ص ٤٢٣ عن المصادر التالية : دعوات الراوندى ، وشهاب الاخبار ، وارشاد المفيد ص ١٤٠ وبعض من تقدم. وغرر الحكم ج ١ ص ٣٦٤ .

(٢) الوسائل ج ٢ ص ٦٢٨ وفى هامشه عن الخصال ج ٢ ص ١٦٦ و البحار كتاب الايمان والكفر باب ١٢ حديث ٥٤ وج ٨١ ص ٢١١ و ٢٠٣ وج ٦٢ ص ٢٨٧ عن الشهيد رحمه الله وعن معانى الاخبار والخصال وغرر الحكم ج ٢ ص ٦٤٦ .

(٣) مشكاة الانوار ص ٢٨١ والكافى ج ١ ص ١١٥ و ١١٦ والوسائل ج ٢ ص ٦٢٧ وراجع البحار ج ٨١ ص ٢١٥ عن ثواب الاعمال ص ١٧٥ .

(٤) مستدرك الوسائل ج ١ ص ٨١/٨٢ عن الدعائم والبحار ج ٨١ ص ٢١١ وفى الهامش عن الدعائم ص ٢١٧ وعن النهج وبمعناه غيره فراجع البحار ، فصل : عيادة المريض.

(٥) نهج البلاغة ، قسم الحكم، الحكمة رقم ٢٨٩ و البحار ج ٨١ ص ٢٠٤/٢٠٥

مظانها (١) .

ونريد ان نشير هنا : الى ان هذه النصوص ناظرة الى الكتمان الذي يكون من اجل الاعتماد على كرم الله سبحانه ، والطافه ، و يعطى المريض دفعة روحية قوية ، تكون ثمرتها القرب من درجة المتوكلين ، التي هي من أعظم الدرجات . والتي يفوز من وصل اليها ، ويرتاح ويسعد من حصل عليها . .

وأكثر من ذلك ، فان الانسان يصير مقتنعاً تماماً بأن الله وحده هو الذى يملك النفع والضرر . وهو الشفاء ، و منه الشفاء ، وبه الشفاء . وأن كل من سواه لايستطيعون بدونه حيلة ، ولايهتدون سبيلا .

نعم . . يمكن أن يكونوا واسطة لافاضة الخير من قبل الله تعالى ، مالك كل شيء وخالقه . .

ولعل الى هذا يشير ماورد في النصوص المتقدمة من التاكيد على لزوم كون الشكوى الى الله سبحانه لاالى غيره . .

فان ذلك ليس الا من أجل أن يمر هذا الانسان بالتجربة الروحية التي تصهره في بوتقتها ، وتنفى كل خبث عنه ، وليخرج بعد ذلك طاهرا مطهراً نقياً . .

وما أحلى التجربة ، وما أنجحها وأنجعها في هذا الوقت الذى يشعر فيه الانسان بالضعف وبالحاجة ، ويبقى ثلاثة أيام يعيش في الاجواء الالهية ؛ مع الله الغنى والقوى

(١) المحاسن للبرقي ص٩ ، والبحار ج ٧٦ ص ٣٣٥ وج ٨١ ص ٢٠٣ و٢٠٨ ، و٢٠٦ و١٧٧ عنه وعن دعوات الراوندى ، ومجالس الصدوق ص ٢٥٨ / ٢٥٩ ، ومستدرك الوسائل ج ١ ص ٨١ ، و الوسائل ج ٢ ص ٦٢٨ و٦٢٧ و من لايحضره الفقيه ج ٤ ص ١٠/٩ والكافي ج ١ ص١١٦ و١١٥ و مجمع الزوائد ج ٢ ص ٢٩٥ عن الطبراني ، والاوسط ، و مستدرك الحاكم ج ١ ص ٣٤٩ و تلخيصه للذهبي ، بهامش نفس الصفحة ؛ والترغيب والترهيب ج ٤ ص ٢٩٢ وغرر الحكم ج ٢ ص ٦٦٢ .

والمالك لكل شيء . . وتكون ظروفه الخاصة هذه ، وهذه الاجواء التى يعيشها سبباً فى أن يخرج من مرضه هذا بروحية جديدة ، تؤثر على كل حالاته ، و مجمل سلوكه تأثيراً قوياً وبعيداً وشاملا فى أحيان كثيرة. ولربما يعادل الرقى الروحى والانسانى الذى يحصل عليه خلال ليلة واحدة فقط مايحصل عليه من عبادة ستين سنة، كما جاء فى الرواية . .

وبملاحظة النصوص التى وردت فى هذا المجال نعرف : أن الشكوى التى ورد الترغيب فى الابتعاد عنها هى الشكوى التى تستبطن استدرار عطف المشكو اليه ، نتيجة لشعوره بضعف الشاكى وعجزه ، والله لايريد لعبده أن يكون ضعيفاً وعاجزاً الا أمام الله عزوجل . . .

ومن الجهة الاخرى ، فان الله تعالى لايريد لعبده أن يعتقد بأن غير الله تعالى يملك له شيئاً من النفع أو الضر ، فان هذا أمر مرغوب عنه ومرفوض ، لان الله وحده هو مالك كل شيء ، وبيده النفع والضر ؛ وهو الكبير المتعال . .

وكذلك . . فان الشكوى التى تستبطن استعظام الامر الذى نزل بالشاكى واعتباره أن ذلك ينافى عدل الله سبحانه وتعالى ولطفه ورحمته . . ان هذه الشكوى مرغوب عنها شرعاً ، ومرفوضة جملة و تفصيلا ، بل لابد من الصبر و التسليم ؛ فعن الصادق عليه السلام : من اشتكى ليلة فقبلها بقبولها ، و أدى الى الله شكرها كانت له كفارة ستين سنة ، قال : قلت : وما قبلها بقبولها ؟ قال صبر على ما كان فيها (١) . . وعنه عليه السلام ، أيما رجل اشتكى ، فصبر واحتسب ، كتب الله له من الاجر أجر الف شهيد (٢) . . وعن النبى (ص) ، أنه قال : يكتب أنين المريض

(١) البحار ج ٨١ ص ٢٠٥ وفى الهامش عن ثواب الاعمال ص ١٧٥ .

(٢) طب الائمة ص ١٧ والبحار ج ٨١ ص ٢٠٦ عنه وعن اعلام الدين .

حسنات ماصبر ، فان جزع كتب هلوعاً (١) .

وورد : أن الصادق عليه السلام سئل عن حد الشكاية للمريض ، فقال : ان الرجل يقول : حممت اليوم ، وسهرت البارحة ، وقد صدق ، وليس هذا شكاية ، وانما الشكوى أن يقول : قد ابتليت بمالم يبتل به أحد ، ويقول : لقد أصابنى مالم يصب أحداً (٢) . .

قال المجلسى رحمه الله تعالى : « هذا تفسير للشكاية التى تحبط الثواب ، والافالافضل : ان لايخبر به أحداً ، كما يظهر من الاخبار السابقة . ويمكن حمله على الاخبار لغرض كاخبار الطبيب مثلا » (٣) .

فالاخبار بالمرض لايلازم الشكوى ، كمادل عليه الخبر الانف . . وقدتقدم أيضاً : أن المريض فى سجن الله مالم يشك الى عواده . وأن من مرض يوماً وليلة فلم يشك الى عواده ، بعثه الله يوم القيامة مع خليله ابراهيم . وأنه ما من عبد ابتليته ببلاء فلم يشك الى عواده الا أبدلته لحماً خيراً من لحمه (٤) الخ . . وكل ذلك يدل على أن الاخبار بالمرض شيىء ، والشكوى المرغوب عنها شيىء آخر . . وأما اختلاف الروايات فى الترغيب بعدم الشكوى ليلة ، أوثلاثة أيام ، أو مطلقاً ، فيحمل على اختلاف درجات الفضل فيها . .

واما رواية من كتم وجعاً أصابه ثلاثة أيام الخ . . فيمكن أن يقال ؛ ان المراد فيها ، أن اخباره لاخوانه بعدالثلاثة يصير له فضل . أوأن المراد بالكتمان

---

(١) البحار ج ٨١ ص ٢١١ وفى هامشه عن الدعائم ص ٢١٧ .

(٢) الكافى ج ٣ ص ١١٦ ومشكاة الانوار ص ٢٧٩ وراجع : البحار ج ٨١ ص ٢٠٢ وفى هامشه عن معانى الاخبار ص ١٤٢ و ٢٥٣ .

(٣) هامش الكافى ج ٣ ص ١١٦ عن مرآة العقول ، وراجع : البحار ج ٨١ ص ٢٠٢ .

(٤) راجع المصادر المتقدمة من أول البحث عن شكوى المريض الى عواده وحتى الان ، لتجد هذه النصوص وغيرها . .

عدم الشكوى ، لاعدم الاخبار بالمرض مطلقاً ؛ بقرينة قوله فيها ، «وشكا الى الله عزوجل» فتكون كغيرها من الروايات .

وأما الرواية التى تجعل كتمان المرض من كنوز البر ، فلابد وأن تحمل على ما ذكر أيضاً . أوعلى صورة الشفاء السريع ، حيث لايطول المرض ، أوعلى ماذكره المجلسى آنفاً . .

ويبقى أن نشير الى أن ماورد من قول الامام الصادق عليه السلام للحسن بن راشد : يا حسن اذا نزلت بك نازلة ، فلاتشكها الى أحد من أهل الخلاف ، ولكن اذكرها لبعض اخوانك ، فانك لن تعدم خصلة من خصال أربع : اما كفاية ، و اما معونة بجاه ، اودعوة تستجاب ، أومشورة برأى(١) .

و كذا ما عن الصادق (ع) ، من شكا الى مؤمن فقد شكا الى الله عزوجل ، ومن شكا الى مخالف فقد شكا الله عزوجل (٢) .

فان الظاهر هو أنها ناظرة الى شكوى غير المرض ، وحيث لاتستبطن الشكوى أيا من المعانى المرغوب عنها شرعاً . .

ويشير الى ذلك قوله : «اما كفاية» وذلك لان المرض لاتتأتى فيه الكفاية ، و أما ما بعد هذه الفقرة كالمعونة بالجاه مثلا فيمكن أن تتأتى فيه ، بأن يستعمل نفوذه لايصاله الى الطبيب الفلانى ، أوادخاله المستشفى الفلانى ، ومـا أشبه ذلك وبالنسبة للمشورة بالرأى واستجابة الدعاء ، فالامر فيهما واضح . . .

---

(١) البحار ج٧٨ ص٢٦٥ عن التحف وج ٨١ ص ٢٠٧ عن كتاب الاخوان للصدوق ص ٣٤ ، والوسائل ج٢ ص ٦٣١ عنه وروضة الكافى ص ١٧٠ والفصول المهمة ص ٥٠٢ ، وتحف العقول ص ٢٨٤ .

(٢) الوسائل ج٢ ص ٦٣٢ والبحار ج٨١ ص ٢٠٧ ومعانى الاخبار ج ٢ ص ٣٨٧ وبمعناه عن قرب الاسناد ص ٥٢ وراجع غرر الحكم ج ٢ ص ٦٨٣ .

وأما الحديث الثاني ،فهو مطلق ، ولعله يشير الى ما تضمنه حديث الحسن بن راشد ، لان السياق منسجم معه أكثر من غيره ، حيث ان المريض قد منع من الشكوى حتى الى عواده ، وان كانوا من اخوانه ، كما أشرنا اليه . .

عدم اسماع المريض التعوذ من البلاء :

وقد تقدم : أن محمد بن على (ع) كان لا يسمع المبتلى التعوذ من البلاء ، و تقدم ما يشير الى الحكمة فى ذلك حين الكلام على موضوع «الممرض فى المستشفى» .

عدم اطالة الجلوس عند المريض :

وان عوارض المرض ، و الحالات المتغيرة ، التى تطرأ على المريض ، لربما تفرض عليه أحياناً : أن يكون فى وضع لا يرغب أن يراه عليه أحد . .

كما أن نفس الحالة العلاجية له لربما يكون اطلاع الغير عليها موجباً لتألم المريض نفسياً . .واذا كانت العيادة ضرورية أيضا ، فوجه الجمع هو عدم اطالة مكث العائد عند المريض حتى لا يزيد فى احراجه ،أو فى ألمه النفسى .

ومن هنا . . فقد ورد عنهم عليه السلام استحباب عدم اطالة الجلوس عند المريض ،حتى عبر عنها الامام الصادق صلوات الله وسلامه عليه ـ كما روى ـ بقوله: «العيادة قدر فواق ناقة» (١)

وعن أمير المؤمنين عليه السلام ، قوله : ان من أعظم العواد أجراً لمن اذا عاد أخاه خفف الجلوس الا اذا كان المريض يحب ذلك ويريده ، ويسأله ذلك الخ

(١) الكافى ج ١ ص ١١٧/١١٨ والوسائل ج ٢ ص ٦٤٢ .

وفي معناه غيره (١) .

فانه اذاكان المريض يريد ذلك ، فان الاستجابة له يكون فيها تقرب الى الله تعالى من جهة ، كما أن طلبه هذا . . يكشف عن عدم وجود ما يحتمل أن يكون موجباً للحرج بالنسبة اليه . . من جهة أخرى . .

وضع اليد على المريض، والجلوس عند رأسه:

و لعل لاجل أن يطمئن المريض الى أنه لايزال مقبولا لدى الاخرين ، ولاتنفر النفوس منه، وكذلك الحال بالنسبة للعائد نفسه . . . نلاحظ : أن ثمة أوامر بوضع العائد يده على المريض ، واعتبر أن الذى يخالف ذلك يكون من الحمقى، وعيادة الحمقى أشد على المريض من وجعه ، حيث يتسبب الاحمق بكثير من الالام النفسية للمريض ، بسبب تصرفاته غير اللائقة ، والمشعرة للمريض بضعفه ونقصه . .

وقد ذكر البعض : ان النبى (ص) كان اذا عاد مريضاً وضع يده على جبهته، وربما وضعها بين ثدييه ، ويدعو له (٢)

وقد روى عن أبى عبدالله عليه السلام : تمام العيادة للمريض : أن تضع يدك على ذراعه وتعجّل القيام من عنده ، فان عيادة النوكى أشد على المريض من وجعه (٣) . .

---

(١) راجع الوسائل ج ٢ ص ٦٤٢ ، والكافى ج ٣ ص ١١٨ / ١١٩ وقرب الاسناد ص ٨ والبحار ج ٨١ ص ٢١٤ و٢٢٧ وسفينة البحار ج ٢ ص ٢٨٥ ومجمع الزوائد ج ٢ ص ٢٩٦ عن البزار ومصنف عبدالرزاق ج ٣ ص ٥٩٤ وكشف الاستار ج ١ ص ٣٦٩ .

(٢) الطب النبوى لابن القيم ص ٩٢ وراجع البخارى ، المرضى ١٣ .

(٣) الكافى ج ٣ ص ١١٨ والوسائل ج ٢ ص ٦٤٢ والبحار ج ٨١ ص ٢٢٧ و فى هامشه عن مكارم الاخلاق ص ٤١٥ .

وفهم الشهيد رحمه‌الله : أن وضع اليد على ذراعه هو حال الدعاء له (١)

و لكن قد ورد عن أمير المؤمنين عليه‌السلام : قوله : من تمام العيادة للمريض أن يضع العائد احدى يديه على الاخرى ، أو على جبهته(٢) .وفهم المجلسى رحمه الله : أن المقصود هو أن يضع العائد يده على جبهة نفسه ، واحتمل أن يكون ذلك لاجل اظهار الحزن والتأسف على مرضه، كما هو الشايع ، فلا يبعد أن يكون ذكرهما على سبيل المثال (٣) . .

ولكن الاظهر هو ما تقدم من أنه يضع يده على المريض نفسه ، أو على ذراعه . . . (وذكر الذراع للمثال على الظاهر). .ويمكن حمل هذه الرواية على ذلك ، لانها ليست نصاً فيما ذكره المجلسى ، فيمكن ارجاع الضمير الى المريض فيها ، ويشير الى ذلك بالاضافة الى النصوص المتقدمة ماعن النبى (ص) : ان من تمام عيادة المريض : أن يدع أحدكم يده على جبهته أو يده فيسأله كيف هو ، وتحياتكم بينكم بالمصافحة(٤) ..و كذا قوله:(ص)من تمام عيادة المريض اذا دخلت عليه أن تضع يدك على راسه ،وتقول : كيف اصبحت (٥) .

فانها ظاهرة فى أن يضع يده على المريض ـ كما اعترف به المجلسى قدس سره ،و لكنه أورد عليه:بأنه وان كان اظهر معنى ،ولكنه ـ يعنى هذا الاخير

(١) البحار ج ٨١ ص ٢٢٧ عن الدروس .

(٢) قرب الاسناد ص٨ وسفينة البحار ج٢ ص ٢٨٥ والكافى ج ٣ ص ١١٩ والوسائل ج ٢ ص ٦٤٢ والبحار ج ٨١ ص ٢١٤ .

(٣) البحار ج ٨١ ص ٢١٤.

(٤) امالى الطوسى ج ٢ ص٢٥٣ ، ومستدرك الوسائل ج١ ص٨٦ و البحار ج ٨١ ص ٢١٣ و٢٢٦ كلاهما عنه وعن مكارم الاخلاق ص ٤١٤ .

(٥)سفينة البحار ج ٢ ص٢٨٥ والبحار ج٨١ ص٢٢٣ وأمالى الطوسى ج ٢ ص ٢٥٣ ومستدرك الوسائل ج ١ ص٨٦ .

والذى قبله ـ عاميان(١) . .

ولكننا نقول : ان الرواية الاخرى التى تقول : تمام العيادة أن تضع يدك على المريض اذا دخلت عليه (٢) ، ورواية وضع اليد على الذراع ليستا بعاميتين ، وهما تؤيدان ارادة هذا المعنى ، وهو وضع العائد يده على يد المريض، أو على جبهته .

وثمة أحاديث أخرى فى وضع العائد يده على المريض، أو على جبهته ، فمن ارادها فليراجعها(٣). وأخيراً .. فقد روى عن ابن عباس: أن النبى (ص) كان اذا عاد المريض جلس عند رأسه(٤)

دعاء المريض للعائد والعكس :

وحيث ان المريض يكون فى هذه الحالة أقرب الى الله تعالى منه فى غيرها، فان دعاءه يكون أقرب الى الاستجابة، ولاجل ذلك . . و لاجل أن يشعر أنه أيضاً يملك فى مرضه هذا امتيازاً يفقده الاخرون ، فلا يجب أن يشعر بالذل والضعف، فانه كما هو محتاج الى غيره ، كذلك ، فان غيره محتاج اليه . . من أجل ذلك ، نجد : أنه قد روى عن أبى عبدالله عليه السلام قوله : اذا دخل أحدكم على أخيه عائداً له فليسأله يدعو له ، فان دعاءه مثل دعاء الملائكة . . (٥)

(١) البحار ج ٨١ ص ٢٢٣.

(٢) الكافى ج ٣ ص ١١٨ والوسائل ج ٢ ص ٦٤٢ عنه وعن قرب الاسناد ص ٨ .

(٤) مجمع الزوائد ج ٢ ص ٢٩٨ وسنن ابى داود ج ٣ ص ١٨٧ وسنن البيهقى ج ١ ص ٣٨١ و ٣٨٢ ومستدرك الحاكم ج ١ ص ٣٤٢ وتلخيصه للذهبى بهامشه .

(٣) مجمع الزوائد ج ٢ ص ٢٩٧ عن ابى يعلى .

(٥) الكافى ج ٣ ص ١١٧ والبحار ج ٨١ ص ٢١٩ وفى هامشه عن المنتهى للعلامة ص ٤٢٥ ، والوسائل ج ٢ ص ٦٣٧ ، ومكارم الاخلاق ص ٢٣٦ ط قديم و سنن ابن ماجة ج ١ ص ٤٦٣ ، والترغيب والترهيب ج ٤ ص ٣٢٢ . وجواهر الاخبار والاثار ، بهامش البحر الزخار ج ٣ ص ٨٧ .

وثمة أحاديث أخرى بهذا المعنى ، فليراجعها من أراد . (١)

كما أنه يستحب أن يدعو العائد للمريض أيضاً ، فعن زرارة ، عن أحدهما: اذا دخلت على مريض ،فقل : أعيذك بالله العظيم الخ . . (٢) وقد تقدم : أنه يستحب للمريض أن يأذن لاخوانه بالدخول عليه ، فانه ما من أحد الاوله دعوة مستجابة. .

دعاء المساكين للمريض :

وعن الصادق عليه السلام لاتستخفوا بدعاء المساكين للمرضى منكم ، فانه يستجاب لهم فيكم ، ولا يستجاب لهم فى أنفسهم (٣) . . وعن الصادق عليه السلام: يستحب للمريض : أن يعطى السائل بيده ، ويأمر السائل أن يدعوله (٤) .

سؤال المريض عن حاله ، وعما يشتهى :

ويذكر البعض : أنه (ص) كان يسأل المريض عن شكواه ، وكيف يجده ،

---

(١) راجع ، ثواب الاعمال ص ٣٠ ، والبحار ج ٨١ ص ٢١٧ و ٢٢٥ عنه وعن عدة الداعى ، وعن الكافى ج ٢ ص ٥٠٩ .و سفينة البحار ج ٢ ص ٢٨٥ ، ومكارم الاخلاق ص ٢٣٦ ،ط قديم ومجمع الزوائد ج ٢ ص ٢٩٥ عن الطبرانى فى الاوسط ، و الترغيب و الترهيب ج ٤ ص ٣٢٢ عن ابن ماجة والطبرانى ،وابن أبى الدنيا ، والوسائل ج ٢ ص ٦٣٧/ ٦٣٨ وفى هامشه عن بعض من تقدم و عن الاصول ص ٣٥٦ ، وعن المنتهى للعلامة ص ٤٢٥ ، و عن الخصال والدعائم .

(٢) البحار ج ٨١ ص ٢٢٨ و ٢٢٥ و فى هامشه عن مكارم الاخلاق ص ٤٥٠ وعن اعلام الدين .

(٣) البحار ج ٦٢ ص ٢٧٦ عن السرائر ، باب الاطعمة والاشربة .

(٤) البحار ج ٨١ ص ٢٠٩ عن دعوات الراوندى .

و يسأله عما يشتهى (١) وهذا يعبر للمريض عن الاهتمام بأمره ، وبما يعانى . . فيسر لذلك ، ويرتاح له،ويطمئن به . .

التأميل بالصحة والسلامة :

والمريض يحتاج الى بعث الثقة فى نفسه ليقوى على المرض ، ولاينهار أمام عوارضه وعواديه التى لايجد فيها حيلة ، ولالدفعها عن نفسه سبيلا . . ولعل هذا يفسر لنا ماروى عنه (ص) : اذا دخلتم على المريض فنفسوا له فى الاجل ، فان ذلك لايرد شيئاً ، ولكنه يطيب النفس (٢) .

والمراد بالتنفيس : التوسعة ، أى وسعوا له فى الاجل ، وأملوه بالصحة والسلامة ، كأن يقول له : لابأس عليك ، وستشفى ان شاءالله قريباً (٣) .

وقد ذكر البعض : أن النبى (ص) كان ربما قال للمريض : « لابأس عليك طهور ان شاءالله » (٤) .

الاكل عند المريض :

عن أمير المؤمنين عليه السلام ، أنه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :أن يأكل العائد عند المريض ، فيحبط الله أجر عيادته(٥)..ولماذا لا . .

---

(١) الطب النبوى لابن القيم ص ٩٢ .

(٢) البحار ج ٨١ ص ٢٢٥ عن كنز الكراجكى.وسفينة البحار ج ٢ ص ٢٨٥ و مستدرك الوسائل ج ١ ص٩٦،وسنن ابن ماجة ج١ ص٤٦٢،والطب النبوى لابن القيم ص٩٢ ، وفى هامشه عن الترمذى وسنن الترمذى ج٤ ص٤١٢ ومصابيح السنة ج٢ ص ٧٨ و البحر الزخار ج٣ ص٨٦ و ٨٧ .

(٣) راجع : البحار ج ٨١ ص ٢٢٥ وسفينة البحار ج ٢ ص ٢٨٥ .

(٤) الطب النبوى لابن القيم ص ٩٣ ، ومصابيح السنة ج٢ ص٧٦ .

(٥) سفينة البحار ج ٢ ص ٢٨٥ و٥٣٥ ومستدرك الوسائل ج ١ ص ٩٦ و١٢٧ عن الجعفريات و الدعائم . و البحار ج ٨١ ص ٢٢٨ وفى هامشه عن دعائم الاسلام ج١ ص٢١٨

مادام أنه لربما يكون المريض ممنوعاً عن طعام كهذا ، فاذا أكل عنده ، فانه يجعله يشتهيه،ويتحسر على عدم قدرته على تناول مثله . . فيكون قدزاده بعيادته لهألما ، بدل أن يخفف عنه .

مايقال للمريض بعد شفائه :

ولقد كان أمير المؤمنين عليه السلام ، اذا رأى المريض قد برىء قال : يهنك الطهر من الذنوب (١) . .

وعن الحسن بن على عليه السلام : أنه قال لرجل أبل من علته : ان الله قد ذكرك فاذكره ، وأقالك فاشكره .. وروى ذلك عن على امير المؤمنين أيضاً (٢).

و عن السجاد عليه السلام ما جمع فيه بين ما تقدم عن عمه الحسن ، و ما تقدم عن جده أمير المؤمفين عليه السلام(٣)

نعم . . وما أحسنها من كلمة ! . . منسجمة كل الانسجام مع الروحية التى يهتم الاسلام بتقويتها ، ومع الاهداف التى يحاول أن يوجه اليها الانسان الذى يتعرض الى الابتلاء بالمرض ، ومتاعبه ، ومضاعفاته . . تلك الروحية ، و هاتيكم الاهداف التى نطقت بها الروايات ، ودلت عليها التوجيهات التى صدرت عنهم عليهم السلام للمريض ، ولعواده ، كما قدمنا بعضا من الاشارة اليها فلانعيد . .

---

(١) كتاب ابى الجعد ص ٢١ ، وامالى المفيد ص٢٥ ، وأمالى الطوسى ج ٢ ص ٢٤٤ ، ومستدرك الوسائل ج ١ ص ٧٩ و٨١/٨٠ والبحار ج٨١ص ٢٢٤ و١٨٦ و٨٦عن دعوات الراوندى ، وامالى المفيد .

(٢) تحف العقول ص ١٦٥ و البحار ج ٧٨ ص ١٠٦ وشرح النهج للمعتزلى ج٢٠ ص ٢٠٩ وقصار الجمل ج ٢ ص ٢٣٨ عنه .

(٣) تحف العقول ص ٢٠٣ والبحار ج ٧٨ ص ١٣٨ .

و حسبنا ما ذكرناه هنا فان فيما ذكرناه كفاية لمن أراد الرشد والهداية . .

و الحمدلله ، و صلاته و سلامه على عباده الذين اصطفى،محمد و آله الطاهرين .

القسم الثالث :

الوقاية الصحية :

الفات نظر :

كانت النية متجهة الى الكتابة في موضوع الوقاية الصحية .. ولكننا . . وبعد كتابة الفصل الاول منه وجدنا أنه يمكن الاكتفاء بما كتبه الشهيد السعيد الدكتور پاك نجاد، فآثرنا الانصراف الى ما هو أهم ، وبذل الجهد في معالجته أولى . .

ولكننا أحببنا أن نورد هنا ما كنا قد كتبناه في هذا المجال ـ وان كان ناقصاً ـ كما هو ، ومن دون أي تصرف فيه ، على أمل أن ينفع الله به . . وهو الموفق والمسدد . .

الفصل الاول:

المقدمات

الوقاية الصحية فى مجالها الاوسع :

لقد اهتم الاسلام بصحة الانسان اهتماماً بالغاً ، حتى لقد روى أن النبى (ص) قال : ان فى صحة البدن فرح الملائكة ، ومرضاة الرب ؛ وتثبيت السنة (١). وعنه صلى الله عليه وآله : لاخير فى الحياة الامع الصحة . . (٢)

وقد تقدم : أن الاسلام قد اعتبر العلم علمين : علم الاديان ، و علم الابدان. والروايات فى هذا المجال كثيرة ، لامجال لتتبعها . .

كما أن الاسلام قد اهتم بأن يوجه الانسان نحو الوقاية الصحية ، حتى لايقع فى براثن المرض أصلا ، وقد ورد عن الامام الصادق عليه السلام : « ان عامة هذه الارواح من المرة الغالبة ، أودم محترق ، أوبلغم غالب ، فليشتغل الرجل بمراعاة نفسه قبل أن تغلب عليه شيىء من هذه الطبايع ، فيهلكه . . » . (٣)

وفسر المجلسى كلمة الارواح بقوله : « وكأن المراد هنا : الجنون ، والخبل ، والفالج ، واللقوة ، بل الجذام والبرص ، واشباهها (٤) » .

---

(١) أولين دانشكاه وآخرين پيامبر ج ٢ ص ٣٨٠ عن : آئين جاويدان ص ٣٢٢ .

(٢) اولين دانشكاه ج٢ ص ٣٨٢ عن نهج الفصاحة . .

(٣) طب الائمة ص ١١٠ والبحار ج ٦٢ ص ٢٦٤ عنه .

(٤) البحار ج٦٢ ص ٢٦٤ .

وروى : لاتأكل ماقد عرفت مضرته ، ولاتؤثر هواك على راحة بدنك (١) وعن الرضا عليه السلام : « ان الجسد بمنزلة الارض الطيبة الخراب ، ان تعوهدت بالعمارة والسقى ، من حيث لاتزداد الخ (٢) » .

وان القاء نظرة اجمالية على شمولية وسعة موضوع الوقاية الصحية فى الاسلام ليعطينا :

أن الحديث عن هذا الموضوع بشكل علمى دقيق ومستوعب ليس سهلا وميسوراً وانما هو أمر بالغ الصعوبة . . وذلك لانه يدخل فيه العديد من الموضوعات الواسعة و المتشعبة جداً . . و قد يضطر الباحث فيما لو أراد استيفاء الحديث فى هذا الاتجاه الى الاستشهاد بأحاديث ربما تتجاوز المئات الى الالاف ، فضلا عن العشرات من المصادر الاسلامية الموثوقة ، ان لم نقل عن المئات أيضاً . . كما أن ذلك يحتاج الى كتابة مجلدات كثيرة ، و وقت طويل يبذله القارىء والباحث على حدسواء . .

كما أننا لايجب أن ننسى : أن استيعاب هذا الموضوع ، واستيفاء البحث فيه من جميع جوانبه ، يحتاج الى الكفاءات والاختصاصات المتنوعة ، التى تمتلك خبرات كبيرة فى مجالات اختصاصها من جهة ، ثم فى مجال الاطلاع على النصوص الاسلامية فى القرآن والسنة النبوية واهل البيت ، وفهم تلك النصوص ، والاستفادة منها فى الموقع المناسب ، من الجهة الاخرى . .

البحث فى خصائص الاشياء :

وعلى ضوء ماتقدم ؛ فاننا نجد أنفسنا مضطرين الى حصر البحث فى الموضوعات الاكثر الحاحاً فى هذا المجال . .

---

(١) البحار ج ٦٢ ص ٢٦٩ .

(٢) الرسالة الذهبية ص ١٣/١٤ .

فلن نتعرض للبحث في الاحاديث الكثيرة جداً ، والتي تعد بالمئات ان لم يكن بالالاف والتي تتعرض لكثير من الخصائص والمزايا لقسم وافر من البقول والفواكه ، والخضار ، والحبوب ، واللحوم ، والاطعمة ، والالبان . مثل :

التفاح ، والرمان ، والعنب ، والتمر ، والتين ، والهندباء ، والجزر ، والفجل ، والثوم ، والبصل ، والسعتر ، والحنطة ، والزيتون ، والشعير ، ولحم الضأن ، ولحم البقر ، والسمك ، والبان الضأن و البقر ، والبطيخ ، والاجاص ، والمشمش ، والحمص ، والعدس ، وقصب السكر . . الى عشرات من الانواع الاخرى ، التي ورد في كل منها روايات كثيرة ، لو أردنا جمعها ، وذكر مصادرها لاحتجنا الى العشرات ، بل المئات من الصفحات فكيف اذا أردنا استقصاء البحث فيها ، ولاسيما وأنه قد ذكر في كثير منها خصائص وقائية لكثير من الامراض ، وقد كتب الشهيد السعيد الدكتور پاك نجاد في كتابه القيم : « أولين دانشگاه وآخرين پيامبر » عن عدد وافر منها ، وقد أحسن وأجاد فيها أفاد ، نسأل الله أن يوفيه أجر ذلك من جنانه أفسحها منزلا ، و أفضلها غرفاً ، ويحشره مع الائمة الطاهرين ، بحق محمد وآله صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين . .

اتجاهات البحث :

وعلى هذا . . فان بحثنا في هذا المجال سوف يقتصر على اعطاء نظرة سريعة وواضحة بقدر الامكان عن الوقاية الصحية في المجالات التي وجه فيها المعصومون الى مواقف و افعال معينة من شأنها أن تقي الانسان من كثير من المخاطر ، من دون أن يكون لخصائص الاشياء مدخلية كبيرة فيها ، بل الفعل و الموقف منها هو الذي يعطي القسط الاكبر من الفائدة في مجال الوقاية الصحية . .

ولاجل ذلك فلسوف يكون بحثنا على النحو التالي :

نستعرض أولا قسماً وافراً مما يرتبط بالنظافة الجسدية كالسواك والخلال، والوضوء والغسل ، وغير ذلك . .

ثم نتعرض لنظافة الثياب و الاوانى والبيت ، و كثير من أوضاعه المطلوبة شرعاً ، والتى تؤثر فى حفظ الصحة والوقاية من كثير من الاخطار المحتملة فى هذا المجال . .

وبعد ذلك نستعرض بعض ما يرتبط بالمحيط والبيئة والمجتمع بشكل عام . .

ولسوف نشير أيضاً : الى طائفة مما يرتبط بأحوال الانسان فى طعامه وشرابه ويقظته ،ونومه ، وسفره ، و كذلك ما يرتبط بالوقاية الصحية فيما يتعلق بموضوع الجنس

الى غير ذلك مما تقتضيه ضرورة البحث ، مع مراعاة جانب الاختصار والوضوح مهما أمكن . .

فالى البحوث التالية ، مع جزيل شكرى وعميق تقديرى للقارىء الكريم .

النظافة فى مجالها العام :

لقد اهتم الاسلام بالنظافة الجسدية اهتماماً بالغاً ، يفوق حدّ التصور ، ولايستطيع أى دين أن يدعى : أنه اهتم بذلك ولو بمقدار معشار اهتمام الاسلام هذا ..

ويكفى أن نذكر : أنه قد جعل الوضوء ، والغسل فى أحيان كثيرة من الواجبات التى يعاقب تاركها ؛ بل ولاتتم كثير من اعماله العبادية الهامة جداً بدونها . . كما هو الحال فى الصلاة التى هى عمود الدين ، ومعراج المؤمن ، وغيرها ..

بل لقد جعل ذلك من العبادات التى تقرب الى الله ، ويستحق فاعلها الثواب الجزيل ، والاجر الجميل . .

وعدا عن ذلك كله ، فقد اعتبر الايمان شطر الوضوء ؛ واعتبرت النظافة من الايمان ، والايمان مع صاحبه فى الجنة ..

الى غير ذلك مما يعبر عن مدى اهتمام الاسلام البالغ فى هذا المجال . . سواء فى ذلك ماورد ليؤكد على النظافة ، أو الوضوء أو الغسل فى مورده الجزئى الخاص ، أو ماورد فى مقام الحث على ذلك بصورة عامة . .

أمثلة على ما تقدم :

وكأمثلة على ما تقدم نشير الى رشحة هي غيض من فيض مما ورد عن المعصومين عليهم السلام من الامر بالنظافة بصورة عامة . .

فقد تقدم في أوائل القسم الثاني الاشارة الى قوله : ان الله ليبغض من عباده القاذورة : وأن النظافة من الايمان والايمان مع صاحبه في الجنة .

وقال الكراجكي : « وفيما صح عندنا من اجتهاد رسول الله (ص) في النظافة ، وكثرة استعماله للطيب على ما أتت به الرواية » (١) .

وعن الرضا عليه السلام : « من أخلاق الانبياء التنظيف » (٢) .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام : تنظفوا بالماء من الريح المنتن ، الذي يتأذى به ، وتعهدوا أنفسكم ، فان الله ليبغض من عباده القاذورة ، الذي يتأنف به من جلس اليه (٣) .

وجاء في رواية عن الباقر والصادق يذكر فيها : أن دواء العرب في خمسة وعدّ منها الحمام (٤) . وعن النبي (ص) : أتاني جبرئيل عليه السلام ، فقال : يا محمد ، كيف ننزل عليكم ؟! لا تستاكون ، ولا تستنجون بالماء ، ولا تغسلون براجمكم (٥) .

---

(١) البحار ج ٨٠ ص ١٠٦ عن كنز الفوائد . .

(٢) تحف العقول ص ٣٣٠ ، والبحار ج ٧٨ ص ٣٣٥ عنه .

(٣) الخصال ج ٢ ص ٦٢٠ حديث الاربعمئة والبحار ج ٧٦ ص ٨٤ ، وتحف العقول ص ٧٣ وراجع المصادر المتقدمة في أول القسم الثاني .

(٤) طب الائمة ص ٥٥ والبحار ج ٦٢ ص ٢٦٣ وراجع الوسائل ج ١ ص ٣٦١ عن الفقيه ج ١ ص ٣٧ وغيرذلك .

(٥) البحار ج ٨٠ ص ٢١٠ عن نوادر الراوندي . .

قال ابن الاثير : « فيه : من الفطرة غسل البراجم ، وهى العقد التى فى ظهور الاصابع ، يجتمع فيها الوسخ الواحدة : برجمة » (١) .

وقد نص القرآن على أن الله تعالى : « يحب التوابين ، ويحب المتطهرين (٢) ». وقال تعالى مخاطباً المسلمين فى مناسبة بدر : « وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ، ويذهب عنكم رجز الشيطان » (٣) . وقال تعالى : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين » (٤) .

قال المجلسى : « قيل : ربما دلت هذه الاية على استحباب المبالغة فى الاجتناب عن النجاسات ، ولا يبعد فهم استحباب النورة وامثالها ، بل استحباب الكون على طهارة وتأييده له ، لا بل الاغسال المستحبة » (٥) .

وقال تعالى : « انه لقرآن كريم . فى كتاب مكنون . لا يمسه الا المطهرون ». (٦) الى غير ذلك من الايات التى تتمدح التطهر ، وتحث عليه تصريحاً ، أو تلويحاً. وقد ورد عنهم عليهم السلام : ان « الطهر نصف الايمان » (٧). وعن النبى (ص) وعلى (ع): « الوضوء شطر الايمان » (٨) .

---

(١) النهاية لابن الاثير ج ١ ص ١١٣ والبحار ج ٨٠ ص ٢١٠ عنه .

(٢) البقرة ٢٢٢

(٣) الانفال ١١

(٤) براءة ١٠٨

(٥) البحار ج ٨٠ ص ٥

(٦) الواقعة ٧٧ـ ٧٩ .

(٧) البحار ج ٨٠ ص ٢٣٧ وفى هامشه عن الدعائم ج ١ ص ١٠٠

(٨) امالى الطوسى ج ١ ص ٢٩ وفيه : « نصف » بدل كلمة « شطر » والبحار ج ٨٠ ص ٢٣٧ و ٢٣٤ و ٢٦٦ وفى هوامشه عن الاول وعن : أمالى المفيد ص ١٤٦ وعن نوادر الراوندى ص ٤٠ .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام : « من أحسن الطهور ثم مشى الى المسجد فهو في صلاة مالم يحدث » (١) .

وعن النبي (ص) : ياعلي ، على الناس في كل سبعة أيام الغسل ، فاغتسل في كل جمعة ، ولو أنك تشترى الماء بقوت يومك وتطويه ، فانه ليس شيء من التطوع أعظم (٢) .

وعن الصادق عليه السلام : ليتزين أحدكم يوم الجمعة ، يغتسل ، ويتطيب (٣) . . الخبر .

وعن امير المؤمنين عليه السلام : غسل الاعياد طهور لمن أراد طلب الحوائج ، واتّباع للسنة (٤) .

بل يكفي أن نذكر : أن الاغسال المستحبة ، قدانهاها بعضهم الى أربعين غسلا تقريباً ، كما أن بعض الروايات قدعدت منها ومن الواجبات ثلاثة وعشرين غسلا في مناسبات مختلفة . . ومن يراجع الروايات في باب علل الاغسال وثوابها في البحار ج ٨١ ص ٣ و ٢٢ و٢٣ و ٢٤ يخرج بحقيقة : أن الغسل مستحب او واجب في اكثر من تلك الموارد التي ذكرها ذلك البعض .

نعم . . وهذا غيض من فيض مما ورد عنهم عليهم السلام في هذا المجال . . وأما ماورد عنهم عليهم السلام في الموارد الخاصة والعامة مما يدل على مطلوبية النظافة ، فانه لا يكاد يحصر لكثرته ، ولا نرى أننا بحاجة الى التعرض له . . ولربما

(١) البحار ج ٨٠ ص ٢٣٧ وفي هامشه عن الدعائم ج ١ ص ١٠٠ .
(٢) البحار ج ٨١ ص ١٢٩ عن جمال الاسبوع .
(٣) المصدر السابق عنه . .
(٤) تحف العقول ص٦٦ والبحار ج ٨١ ص ١٥ و٢٢و٢٧ عنه وعن اختيارات ابن الباقي ، في حديث الاربعمئة ، ولبراجع في الخصال ، والبحار، والمواعظ العددية وغيرذلك . .

نشير فى المواضع المختلفة الى رشحات منه ان شاء الله تعالى . .

ولنبدأ الان فى البحث حول السواك والخلال ، وبعض ما يرتبط بنظافة الفم . . فـ :

الى الفصل التالى . . .

الفصل الثانى :

السواك..
والخلال..

بداية :

لم يكن يخطر في بالي قبل أن أراجع كتب ومجاميع الحديث أن تزيد الروايات الواردة في موضوع السواك ، عن أهل بيت العصمة (ع) على عشرة ، أو خمسة عشر ، أو عشرين حديثاً ، على أبعد التقادير .

ولكن كم كانت المفاجأة والدهشة كبيرة لدى ، وأنا أجد من الاحاديث أضعاف ذلك مراراً كثيرة . الامر الذي جعلني أدرك الى حدّ ما مدى أهمية هذا الامر وخطورته اسلامياً ، وهو من الموضوعات التي لاداعي للكذب ، ولارغبة للوضاعين الذين حذّر النبي (ص) منهم .. فيها .

هذا كله عداعن كثير من الاحاديث التي تؤكد على لزوم نظافة الفم ، وطيب رائحته ، مما لامجال لتتبعه . .

سؤال وجوابه :

والسؤال الذي يطرح نفسه بادئ ذي بدء ، هو .

لماذا يهتم الشارع بنظافة الاسنان الى هذا الحد ؟ ! . . وكيف لم نجده يهتم بكثير من الواجبات بهذا المقدار الذي يهتم فيه بالسواك ، ونظافة الفم وهو مستحب ؟ ! . .

والجواب عن ذلك واضح جداً . .

فان ضرورة الاسنان للانسان لايمكن تجاهلها ولا انكارها من أحد . وهى نعمة لايشعر الانسان عادة بها أو باهميتها الا اذا فقدها . . مع أنه يستفيد منها كل يوم اكثر من مرة ، وان أى ضرر يلحق بها يوقعه ولاشك فى الضيق والحرج ، ويوجب اختلال احواله جزئياً ، ويؤثر عليه تأثيراً لايكاد يخفى . .

ولعل من الامور الواضحة : أن الاسنان الصناعية لاتستطيع حتى فى افضل حالاتها أن تقوم بوظيفة الاسنان الاصلية ، ولاهى من الكفاءة بحيث تؤمن لصاحبها راحته التى يتوخّاها منها ، كما لو لم يكن قد فقد مثيلاتها الطبيعية . .

كما أن من البديهى : أن الاسنان كما تساعد المعدة ، بتهيئة الطعام لها ، وجعله فى وضع يكون قابلا للهضم ، أو على الاقل تجعل هضمه أيسر مما لو بقى على حالته الاولى . .

كذلك هى تساعد الانسان فى المنطق ، ويؤثر فقدانها عليه بشكل ملحوظ . .

وما علينا من أجل اثبات ذلك الا أن نتذكر حالة من فقدوا أسنانهم ، ومدى مايبذلونه من جهد من أجل جعل الطعام فى وضع تتمكن معه المعدة من هضمه والاستفادة منه . . وكذلك مدى مايبذلونه من جهد من أجل اخراج الكلمات بنحو تكون واضحة ومفهومة . .

وعدا عن ذلك . . فان اختلال الوضع الطبيعى للاسنان ، ومرضها وموبوئيتها ، يؤدى فى كثير من الاحيان الى أمراض ومضاعفات سيئة فى كثير من أجهزة الجسم . . ولسوف يتضح ذلك بعض الشيء فى مايأتى ان شاء الله تعالى . .

ومن هنا . . ومن أجل أمور هامة أخرى سنشير اليها ان شاء الله كان اهتمام الاسلام بالاسنان ، وكانت دعوته الملحة للعناية بها ، والحفاظ على سلامتها ، فأمر بكل ما من شأنه أن يحفظها ويصونها ، ونهى وحذر من كل مايضر بها وبسلامتها ،

ايماناً منه بأن سلامة الاسنان الطبيعية تؤثر في سلامة الانسان، وسقمها يؤثر في سقمه.. ولذا . . فان من المهم أن يحافظ الانسان عليها ليستفيد منها اكبر قدر ممكن في حياته ، وان يحتفظ بها سليمة ومعافاة، لان معنى ذلك هو احتفاظه وكثير من أجهزة جسمه بسلامة والمعافاة أيضاً . .

السواك :

وكان من جملة ما أمر به الاسلام في نطاق اهتمامه بالاسنان ، مما له أثر كبير على صحتها وسلامتها هو :

« السواك » . أي غسل الاسنان وتنظيفها . .

الذى أجمع الفقهاء على إستحبابه . . وخصوصاً للوضوء والصلاة . . والذى قدمنا : أن الروايات الواردة في فضله، وفي أحواله وكيفياته، وسائر مايتعلق به تفوق المئة بكثير جداً . . ولابد من أجل استيفاء الاشارة الى اكثر ما تضمنته الروايات من تقسيم البحث على النحو الذى ينسجم مع ما تضمنته ، فنقول:

موقف المعصومين عليهم السلام من السواك :

لقد اتبع النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم ، والائمة من ولده اساليب متنوعة في الدعوة الى الالتزام بالسواك . . ونشير هنا الى : أن النبي (ص) وأهل بيته المعصومين قد التزموا بالسواك عملا ـ وعملهم سنة لنا ، وما علينا الأن نقتدى بهم، ونهتدى بهديهم ، سواء في أفعالهم ، أو في أقوالهم . .

واذا كان من الممكن أن لا يلتفت كثير من الناس الى ذلك ، أو لا يتيسر لهم الاطلاع عليه لبعد شقتهم ، فقد حاولوا عليهم السلام توجيه الانظار الى هذا الامر ، وحدثوا الناس عنه ، وسجلوه على أنه حقيقة جديرة بأن يتناقلها الناس ، وأن يأخذوها بعين الاعتبار .

فعن الصادق عليه السلام ، وهو يتحدث عن النبى (ص) : انه كان يستاك فى كل مرة قام من نومه (١). وكان (ص) يستاك اذا أراد أن ينام ويأخذ مضجعه (٢). وكان (ص) يستاك لكل صلاة (٣). وروى : أن السنة السواك فى وقت السحر (٤).

وعن الباقر : أن رسول الله (ص) كان يكثر السواك وليس بواجب (٥).

وكان (ص) يستاك كل ليلة ثلاث مرات ، مرة قبل نومه، ومرة اذا قام من نومه الى ورده ، ومرة قبل خروجه الى صلاة الصبح (٦).

وعن ابى عبدالله عليه السلام: انى لاحب للرجل اذا قام بالليل ان يستاك (٧). بل لقد كان (ص) اذا سافر يحمل مع نفسه المشط والمسواك و .. الخ ..(٨)

---

(١) الوسائل ج١ ص٣٥٦ وفى هامشه : عن فروع الكافى ج ١ ص ١٢٤ و البخارى نشر دار الفكر ج ١ ص ٦٦ وسنن ابى داود ج ١ ص ١٥ .

(٢) البحار ج ٧٦ ص ٢٠٢ و٢٠٣ وفى هامشه عن مكارم الاخلاق ص ٤٠ و ٤١ و ٣٣٧ .

(٣) الوسائل ج١ ص ٣٥٦ والبحار ج ٨٠ ص ٣٤٤ وفى هامشهما عن المقنع ص ٣ ط حجر ص ٨ ط قم .

(٤) الكافى ج ٣ ص ٢٣ والوسائل ج١ ص ٣٥٧ وسنن ابن ماجة ج ١ ص ١٠٥ .

(٥) المحاسن للبرقى ص ٥٦٣ ،ومن لايحضره الفقيه ج ١ ص ٣٣ ومكارم الاخلاق ص ٤٩ ط ٦ ، والبحار ج ٧٦ ص ١٣٤ .

(٦) مكارم الاخلاق ص ٣٩ والوسائل ج١ ص ٣٥٦ وسنن الدارمى ج ١ ص ١٧٥ وسنن أبى داود ج١ ص ١٥ وسنن ابن ماجة ج١ ص ١٠٥ وسنن النسائى ص ٨ ج١ والبحار ج ٨٠ ص ٣٤٣ و ج ٧٦ ص ١٣٥ .

(٧) المحاسن ص ٥٥٩ والبخارى نشر دار الفكر ج ١ ص ٦٦ وسنن ابى داود ج١ ص ١٥ والبحار ج ٧٦ ص ١٣١ .

(٨) راجع : البحار ج ٧٦ ص ٢٣٥ و٢٣٢ ومكارم الاخلاق ص ٣٥ و٢٥٢ .

بل لقد بلغ التزامهم عليهم السلام بذلك حداً : أنه لو ترك أحدهم السواك كان ذلك ملفتاً للنظر ،ومدعاة للتساؤل ، فقد روى : أن الصادق عليه السلام ترك السواك قبل أن يقبض بسنتين ، وذلك لان أسنانه ضعفت (١)

وأما أمرهم عليهم السلام بالسواك ،وحثهم عليه بالقول . . فكثير جداً أيضاً ويمكن تقسيم النصوص التي وردت في ذلك الى عدة طوائف :

الاولى : مادلت على لزوم الالتزام بالسواك وتحذر من تركه من جهة عامة. أي من دون تعرض لبيان أية خصوصية فيه ..حتى لقد اعتبر الامام عليه السلام . أن التارك للسواك ليس من الناس . .فلقد قيل للصادق عليه السلام :

أترى هذا الخلق ، كلهم من الناس ؟ .

فقال ، الق التارك منهم للسواك . (٢)

وعن النبي (ص) ، أنه قال :نظفوا طريق القرآن . قيل : يارسول الله ،و ما طريق القرآن ؟ قال: أفواهكم.قيل: بماذا ؟ قال : بالسواك . . وفي معناه غيره(٣)..

وقد جعل في بعض الروايات عنه(ص)من أسباب عدم نزول الملائكة عليهم: أنهم لايستاكون،بالاضافة الى أنهم لايستنجون بالماء ، ولايغسلون براجمهم(٤)

و عن الصادق عليه السلام : من سنن المرسلين السواك .و بمعناه نصوص

---

(١) علل الشرايع ص ٢٩٥ ومن لايحضره الفقيه ج ١ ص ٣٣ و الوسائل ج ١ ص ٣٥٩ ومكارم الاخلاق ص ٥٠ ط ٦ والبحار ج ٧٦ ص ١٣٧ و١٢٧ .

(٢) المحاسن للبرقي ص١١ والخصال ص ٤٠٩ والوسائل ج ١ ص ٣٥٣ والبحار ج ٧٦ ص ١٢٨ وج ٧٥ ص ٤٦٩ وج ٨١ ص ٢٠٤ .

(٣) المحاسن ص ٥٥٨ والوسائل ج١ ص ٣٥٧ والبحار ج ٨٠ ص ٣٤٣ وج٧٦ ص ١٣٠/ ١٣١ و١٣٨ وعن مكارم الاخلاق ص ٥١ .

(٤) راجع : البحار ج ٨٠ ص ٢١٠ و ج ٧٦ ص ١٣٩ ، و في هامشه عن نوادر الراوندي ص ٤٠ .

أخرى . (١)

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مازال جبرئيل يوصيني بالسواك حتى خفت أن أحفى وأدرد . وفي بعضها : حتى خفت أن يجعله فريضة . و في معناه غيره (٢) .

وعن الصادق عليه السلام : نزل جبرئيل بالسواك ، والخلال ، والحجامة (٣).

فاذا كان السواك من سنن المرسلين ، فهو اذن ليس أمراً عادياً يمكن التغاضي عنه بسهولة . . خصوصاً . . وأن جبرئيل مازال يوصي به النبي (ص) حتى خاف أن يجعله فريضة . فما أحرانا اذن أن نقتدي بالمرسلين من أجل هدايتنا ، ونهتدي بهديهم ، حيث انهم لم يرسلهم الله الا من أجلنا ، وبما فيه مصلحتنا والخير لنا . . ولعل هذا هو السر في التعبير بكلمة : «المرسلين» ، بدل كلمة : «الانبياء» ! ! .

نعم . . وقد سمح الشارع حتى للصائم بأن يستاك ، رغم قيام احتمال سبق شيء الى جوفه . . كما وسمح للمحرم بان يستاك ، وإن أدمى .

فعن الحسين بن أبي العلاء قال : سألنا أبا عبد الله عليه السلام عن السواك للصائم ؟ فقال : نعم ، أي النهار شاء . (٤) وعن النبي (ص) اذا صمتم فاستاكوا بالغداة ،

(١) الكافي ج ٦ ص ٤٩٥ وج ٣ ص ٢٣ والوسائل ج ١ ص ٣٤٦ وراجع : المحاسن ص ٥٦٠ ومكارم الاخلاق ص ٤١ و ٤٩ ط ٦ والبحار ج ٧٦ ص ٩٧ و ١٢٧ و ١٤٢ وراجع ص ١٣١ و ١٣٥ والخصال ص ١٤٢ وروضة الواعظين ص ٣٠٨ .

(٢) الكافي ج ٦ ص ٤٩٥ و ٤٩٦ وراجع : الوسائل ج ١ ص ٣٤٦ و ٣٤٧ و ٣٤٨ والمحاسن ص ٥٦٠ ومن لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ٧ و ج ١ ص ٣٢ وسنن ابن ماجة ج ١ ص ١٠٦ والبحار ج ٧٦ ص ١٢٦ و ١٣٩ و ١٣٢ و ٣٣٣ و ١٣١ وفي هامشه عن الامالي ص ٢٥٣ و ٣٥٧ وعن نوادر الراوندي ص ٤٠ .

(٣) المحاسن ص ٥٥٨ ومن لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٣٢ و الوسائل ج ١ ص ٣٤٦ والبحار ج ٧٦ ص ١٣٠ و ١٣٨ وعن الكافي ج ٢ ص ٨٤ وعن مكارم الاخلاق ٥١ .

(٤) الوسائل ج ١ ص ٣٦٠ وج ٧ ص ٥٧ ـ ٦٠ روايات كثيرة ، وفي هامشه عن عدد من المصادر .

ولاتستاكوا بالعشى ، فانه ليس من صائم تيبس شفتاه بالعشى ، الا كان نوراً بين عينيه يوم القيامة (١). وثمة روايات أخرى . وعن أبى عبدالله عليه السلام ، قال : قلت : المحرم يستاك ؟ قال : نعم ، قلت : فان أدمى ؟ قال : نعم ، هو من السنة (٢).

وعن الباقر عليه السلام : ولا بأس أن يستاك الصائم فى شهر رمضان أى النهار شاء ، ولا بأس بالسواك للمحرم (٣) .

وثمة روايات كثيرة تأمر بالسواك وتحث عليه ، لامجال لاستقصائها فى هذه العجالة . . فمن اراد المزيد، فليراجع مجاميع الحديث والرواية ، كالبحار ، والوسائل، ومستدركاتها، وغير ذلك .

الثانية : السواك للوضوء والصلاة :

ثم هناك مادل على استحباب السواك ولاسيما عند الوضوء(٤) والصلاة(٥) ، وأنه لولا أن أشق على أمتى لامرتهم بالسواك عند وضوء كل صلاة . أو عند كل

(١) البحار ج ٧٦ ص ١٣٥ ومكارم الاخلاق ص ٤٨/٤٩ ط ٦ .

(٢) البحار ج ٩٩ س ١٨٠ وعلل الشرايع ص ٤٠٧ .

(٣) مكارم الاخلاق ٤٩ .

(٤) راجع : من لا يحضره الفقيه ج١ ص ٣٢ والبحار ج ٧٦ ص ١٣٦ و١٣٢ و١٤٠ وج ٨٠ ص ٣٤٣ و٣٣٨ و٣٣٩ و٣٤٤ وج ٧٧ ص ٧١ ، ومكارم الاخلاق ص ٤٩ و عن المقنع ص ٨ ط قم، وعن كتاب الامامة والتبصرة ، و روضة الكافى ص ٧٩ ، والمحاسن للبرقى ص ١٧ ، و ٥٦١ .

(٥) راجع : الكافى ج ٦ ص ٤٩٦ والمحاسن ص ٥٦١ ، والوسائل ج ١ ص ٣٥٥ و ٣٥٤ و من لايحضره الفقيه ج١ ص ٣٤ والبحار ج ٧٦ ص ١٣٢ وج ٨٠ ص ٣٣٨ وكشف الاستار ج ١ ص ٢٤٠ و ٢٤١ و ٢٤٣ ومجمع الزوائد ج ٢ ص ٩٧ .

صلاة (١) .

والظاهر : أن المراد : الامر الوجوبى ، وإلا : فان الامر الاستحبابى ثابت . . كما أن الظاهر هو أنه لامنافاة بينهما، فان السواك للوضوء معناه أن تكون الصلاة بسواك أيضاً . . فعبر باحدهما عن هذا وعن الاخر بذاك، لعدم الفرق فى النتيجة بينهما .

وورد أيضاً: أن ركعتين بسواك أفضل من اربع ركعات (٢)، أو سبعين (٣)، أو خمس وسبعين ركعة بدونه (٤). أو أن صلاة بسواك أفضل من التى يصليها بدونه أربعين يوماً ، بعد أن قال : عليك بالسواك ، وان استطعت أن لاتقل منه، فافعل (٥) . .

وأن السواك يضاعف الحسنات سبعين ضعفاً (٦) . . وانه من السنن الخمس

---

(١) الوسائل ج ١ ص ٣٥٤ و ٣٥٥ و من لايحضره الفقيه ج ١ ص ١٨ والكافى ج ٣ ص ٢٢ والمحاسن للبرقى ص ٥٦١ و علل الشرايع ص ٢٩٣ والبحار ج ٧٦ ص ١٢٦ و ١٣٧ و ج ٨٠ ص ٣٤١ و ٣٤٣/٣٤٤ ومكارم الاخلاق ص ٥٠ وسنن الدارمى ج ١ ص ١٧٤ وسنن ابن ماجة ج ١ ص ١٠٥ وسنن أبى داود ج ١ ص ١٢ وسنن النسائى ص ١٢ ج ١ و البخارى ج ٢ ص ٣٤ نشر دار الفكر .

(٢) المحاسن للبرقى ص ٥٦٢ ، و من لايحضره الفقيه ج ١ ص ٣٣ والوسائل ج ١ ص ٣٥٥ والبحار ج ٧٦ ص ١٣٣ و ج ٨٠ ص ٣٣٩ و ٣٤٤ عن بعض من تقدم ، و عن المقنع ص ٨ ط قم .

(٣) الكافى ج ٣ ص ٢٢ والمحاسن ص ٥٦١ ، ومن لايحضره الفقيه ج ١ ص ٣٣ ، والوسائل ج ١ ص ٣٥٥ والبحار ج ٧٦ ص ١٣٣ و ١٣٧ و ١٣٩ و ج ٨٠ ص ٣٣٩ و ٣٤٢ والخصال ص ٤٨١ و مكارم الاخلاق ص ٥٠ و جامع الاخبار ص ٦٨ و راجع كشف الاستار عن زوائد البزار ج ١ ص ٢٤٤ و ٢٤٥ ومجمع الزوائد ج ٢ ص ٩٨ .

(٤) البحار ج ٨٠ ص ٣٤٤ عن اعلام الدين .

(٥) البحار ج ٧٦ ص ٣٧ و ج ٨٠ ص ٣٤٤ ومكارم الاخلاق ص ٥١ .

(٦) البحار ج ٧٦ ص ١٢٨ والخصال ص ٤٤٩ .

التي في الرأس (١) . . ويرضي الرحمان (٢) . . ومن سنن المرسلين ، وقد تقدم . .

وقال أبو عبدالله إذا قمت بالليل فاستك ، فان الملك يأتيك فيضع فاه على فيك ، فليس من حرف تتلوه ، وتنطق به الا صعد به الى السماء ، فليكن فوك طيب الريح . . وفي معناه غيره (٣) .

والروايات في هذا المجال كثيرة لا مجال لاستقصائها . .

اشارة : هذا . . ولابد من الاشارة هنا إلى أن ما تقدم من الاختلاف بين أربع ركعات ، أو سبعين ، أو خمس وسبعين ركعة ، أو أربعين يوماً ، ، في مقام اثبات الاجر وافضلية الصلاة بسواك على غيرها . . لا يستدعي التشكيك في هذه الروايات . . اذ لعل السواك الذي تكون المنافع الدنيوية هي المقصودة منه هو الذي يفضل الركعتان معه الاربع ركعات ؛ أما الذي يقصد منه الثواب الاخروي . . . فان ركعتين معه تعدل سبعين ركعة . . أو خمس وسبعين ، أو أربعين يوماً ، على اختلاف درجات الاخلاص في النية في هذا المجال . .

منافع السواك . . وأوقاته . . وكيفياته .

ولم يكتف النبي (ص) والائمة (ع) بالمداومة على السواك عملا ، ولا بما تقدم من الاوامر المطلقة به . . أو بالاشارة لما يثبت استحبابه وعباديته ، و أن الانسان ينال عليه الثواب الجزيل ، والاجر الجميل . . الامر الذي من شأنه أن يعطي الانسان المؤمن قوة دافعة على ممارسته ، والالتزام به ، والمداومة عليه .

(١) البحار ج ٧٦ ص ٦٧ و ٦٨ و ج ٨٠ ص ٣٤٥ و في هوامشه عن المصادر التالية : الخصال ج ١ ص ١٣٠ و فقه الرضا ص ١ وتفسير القمي ص ٥٠ و الهداية ص ١٧ .

(٢) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٣٤ والبحار ج ٧٦ ص ١٢٩ .

(٣) الكافي ج ٣ ص ٢٣ والمحاسن ص ٥٦١ و ٥٥٩ وعلل الشرايع ص ٢٩٣ ، والوسائل ج ١ ص ٣٥٧ ، و البحار ج ٨٠ ص ٣٣٩ و ٣٤١ و ٣٤٣ و ج ٧٦ ص ١٢٦ و ١٣٢ .

نعم . . لم يكتفوا (ع) بذلك . . وانما زادوا عليه اهتمامهم الظاهر ببيان مايترتب على السواك من المنافع ، ومافى تركه من المضار . .

وبديهى أن الشارع المقدس يهتم بالمحافظة على سلامة الانسان ، وحفظه فى أفضل الحالات ، واذا كان للسواك أثر كبير فى ذلك ، فانه يكون مرغوباً ومطلوباً له تعالى بذاته ، حتى ولو لم يقصد به القربة ، ولأتى به لاجل ماله من الاجر والثواب . واذا عرف الناس منافعه . . واذا كان هناك من لا يريد الاقتداء بالمرسلين ، أو لارغبة لديه فيما فيه من الثواب . . فانه قد يفعله رجاء الحصول على مافيه من فوائد ومنافع ، ومايدفعه من مضار . . فان الانسان ـ بطبعه ـ محب لنفسه ، يهمه جداً دفع كل بلاء محتمل عنها ، وجلب كل نفع يقدر عليه لها . . وفى السواك الكثير الكثير مما يرغب فيه الراغبون ، ويتطلع اليه المتطلعون ، سواء بالنسبة لشخص الانسان وذاته ، أو بالنسبة لعلاقاته بالاخرين من بنى جنسه . .

لو علم الناس مافى السواك :

وفى مقام الاشارة الى ما للسواك من المنافع الجليلة نجد الامام الباقر عليه السلام يقول : « لو يعلم الناس مافى السواك لاباتوه معهم فى لحاف » (١) . . وتقدم قوله (ص) لعلى : عليك بالسواك ، وان استطعت ان لاتقل منه فافعل . . فان ذلك . يعطينا : أن فوائد السواك تفوق حد التصور ، وأن مضار تركه لاتقل اهمية فى نظر الاسلام عن فوائد الاستمرار عليه . .

انه لمن المدهش حقاً أن تؤدى بنا معرفة السواك الى أن نبيته معنا فى لحاف ! ! . . مع أن أحدنا حتى لو كان مصاباً فعلا بمرض ، فانه لا يبيت الدواء معه

(١) ثواب الاعمال ص ٣٤ ، وعلل الشرايع ص ١٠٧ ومن لايحضره الفقيه ج ١ ص ٣٤ والوسائل ج ١ ص ٣٤٩ و ٣٥١ والبحار ج ٨٠ ص ٣٤٣/٣٤٤ وج ٧٦ ص ١٣٠ .

فى لحاف ؛ فكيف بالسواك الذى لايعدو عن أن يكون عملية تطهر وتنظف، تستبطن معها الوقاية من أمراض محتملة ؟!! . .

فلولا أن ترك السواك يستتبع أمراضاً خطيرة ، تهدد حتى حياة الانسان ووجوده لم يكن معنى لقوله عليه السلام : لاباتوه معهم فى لحاف . . ومن يدرى فلعله يشير عليه السلام بذلك الى أن موبوئية الاسنان من اسباب مرض السل ، أو الى أن غازات الفم الكريهة قد تنفذ الى مجرى الدم ، و تفتك ـ من ثم ـ بالجسم كله . . او إلى غير ذلك مما ستأتى الاشارة اليه .

فوائد السواك . . فى روايات أهل البيت (ع) :

لقد تقدم فى الروايات السابقة مايدل على أن السواك يطيب ريح الفم ، حيث قال أبو عبدالله عليه السلام : فليكن فوك طيب الريح . . وتقدم أنه ينظف الفم، لقوله (ص) : نظفوا طريق القرآن . .

ونزيد هنا : قول أمير المؤمنين عليه السلام : ان أفواهكم طرق القرآن ؛ فطيبوها (أوفطهروها) بالسواك . . وبمعناه غيره (١) .

و ورد : نظفوا الما ضغين (٢) .

وعن الباقر عليه السلام : لكل شيىء طهور ، وطهور الفم السواك (٣) ونحوه غيره. وورد أن السواك « مطيبة للفم » (٤) .

(١) من لايحضره الفقيه ج ١ ص ٣٢ و سنن ابن ماجة ج ١ ص ١٠٦ والوسائل ج ١ ص ٣٥٨ ، والبحار ج ٧٦ ص ١٣٠ و ١٣١ و ج ٨٠ ص ٣٤٤ عن المقنع ص ٨ ط قم، وعن اعلام الدين ، وصحيفة الرضا ص ١١ والمحاسن للبرقى ص ٥٥٨ .

(٢) البحار ج ٧٦ ص ١٢٧ .

(٣) راجع : من لايحضره الفقيه ج ١ ص ٣٣ ، ومكارم الاخلاق ص ٤٩ ، والبحار ج ٧٦ ص ١٣٦ و ١٢٦ و ج ٦٩ ص ٣٧٠ و فى هامشه عن أمالى الصدوق ص ٢١٦ .

(٤) البحار ج ٧٦ ص ١٢٩ و ١٣٨ و ١٣٩ وفى هامشه عن الخصال ج ١ ص ١٥٥ وعن مكارم الاخلاق ص ٥٥ وعن نوادر الراوندى ص ٤٠ .

وعن أبى عبدالله عليه السلام ، أنه قال : لما دخل الناس فى الدين أفواجاً أتتهم الازد ، أرقها قلوباً ،و اعذبها أفواها . . فقيل : يارسول الله ؛ هذا أرقها قلوباً عرفناه ، فلم صارت اعذبها أفواها ؟ . فقال : لانها كانت تستاك فى الجاهلية .. و فى معناه غيره (١) .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام : السواك مرضاة الله،وسنة النبى ، و مطهرة للفم . . وبمعناه غيره (٢) . .

و عن الصادق عليه السلام : فى السواك اثنتاعشرة خصلة : هو من السنة ، و مطهرة للفم ، ومجلاة للبصر ، ويرضى الرب ، ويبيض الاسنان ، ويذهب بالحفر، ويشد اللثة ، ويشهى الطعام ، ويذهب بالبلغم ، ويزيد فى الحفظ ، ويضاعف الحسنات سبعين ضعفا ، وتفرح به الملائكة . . وفى نص آخر للحديث « يذهب بالغم » (٣) . . وزادفى رواية ذكرها الشهيد پاك نجاد : « ويصح المعدة » (٤)

وعن الباقر عليه السلام : السواك يذهب بالبلغم ، ويزيد فى العقل (وفى نص

---

(١) علل الشرايع ص ٢٩٤ / ٢٩٥ ومن لايحضره الفقيه ج ١ ص ٣٣ والوسائل ج ١ ص ٣٤٩ ومكارم الاخلاق ص ٤٩ والبحار ج ٧٦ ص ١٢٧ و ١٣٦ .

(٢) المحاسن للبرقى ص ٥٦٢ و ٥٦٣ وراجع : البحار ج ٧٦ ص ١٣٣ و ١٣٩ و ج ٦٢ ص ٢٠٤ و ٢٠٣ عنه وعن تحف العقول ص ١٥ ، وعن طب الائمة ص ٦٦ .

(٣) راجع الحديث فى : المحاسن ص ٥٦٢ و ٥٦٣ والكافى ج ٦ ص ٤٩٦ ، والوسائل ج ١ ص ٣٤٧ و ٣٥٠ و ٣٤٩ ومن لايحضره الفقيه ج ١ ص ٣٤ ، وروضة الواعظين ص ٣٠٨ والخصال ص ٤٤٩ ، وثواب الاعمال ص ٣٤ و البحار ج ٧٦ ص ١٢٩ ١٣٧ و ١٣٨ و ١٣٣ و ج ٧٧ ص ٥٥ و ج ٨٠ ص ٣٤٦ و ٣٤١/٣٤٢ ومكارم الاخلاق ص ٥٠ وصحيح البخارى نشر دار الفكر ج ٢ ص ٢٣٤ ، وسنن النسائى ج ١ ص ١٠ ومصباح الشريعة ص ١٢٣ وعن الهداية ص ١٨ .

(٤) اولين دانشگاه وآخرين پيامبر ج ١٢ ص ٢٠ .

آخر : فى الحفظ) (١) .

وعن الصادق عليه السلام : السواك يذهب بالدمعة ، و يجلو البصر (٢) . . وفى نص آخر عن الرضا عليه السلام : السواك يجلو البصر ، وينبت الشعر . . وعنهم (ع) : يذهب بغشاوة البصر . وفى آخر : مجلاة للعين . . والروايات بهذا المعنى كثيرة (٣) .

وعن النبى (ص) أنه قال : السواك يزيد الرجل فصاحة (٤) .

وعن الصادق عليه السلام : السواك وقراءة القرآن مقطعة للبلغم . . وفى نص آخر : ثلاثة يذهبن النسيان ، ويحدثن الذكر : قراءة القرآن ، والسواك والصيام ، « أو اللبان » . وفى نص آخر : يزدن فى الحفظ ، ويذهبن السقم . . وفى غيره : يذهبن بالبلغم ، ويزدن فى الحفظ (٥) .

وعن الصادق عليه السلام : أن النشرة فى عشرة أشياء ، وعد منها السواك (٦).

---

(١) ثواب الاعمال ص ٣٤ والبحار ج ٧٦ ص ١٣٠ والوسائل ج ١ ص ٣٥١ .

(٢) المحاسن ص ٥٦٣ والوسائل ج١ص ٣٤٨ والكافى ج ٦ ص ٤٩٦ والبحار ج ٦٢ ص١٤٥ وج٧٦ ص ١٣٣ .

(٣) المحاسن ص ٥٦٣ و٥٦٢ ومكارم الاخلاق ص ٥٠ و٤٨ والبحار ج ٧٦ ص ١٣٩ و٩٦ و١٣٤ و١٣٣ و١٤٥و١٣٧ وعن تحف العقول ص ١٥ وراجع مصادر حديث الاثنتى عشرة خصلة وغيرذلك كثير . .

(٤) مكارم الاخلاق ص ٤٨ والبحار ج ٧٦ ص ١٣٥ .

(٥) راجع : البحار ج ٧٦ص ١٣٣ و١٣٨ و٣١٩ و٣٢٠ وج ٦٦ ص ٤٤٣ وج ٦٢ ص ٢٦٢و٢٦٦ و٢٧٢ ، وج٧٧ص ٥٥ ومكارم الاخلاق ص ٥١ وفى هوامش البحار عن مكارم الاخلاق ص٥٠ و٥٥ و٤٦ و٤٥ ، وعن الخصال ج١ ص ١٢٦ وعن السرائر ، وعن كتاب طريق النجاة ، وعن الشهيد قدس سره ، وعن دعائم الاسلام و المصادر لذلك كثيرة .

(٦) الوسائل ج ١ ص ٣٥٠ و٣٥٢ والخصال ص ٤٤٣ .

وعنه عليه السلام : عليكم بالسواك ، فانه يذهب وسوسة الصدر (١) .

وفي حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام : أن السواك يوجب شدة الفهم ، ويمرىء الطعام ، ويذهب أوجاع الاضراس ، ويدفع عن الانسان السقم، ويستغني عن الفقر. والحديث طويل، وما ذكرناه منه منقول بالمعنى (٢) .

ونصوص الاحاديث في هذا المجال كثيرة ، ومتنوعة ، وما ذكرناه يشير الى اكثر ما تضمنته ان شاء الله تعالى . .

مجمل ما تقدم :

وقبل أن نتكلم بالتفصيل عما ورد في الروايات المتقدمة ، فاننا نجمل ما جاء فيها على النحو التالي :

١ـ ان السواك طهور ، ومعقم للفم .

٢ـ انه منظف للفم .

٣ـ يجعل الفم عذباً .

٤ـ يذهب برائحة الفم الكريهة ، ويطيب رائحته .

٥ـ يذهب بالغم .

٦ـ يزيد في العقل .

٧ـ يذهب بالدمعة .

٨ـ يذهب بالبلغم .

٩ـ يزيد في الحفظ .

---

(١) امالي الشيخ الطوسي ج ٢ ص٢٧٩ والبحار ج ٧٦ ص١٣٩ والوسائل ج٣ ص٣٨٣ .

(٢) راجع البحار ج ٧٦ ص ١٣٨ وجامع الاخبار ص ٦٨ .

١٠ـ يجلو العين ، ويجلو البصر ، ويذهب بغشاوته .

١١ـ يبيّض الاسنان .

١٢ـ يذهب بالحفر .

١٣ـ يشد اللثة .

١٤ـ يشهي الطعام .

١٥ـ وإذا كان بعود الاراك ، فانه يسمّن اللثة أيضاً .

١٦ـ ينبت الشعر .

١٧ـ يوجب النشرة ، أو النشوة ، حسب بعض النسخ .

١٨ـ يزيد الرجل فصاحة .

١٩ـ يذهب بالنسيان ، ويحدث الذكر .

٢٠ـ يذهب بوسوسة الصدر .

٢١ـ يوجب شدة الفهم .

٢٢ـ يمرىء الطعام .

٢٣ـ يذهب بأوجاع الاضراس .

٢٤ـ يدفع عن الانسان السقم ، ويذهب به .

٢٥ـ يغنى من الفقر .

٢٦ـ يصح المعدة .

كان ذلك هو ما استخلصناه من الروايات بالنسبة لفوائد السواك ، ويمكن أن يأتى كثير مما ذكر هنا فى الخلال أيضاً . . .

ولايجب أن يتخيل : أن فيما ذكر تكرار ، فان انعام النظر فيه يظهر خلاف ذلك للمتأمل . . بل قد يظهر : أننا قد تكلفنا ادخال بعضها تحت البعض الاخر . .

وبعد . . فان من المناسب : أن نقف وقفة قصيرة للتأمل فيما ذكر من الفوائد ، بقدر مايسمح لنابه المجال ، وتسمح لنابه المعلومات الطبية المحدودة المتوفرة لدينا . . فى استكناه الاسرار التى أومأت اليها هذه الرشحة المباركة من رشحات أهل بيت العصمة عليهم السلام . وتضمنتها تلك الخريدة الفريدة ، لنستوحى منها، ونستهدى طريق الخير ، والرشاد، والسداد . . فنقول . . والله المستعان ، ومنه نستمد الحول والقوة . .

السواك . . يبيض الاسنان :

إن كثيراً مماتقدم قديكون ممالايزال العلم عاجزاً عن كشف مدى ارتباطه بالسواك ، وارتباط السواك به بشكل دقيق وشامل . . إلا أن ممالاشك فيه هو أننا نستطيع أن نتلمس من ذلك كله مدى اهتمام الاسلام بمختلف شؤون هذا الانسان وأحواله ، ومدى احاطته وشموليته لهذه الاحوال ، وتلكم الشؤون . .

حتى إنه لم يغفل حتى عن أثر السواك فى المظهر الخارجى للانسان ، انطلاقاً من حرصه الشديد على أن يبدو الانسان فى ابهى منظر ، وازهى حلّة . . لان جمال المظهر يؤثر فى اجتذاب الآخرين إليه ، ومحبتهم له ، بل ويؤثر حتى فى روحه هو ونفسه ، فضلا عن غيره .

ومن هنا . . فقد ورد : أن السواك يبيض الاسنان(١) . . وورد أيضاً قوله (ص) : « مالى أراكم قلحاً ؟ مالكم لاتستاكون ؟ ! » (٢) .

---

(١) سيأتى ذلك فى حديث الاثنتى عشرة خصلة فى السواك . .

(٢) الكافى ج٦ ص ٤٩٦ ، والمحاسن للبرقى ص ٥٦١ ، والبحار ج ٧٦ ص١٣٢ وفى المحاسن : مالى أراكم قلحاً مرغاً . . ففى التاج ذوشعر مرغ اى متشعث يحتاج الى الدهن ، أودنس من كثرة الدهن . . وراجع أيضاً كشف الاستار ج١ ص ٢٤٣ ومجمع الزوائد ج ٢ ص ٩٧ .

والقلح : صفرة فى الاسنان . . ولاشك فى أن بياضها أفضل من صفرتها أو خضرتها ؛ وأكثر قبولا لدى الآخرين ، لانه هو اللون الطبيعى لها . .

السواك . يطيب رائحة الفم :

ولاشك أن ذا الفم الكريه الرائحة ينفر الناس ، بل وحتى الملائكة منه ، والانسان يريد لنفسه ، والله أيضاً يريد له :أن يكون محبباً لدى الناس ، قريباً إلى قلوبهم ونفوسهم . .

ومن هنا فقد ورد : أن السواك يطيب رائحة الفم .

يذهب بالحفر :

و السواك أيضاً يذهب بالحفر . أى أنه يقلع الحبيبات المتكلّسة على جدار السن ، والتى تؤدى إلى جرح اللثة و تقيحها ، وجعلها فى معرض الالتهابات والامراض . بالاضافة إلى أنه يمنع من وجود غيرها من جديد . .

يقوى اللثة :

وهو إلى جانب ذلك عامل مهم من عوامل تقوية اللثة وسمنها ، حيث إنه رياضة مستمرة لها ، وينبه عضلاتها ويحركها ، كما ويحرك الدورة الدموية فيها..

يجلو البصر :

و كذلك فان للسواك علاقة بالعين ، فمرض الاسنان يؤثر فى مرضها ، وسلامتها تؤثر فى سلامتها . . وقد شوهدت حالات كثيرة من العمى المؤقت الناجم عن بعض امراض الاسنان..حتى إذا ما عولجت وشفيت عادت الرؤية إلى العين من جديد ، و لعل ذلك أصبح من الامور المتسالم عليها طبياً . . ولذا نرى فى كلماتهم عليهم السلام

التأكيد على هذه العلاقة ، وأن السواك يجلو البصر ،ويذهب بالدمعة ، و يذهب بغشاوة العين . . وغير ذلك مما تقدم . .

ينبت الشعر :

وللاسنان علاقة وثيقة أيضاً بشعر الانسان . . وقدلوحظ كثيراً : أن بعض المبتلين ببعض أمراض الاسنان يتساقط الشعر المسامت للاسنان المريضة عندهم . . حتى اذاما عولجت اسنانهم وشفيت ، فان ذلك الشعر يعود إلى النمو من جديد . . وهذا مايجعلنا ندرك بسهولة : أن السواك الذى يؤثر فى سلامة الاسنان ، فانه يؤثر أيضاً فى انبات الشعر ، حسبماورد فى الرواية . .

علاقة السواك بالحالة النفسية والعقلية وغيرها . .

وكذلك . . فانه ممالاشك فيه : أن تنظيف أى عضو من أعضاء الانسان ، وخصوصاً الفم . . يكون من اسباب بعث الحيوية والنشاط فى مختلف أجهزة الجسم الاخرى ، حتى الجهاز التناسلى منها ـ ومن اسباب بعث السرور و الابتهاج فى نفسه . . وإذا كان الانسان مرتاحاً نفسياً ،ويتمتع بالحيوية والنشاط الجسدى ، فان ذلك ينعكس بطبيعة الحال على نشاطه الفكرى والعقلى . . حتى لقد قيل : العقل السليم فى الجسم السليم . .

بل اننا نستطيع : أن نؤكد على علاقة الاسنان بسلامة الانسان النفسية. ومن هنا . . فاننا نلاحظ : ان ظهور مايسمى بـ « ضرس العقل » يصحبه فى احيان كثيرة بعض الاختلالات النفسية لدى الانسان ، كمايقولون . . وذلك يؤكد على أنه ليس من المجازفة فى القول : التأكيد على أن السواك له تأثير مباشر فى الصفاء النفسى للانسان ، ويذهب بكثير من الوساوس والهواجس التى قد تنتابه . .

بل هو يؤثر فى إذهاب حالات الغم والهم التى قد تنتاب الانسان أيضاً ، ولايعرف

لها سبباً قريبا معقولا . . مع أنها قد تكون ناشئة عن موبوئية الفم والاسنان احياناً كثيرة . . حتى إذا ما نظفت ذهبت هذه الحالة عنه ، ليحل محلها حالة من الفرح والحيوية والنشاط . .

وإذا ما عرفنا : أن الهم والغم من الاسباب الرئيسة للنسيان ؛ وعدم التمكن من الحفظ بسبب اختلال الحال ، واشتغال البال ، وعدم القدرة على التركيز على نقطة معينة . .

وعرفنا : ان النشوة وصفاء الفكر من أسباب سرعة الحفظ ، وزيادة قوة الحافظة . . إننا إذا عرفنا ذلك . . فاننا ندرك مدى علاقة السواك بحافظة الانسان ، ومدى تأثيره في اذهاب حالة النسيان من الانسان . .

وهماذ كرنا نعرف : كيف أن السواك ـ على حد قولهم عليهم السلام يذهب بالغم والنسيان ، ويزيد في الحفظ والعقل . ويشهي الطعام ، ومن أسباب النشاط والنشوة أو النشرة (١) ويزيد الرجل فصاحة ، ويذهب بوسوسة الصدر ، ويوجب شدة الفهم الى غير ذلك مما ورد في الروايات عن أهل بيت العصمة صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين .

آثار موبوئية الفم . .

وبما أن للاسنان علاقة بجميع اجهزة الجسم الاخرى . . و يؤثر صحتها ومرضها وقوتها في مرض وصحة وقوة تلك الاجهزة . . فان من الطبيعي أن يكون ذلك حافزاً ودافعاً للانسان ليحافظ على أسنانه ، ويهتم بصحتها ، لانه يكون قد حافظ على سائر اجهزة جسمه تقريباً . .

ويقول علماء الطب :

---

(١) النشرة : هي انتشار العضو التناسلي . و ذلك غير بعيد ، بعد أن كان السواك من اسباب القوة والنشاط في مختلف أجهزة الجسم . .

إن الجراثيم والميكروبات المتكونة فى تجاويف الاسنان من فضلات الطعام المتخلفة فيها ، والوافدة من الفم الى المعدة ، هى السبب فى عسر الهضم ، وحزّة المعدة ، أوحموضتها . وهى السبب أيضاً فى بعض أمراض الكلى والرئتين . .

وقد تصل هذه الجراثيم إلى اللوزتين ، وتؤثر أيضاً على الانف ، بحيث توجب التهابات فى الجيوب الانفية . .

بل إن أمراض الاسنان الناشئة من عدم تنظيفها وتعقيمها قد توجب التهابات فى الاذنين ، وتكون هى السبب فى بعض أمراض العينين ـ وذلك لاتصال كل من العين والاذن بالاسنان عن طريق الاعصاب .

كما أن بعض أمراض الفم قد تؤثر فى روماتيزم المفاصل ، وتزيد من اعباء الكبد . بل إن اسنان المريض هى أول ما يلفت نظر الطبيب فى معالجته المريض بالسل ، وأسقام عديدة أخرى . .

هذا . . ويتكون من تخمر فضلات الطعام فى الفم حامض : «الكتيك» الذى يوثر فى الطبقة الخارجية لتاج السن فيذيبها ويفقدها نعومتها ، و يجعلها خشنة الملمس . . الامر الذى يساعد على تخلف مزيد من الفضلات ، وليتكون من ثم المزيد من الجراثيم .. ومن ثم إلى مواجهة كثير من المتاعب .

كما أن هذه الاحماض المشار اليها .. هى فى الحقيقة من أسباب تسوس الاسنان ، ومن ثم فقدانها لصلاحيتها ، حيث يكون لابد من التخلص منها . .

كما أن غازات الفم الكريهة قد تنفذ الى مجرى الدم ، وتفتك ـ من ثم ـ بالجسم كله . .

وهذه الغازات التى تنشأ فى الغالب من تخمر فضلات الطعام المتبقية فى تجاويف الاسنان ، التى لاتلبث أن تتعفن ، وتصبح ذات رائحة كريهة جداً ، يشعر بها كل من يحاول تنظيف أسنانه بعد اهماله لها مدة من الزمن . . ثم تتحول شيئاً فشيئاً الى ميكروبات وجراثيم تعد بالملايين ، ويتسبب عنها الكثير من امراض الفم ،

وتفد ـ كما قلنا ـ مع الطعام إلى المعدة ، ولتسبب للانسان من ثم ـ الكثير من المتاعب والاخطار . .

يضاف إلى ذلك كله : أن تلك الفضلات قد تسبب قروحاً في اللثة ، ومع كون الجراثيم حاضرة وجاهزة ، فانها تعمد إلى الفتك باللثة عن طريق تلك القروح ، وإذا ما أدت تلك القروح إلى كشف عنق السن ، فلسوف ينتج عن ذلك ضعف ذلك السن وخلخلته . وليصبح من ثم عديم الفائدة ومستحقاً للقلع . (١)

السواك . . هو المنقذ :

وهكذا . . فان النتيجة بعد ذلك تكون : هي ، أنه لابد للفم من منظف أولا ، ومعقم ومطهر له ثانياً ، يقتل هذه الجراثيم التي فيه ، ويزيلها ، ويمنع من حدوث أخرى مكانها . .

وقد قرر الشارع : أن هذا المنظف والمطهر والمعقم هو السواك ، الذي يكون في نفس الوقت علاجاً ، كما هو عملية وقائية من كثير من الامراض ، التي يمكن أن يتعرض لها الانسان نتيجة لموبوئية الاسنان ، و منها امراض المعدة ، حيث إن السواك «يصح المعدة» كما تقدم ، هذا عدا عن الاثار الكثيرة التي اشرنا و سنشير اليها ان شاء الله تعالى .. كما و يلاحظ : أنه قد اعتبره مطهراً ومعقماً للفم كله ، لا لخصوص الاسنان وحسب .. ولكن شرط أن يستعمل على النحو الذي يريده الشارع ، وفي الاوقات والوسائل التي قررها . .

ومن هنا ، فاننا نعرف الحكمة في قولهم عليهم السلام عن السواك : إنه طهور للفم ، ومنظف له ، وأنه يدفع عن الانسان السقم ، ويذهب أوجاع الاضراس . . الى غير ذلك مما تقدم ، وسيأتي إن شاء الله تعالى . .

(١) راجع كتاب . الصحة والحياة ص ٣٥ / ٣٦ فانه قد أوضح ذلك . .

السواك يشهى الطعام :

كماأن من الواضح : أن موبوئية الفم ، وكثرة الجراثيم فيه تقلل من اشتهاء الانسان للطعام،وميله إليه ، ولاسيماإذاكانثمة عسر هضم ،أوحزةأوحموضة فى المعدة . .

بل إن من الامور الثابتة علميا : أن تنظيف الاسنان يدفع الانسان إلى الطعام ،ويزيدمن الكميات التى يتناولها منذإلىحدملفت للنظر . . وهذا بالذات مايفسر لناماورد عنهم عليهم السلام ، من أن السواك يشهّى الطعام ويمريه . .

عذوبة الفم . . والفصاحة . .

وإذاكانالاستياك يوجب عذوبةالفم ، ونقاوةاللعاب ، ويشد اللثة ويقويها ويحافظ على الاسنان ، ويوجب تقوية عضلات الفم ، إلى آخر ما تقدم . . فان من الطبيعى أن يكون من أسباب زيادة الرجل فصاحة ، حيث تصير عضلات الفم اكثر قدرة على الحركة ، واكثر تحكمابالنبرات الصوتية ، وأكثر نشاطاً ،ودقة فى أدائها لوظيفتها . .

السواك بالقصب والريحان وغيرهما :

ومع أننا قد أطلنا الكلام نسبياً فى موضوع السواك . . إلا أن تشعب هذا الموضوع ، واختلاف مناحيه واطرافه هوالذى فرض علينا ذلك ، مع اعترافنا بالعجزوالقصورعنإدراك الكثير ممايرمى إليه النبى والائمة صلوات الله وسلامه عليهم ، أو يشيرون إليه . .

ولذا . . فاننالانجدمحيصاًعنالالمامةالسريعة فيما يتعلق بأحوالوكيفيات السواك واوقاته كذلك . . فنقول :

إن من الواضح : أن مجرد إخراج الفضلات من تجاويف الاسنان ، و إن كان فى حد ذاته مفيداً . . إلا أنه إذا كان بطريقة غير صالحة ، فلربما تنشأ عنه أضرار تفوق ما يمكن أن يجلبه من منافع . .

و هذا . . مايبرز الحاجة الملحة لتوخى الطريقة الاصلح والفضلى التى تؤدى المهمة المنشودة على اكمل وجه، وتتلافى معها جميع المضاعفات والاضرار المحتملة..

وبديهى أن إخراج الفضلات من تجاويف الاسنان بواسطة آلة صلبة ، كدبوس أوابرة ، أوأى آلة معدنية أخرى . . لمما يتسبب منه جرح الجدار الصلب الذى يغلف تاج السن . . كما أنه قد يؤدى إلى جرح النسيج اللثوى، الامر الذى ينتج عنه تعرض الاسنان للنخر ، واللثة للالتهابات ، بفعل تلك الجراثيم التى تتواجد فى الفم ، والتى ربما تعد بالملايين .

وإذن . . فلابد وأن يكون السواك والخلال بوسيلة لاصلابة فيها ، يؤمن معها من جرح الجدار الصلب لتاج السن ، وجرح النسيج اللثوى أيضاً . .

ولاجل ذلك . . فقد منع الاسلام عن السواك والخلال بالقصب وعود الرمان لان ذلك قد يجرح النسيج اللثوى ، ويؤثر فى تاج السن أيضا . .

كما أنه قد منع عن عود الريحان . . و لعل ذلك يرجع إلى أنه يحتوى على بعض المواد المضرة بالاسنان وفى اللثة على حد سواء . .

ومما يدل على المنع عن السواك بغير الاراك والزيتون .

ما روى عن النبى (ص) من أنه نهى أن يتخلل بالقصب ، وأن يستاك به(١)..

وعنه (ص) : أنه نهى عن السواك بالقصب ،والريحان ،والرمان(٢)

السواك بالاراك ، ونحوه :

وقد أمر الاسلام بالسواك بعود الاراك وحث عليه ، وما ذلك الالان النسيج

(١) المحاسن ص ٥٦٤ ومكارم الاخلاق ص ١٥٣.
(٢) المصدران السابقان .

الداخلى لعود الاراك بعد ملاقاته للماء أواللعاب يتخذ حالة ملائمة جداً لعملية السواك ، حيث إنه يصير مرنا ، وناعماً وطرياً،يشبه الفرشاة المستعملة فى هذه الايام إلىحد بعيد ، فلايتعرض معه جدارالسن ، ولاالنسيج اللثوى إلى أية حالة يمكن أن ينتج عنها ضرر مهماكان.. كماأنعود الزيتون يؤدى نفس هذه المهمة أيضاً على ما يبدو . .

نعم . . لم يأمرالاسلام باتخاذ فرشاة ،ولاأرشد إلى صنع معاجين من مواد معينة ، ومعقمة ومطهرة للفم، ومضادة إلى حدما للجراثيم . . على النحوالشائع فى هذه الايام . . إذلم يكن فى ذلك الزمان معاجين ، ولاكان يخطر فى بالهم ، أويمر فى مخيلتهمأن يحتاج تنظيف الاسنانالى مواد كيمياوية من نوعمعين . . ولو أنه(ص) أراد أن يرشدهم إلى صنع فرشاةأوتركيب معاجين كيمياوية لهذا الغرض لوجدأنه سيتعرض لنسب وأباطيل لايرضى أحدأن يتعرض لها . .

ولكنه (ص) أمرهم باتخاذ عود الاراك ،أوعودالزيتون مسواكاً ، وذكر له فىالروايات منافع هامة ، ثم اكدالائمة بعده على ذلك . .

فقد روى : عن الباقر عليه السلام: أن الكعبة شكت إلىالله عزوجل ما تلقى من أنفاس المشركين ، فأوحى الله تعالى إليها : قرى كعبة ، فانى مبدلك بهم قوماً يتنظفون بقضبانالشجر ، فلمابعثالله محمداً،أوحىالله إليه مع جبرئيل بالسواك والخلال . . وهومروى بعدة طرق . .(١)

وعن النبى (ص) : أنه كان يستاك بالاراك ، أمره بذلك جبرئيل (٢)

وفى ماكتبهالرضا عليه السلام للمأمون : «واعلم يا اميرالمؤمنين : أن أجود ما استكت به ليف الاراك ؛ فانه يجلوا الاسنان ، ويطيب النكهة ، ويشد اللثة ،

(١) المحاسن للبرقى ص٥٥٨ ، ومنلايحضره الفقيه ج ١ ص ٣٤ والوسائل ج ١ ص ٣٥٧ و٣٤٨ ومكارم الاخلاق ص ٥٠ والبحار ج ٦٦ ص ٤٣٩ و ج ٧٦ ص ١٣٠ و١٣٨ وفى هوامشه عن تفسيرالقمى ص ٥٠ وعن فروع الكافى ج ١ ص ٣١٤ .

(٢) مكارم الاخلاق ص ٣٩ ، والبحار ج ٧٦ ص ١٣٥ .

ويسمنها . وهو نافع من الحفر ، إذا كان باعتدال . والاكثار منه يرق الاسنان ، ويزعزعها ، ويضعف أصولها (١) »

وبالنسبة للسواك بالزيتون فقد روى عن النبي (ص) : أنه قال : نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة ، يطيب الفم ، ويذهب بالحفر ، و هي سواكي ، وسواك الانبياء قبلي (٢) .

أما بالنسبة لعود الزيتون الذي لم نجده إلا في هذا النص الاخير ، فلا نملك معلومات يقينية عنه يمكن الاعتماد عليها . .

وما يهمنا هنا هو الكلام عن عود الاراك . . فاننا إذا لاحظنا ما في عود الاراك من المنافع فلسوف ندرك : أنه ليس من اللازم ، بل و لا من الراجح العدول عنه إلى الفرشاة ، ولا إلى المعاجين التي يدعى أنها تساعد على التنظيف ، و التعقيم والتطهير ، بل لابد من الاقتصار على عود الاراك ، حيث قد اثبتت المختبرات الحديثة أفضليته على الفرشاة . حيث إن «للاراك رائحة طيبة ، لعابية ، و فيه مواد تبيض الاسنان (٣) » وقال وجدي : «وله فائدة بالنسبة الى الاسنان وهي صلاحية أغصانه للاستياك بها . و فيها من حسن النكهة ، و تمام الاستعداد لاستخراج فضلات الاغذية من بين الاسنان ما يجعل استعماله افضل من الفرشة (٤)» .

نعم .. و «قد وجد أحد معامل الادوية في المانيا مادة خاصة في المسواك المأخوذ من شجر الاراك ، تكسب الاسنان مناعة على النخر ، شبيهة بمادة «الفلور» ، وقاتلة للجراثيم .

ولوحظ : أن نسبة نخر الاسنان لدى الذين يستعملون المسواك أقل بكثير

(١) راجع الرسالة الذهبية ص ٥٠ ط سنة ١٤٠٢ هـ . والانوار النعمانية ج ٤ ص ١٨٠ والبحار ج ٦٢ ص ٣١٧ .

(٢) مكارم الاخلاق ص ٤٩ والبحار ج ٧٦ ص ١٣٥ .

(٣) أولين دانشكاه وآخرين پيامبر ج ١٢ ص ١٣٤ .

(٤) دائرة معارف القرن العشرين ج ١ ص ٢٠١ .

من الذين يستعملون فرشاة الاسنان . ومازال هذا المعمل يواصل بحوثه وتحرياته، ويحاول الاستفادة من هذه المادة ، واضافتها الى معاجين الاسنان» (١)

أما الفرشاة ، فليس فيها هذه المادة القاتلة للجراثيم ، ولهذا ينصح الاطباء بوضعها في الماء والملح بعد تنظيف الاسنان بها ، ليقضى بواسطة ذلك على الجراثيم العالقة ،أو التي ربما سوف تعلق بها ، وحتى لاتعود تلك الميكروبات للفم مرة ثانية. .

أما عود الاراك ،فان كل ما علق أو يعلق به ،فانه يقضى عليه تلقائياً بواسطة تلك المادة الموجودة فيه من دون حاجة إلى جعله في الماء والملح ، أو غير ذلك..هذا . . إذا استطاع الماء والملح أن يقضى على جميع أنواع المكروبات ، ومن أين له ذلك وأنى ، فان ذلك ممالم يثبت حتى الان . .

السواك عرضا . . لاطولا :

ثم إن لكيفية السواك مدخل في التنظيف الكامل و عدمه ، إذ أنه مرة يمر المسواك على الاسنان إمراراً ظاهرياً . وهذا لايكفي ـ بطبيعة الحال ـ في الوصول إلى الغاية التي شرع من اجلها السواك .

ومرة يصل المسواك إلى جميع تجاويف الاسنان ،ويخرج الفضلات منها. . وهذا هو المطلوب . . لانك إذا دعكت الاسنان بالمسواك صعوداً ونزولا ، فلسوف تدخل شعب المسواك إلى جميع التجاويف ، والفجوات،والخلايا . . حتى لايبقى أي شيء من الفضلات يمكن أن يسبب ضررا على الاسنان ، أوعلى أي من أجهزة الجسم الاخرى ..وقد ورد الامر من الائمة عليهم السلام بهذه الطريقة قبل أربعة عشر قرناً ، ولم يتنبه لها علماء الطب إلا في هذه السنوات المتأخرة ، وبدؤا ينصحون باتباعها..(٢)

وعلى كل حال ..فقد ورد عن النبي (ص) قوله: استاكوا عرضاً ، و لاتستاكوا طولا(٣) . .

---

(١)

(٢) الصحة والحياة ص ٣٧ .

(٣) من لايحضره الفقيه ج ١ ص ٣٣ وراجع البحار ج ٨٠ ص ٣٤٣ و ج ٦٦ ص ٤١٤ .

وعن النبى (ص) :اكتحلوا وتراً ،واستاكوا عرضاً(١) . . و كان (ص) إذا إذا استاكاستاك عرضا(٢) .وكان امير المؤمنين عليه السلام«يستاك عرضاً،و يأكل هرثاً» (٣)

المضمضة بعد السواك:

إلا أن من الواضح: أنمجرد إجراءعملية السواكهذه ،لايكفى فى اخراج الفضلات من الفم ، وتنظيفه وتطهيره . . مع أن هذا هوأحدالاهداف الهامة من عملية السواك ،كما صرحت به الروايات الكثيرة . .

بل لابد من القيام بعمليةأخرى لاخراج هذه الفضلات من الفم ؛ وليكون الفم من ثم نظيفاً، طاهراً ، طيب الرائحة الخ . .

وقدبين لناائمةأهل البيت عليهم السلام هذه الطريقة،فحكموا بلزوم المضمضة بعدالسواك، وإذاكان ذلك الغرض لايحصل من المضمضة مرة واحدة ، فقدورد الامر بالمضمضة ثلاث مرات بعده .

فعن الصادق عليه السلام : من استاك فليتمضمض . .(٤)

وجاء فى روايةأخرى لمعلى بن خنيس عن السواك بعد الوضوء ، قال عليه السلام : «يستاك ، ثم يتمضمض ثلاثمرات(٥)» .

---

(١) من لايحضره الفقيه ج١ص ٣٣ ومكارم الاخلاقص ٥٠ والبحار ج ٧٦ ص ١٣٧ والوسائل ج ١ ص ٤١٢ .

(٢) مكارم الاخلاق ص٣٥ والكافى ج ٦ ص ٢٩٧ ومجمع الزوائد ج ٢ ص ١٠٠

(٣) الوسائل ج١٦ ص ٤٩٧ وفى هامشه عن الفروع ج٢ ص ١٦٤ وقصار الجمل ج ١ ص ١٨ والهرث:ان ياكل باصابعهجميعاً .

(٤) الوسائل ج١ ص ٣٥٤والمحاسن ص٥٦٣و٥٦١ والبحار ج ٧٦ص١٣٤ .

(٥) المحاسن ص ٥٦١ والبحار ج ٨٠ ص ٣٣٩ .

أدنى السواك :

ونلاحظ : أن اهتمام الاسلام بالسواك قدبلغ حداً لربما يصعب تفسيره على الكثيرين ، اوإدراك معطياته بشكل كاف . . حتى لنجده يكتفى من السواك بالدلك بالاصبع ، فعن النبى (ص) : التسوّك أوالتشويص بالابهام والمسبّحة عندالوضوء سواك(١) . .وعنهم عليهم السلام :أدنى السواك أن تدلكه باصبعك (٢)..بل لقدا كتفى فيه بالمرة الواحدة كل ثلاث،فعن الباقر عليه السلام :لاتدعه فى كل ثلاث،ولوأن تمره مرة واحدة(٣) .

وهذا تعبير صادق عن مدى اهتمامهم عليهم السلام بالسواك ، كما أنه يوحى بما للسواك من عظيم الفائدة،و جليل الاثر . ، فان الدلك بالاصبع ، و إن لم يكن محققاً للغاية المرجوة بتمامها ، إلا أن الميسور لايترك بالمعسور ، إذ أن الدلك بالاصبع مفيدعلى الاقل فى تقوية اللثة ،وتحريك عضلاتها . . كما أنه يهتك الاغشية التى ربما تغلف الاسنان واللثة ، وتستبطن معها الكثير من الفضلات التى يمكن أن تكون مسرحاً لكثير من الجراثيم والميكروبات ،التى تنشأعى تخمر الفضلات ـ الامر الذى يؤثر ولوجزئياً فى محدودية فعالية تلك الجراثيم على الاقل . . وهذا بالذات مايفسر لنا قولهم عليهم السلام : لاتدعه فى كل ثلاث ، ولوأن تمره مرة واحدة ، كما هوظاهر لايخفى .

---

(١) البحار ج ٨٠ ص ٣٤٤ عن دعوات الراوندى،والوسائل ج ١ ص ٣٥٩ وفى هامشه عن التهذيب ج ١ ص ١٠١ .

(٢) الكافى ج٣ ص٢٣ والوسائل ج١ ص ٣٥٩ ، وراجع البحار ج ٧٦ ص١٢٧ وص ١٣٧ عن علل الشرايع ج ١ ص ٢٧٨ وعن مكارم الاخلاق ص ٥٢ وراجع مجمع الزوائد ج ٢ ص ١٠٠ .

(٣) الكافى ج٣ ص٢٣ومن لايحضره الفقيه ج١ص ٣٣ ، ومكارم الاخلاق ص ٥٠ والوسائل ج ١ ص ٣٥٩ و٣٥٣ والبحار ج ٧٦ ص ١٣٧ ، وراجع هوامش الوسائل . .

السواك بماء الورد :

نعم . . و من أجل أن تطيب رائحة الفم أكثر ، لان السواك مطيبة للفم أيضاً ، نجد : أن الحسن عليه السلام كان يستاك بماء الورد (١) .

السواك فى الحمام :

هذا . . ولعل من الامور الى لاتحتاج إلى بيان : أن السواك فى الحمام غير صحى ، لان السواك عبارة عن تنظيف الخلايا و الفجوات من الفضلات ، فاذا تعرضت تلك الخلايا والفجوات لجو الحمام المزدحم بالميكروبات ، فلسوف تتعرض لغزو عنيف منها . ولن يمكن التخلص منها بعد بسهولة ويسر ، لاسيما وأنه وهو فى ذلك الجو كلما أخرج منها فوجاً استقر فى مكانه فوج آخر ، واتخذ مواقعه . .

نعم . . ولايوجد ثمة أى شيىء يحجزها عن الوصول الى الامكنة الحساسة ، لمباشرة اعمالها التخريبية رأساً . .

أما فى غير جو الحمام ، فان اللعاب يمنعها إلى حدماً من الوصول بهذه السرعة إلى الامكنة الحساسة ، وذلك بسبب تغطيته لها و لزوجته ، التى يحتاج اختراقها من قبل الجراثيم إلى بعض الوقت ، مضافاً إلى تبدل اللعاب وتغيره باستمرار ، ولو بقى منها شيىء مع هذا التبدل ، فان النوبة الثانية لاستعمال السواك تكون قد أزفت . . وأما اثناء السواك فى الحمام ، فان اللعاب لايصل إلى المناطق التى عليها المسواك ، بل تبقى مكشوفة معرضة للعطب بأسرع مايكون . . هذا . . مع ملاحظة أن جو الحمام يكون اغنى بهذه الميكروبات ، وتكون اكثر حيوية فيه . .

وهذا . . مايفسر لنا ماورد عن أبى عبدالله عليه السلام فى حديث : واياك والسواك

(١) البحار ج ٨٠ ص ٣٤٦ عن الهداية ص ١٨ .

فى الحمام ، فانه يورث وباء الاسنان . . وفى معناه عدة روايات أخر(١) .

السواك على الخلاء :

ونفس ما تقدم ـ تقريباً ـ يأتى بالنسبة إلى السواك على الخلاء ، فان نفس تلك الرائحة الكريهة عبارة عن جراثيم وميكروبات . . فاذا ما وصلت إلى الفم ، و استقرت فيه ، و لاسيما فى المناطق الحساسة و المكشوفة نسبياً ، و تناسلت وتكاثرت ، فان النّفس يبدأ بقذف الزائد منها إلى الخارج ، فتلتقطه حواس الشم لدى الآخرين. .الامر الذى ينشأ عنه شدة تنفرهم وانزعاجهم منه . . ومن هنا .. نجدهم عليهم السلام ينهون عن السواك على الخلاء .

فعن الصادق عليه السلام فى حديث . والسواك فى الخلا يورث البخر (٢) .

وعنه عليه السلام : السواك على المقعد يورث البخر . (٣)

اوقات السواك ، والسواك للصائم :

قد تقدم ما يدل على استحباب السواك عند كل وضوء ، وعند كل صلاة . . وإذا أراد أن ينام ويأخذ مضجعه، ووقت السحر ، وفى كل مرة قام من نومه ،وحين طلوع الشمس ووالخ . .

---

(١) امالى الصدوق ص ٢٥٣ و ٢٥٤ والوسائل ج ١ ص ٣٥٩ و ٣٦٠ و من لايحضره الفقيه ج ١ ص ٣٣ و مكارم الاخلاق ص ٤٩ و الكافى ج ٦ ص ٢٠٨ والبحار ج ٧٦ ص ١٣٦ و ٧٠ و ٧٢/٧١ و ٧٦ و ٧٥ و ٨١ و ٣٢٨ وعن علل الشرايع ج ١ ص ٢٧٦ و فقه الرضا ص ٤ .

(٢) و (٣) من لايحضره الفقيه ج ١ ص ٣٢ ومكارم الاخلاق ص ٤٨ و ٥١ والبحار ج ٨٠ ص ١٩١ و ج ٧٦ ص ١٣٥ و ١٣٨ وعن الهداية ص ١٥ .

أما الصائم فانه يستاك أى النهار شاء . (١) وكان على يستاك فى اول النهار وفى آخره ، فى شهر رمضان(٢) . ولكن لم يرجح له الاستياك بسواك رطب أيضاً (٣) . . ولعل ذلك من أجل أن لا يجعل الصائم فى حرج من جهة صومه ، مع الحرص على القيام بعملية السواك حتى فى حال الصوم . .

ونحن نشير هنا إلى :

أن وفود الجراثيم إلى الفم لا ينحصر فى تخمر فضلات الطعام فيه ، لان من الممكن أن تصل إلى الفم عن طريق ملامسة بعض الاجسام الاخرى غير الطعام . . بل ومن الطعام نفسه إذا كان ملوثاً بما هو خارج عنه . . كما أن من الممكن أن تتوافد إلى الفم عن طريق الهواء غير النقى ، الذى يصل الى الفم ، وإلى غيره من اجهزة الجسم عن طريق التنفس .

ولاجل هذا . . فقد اختلفت الميكروبات التى يعانى منها الفم و تنوعت ، ولا يضاهيه فى اختلافها وتنوعها أى عضو آخر فى الانسان على الاطلاق . . وهو اكثر الاعضاء قابلية لاستقبالها ، وهو المكان الامثل لنموها وتكاثرها . . لان اللعاب الذى يتدفق باستمرار ـ وإن كان فى حالة سلامة الجسم ـ يمكنه أن يقضى على

(١) الكافى ج ٣ ص ٢٣ ، والمحاسن ص ٥٦٣ والبحار ج ٧٦ ص ١٣٦ و ١٣٤ ومن لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٣٣ والاستبصار ج ١ ص ٩١ ومكارم الاخلاق ص ٤٩ والوسائل ج ١ ص ٣٦٠ و ٥٧ و ٥٨ والبخارى نشر دار الفكر العربى ج ٢ ص ٢٣٤ وسنن ابى داود ج ٢ و سنن ابن ماجة . .

(٢) الوسائل ج ٧ ص ٦٠ وفى هامشه عن قرب الاسناد ص ٤٣ .

(٣) الاستبصار ج ٢ ص ٩٢/٩١ والوسائل ج ١ ص ٣٦٠ و ج ٧ ص ٥٥ و ٥٩ و ٥٨ وفى هوامشه عن العديد من المصادر .

كثير من انواع الميكروبات ـ (١) إلا أنه فى غير هذه الحالة يمثل الدرع الواقى والغطاء الطبيعى لها، الذى يمكنه أن يحميها من كثير من العوارض . . بل انه يمثل الغذاء لها لو حرمت الغذاء . . و إذا لاحظنا مدى حساسية هذا العضو ـ الفم ـ بالنسبة لسائر اجهزة الجسم الاخرى . . فاننا نعرف السر فى تجويز الاستياك للصائم .. وفى دعوة الاسلام للاستياك فى الاوقات المختلفة المتقدم ذكرها . .

أضف الى ذلك : أن بقاء محيط الفم لعدة ساعات فى حالة هدوء معناه: أنه اذا كان فيه شيىء من الفضلات المتبقية فان التخمير يتم فيه بيسر و سهولة حينئذ، كما أنه لو كانت بعض الجراثيم متخلفة فى الفم فانها تستطيع مهما كانت ضئيلة ومحدودة أن تقوم بنشاط واسع من دون وجود أى وازع أو رادع .

فاذا استاك قبل النوم فانه يقضى بذلك على كل ذلك ، ولا يبقى ثمة فرصة لنشاط الجراثيم ، ولا لتخمر الفضلات . .

كما أن السواك بعد النوم يقضى على الجراثيم الوافدة الى الفم عن طريق التنفس وغيره . ويقول البعض : « إن تدفق اللعاب باستمرار فى الفم عامل مهم فى منع اصابة الاسنان بالتسوس والخراب ، لان اللعاب يؤثر فى تنظيفها ميكانيكياً ، وحيث انه يقل تدفق اللعاب ليلا ، فان قابلية الاسنان للتعرض للخراب تزيد طبعاً ، وهذا مايؤكد الحاجة للسواك بعد النوم كما قلنا » (٢). . كما أن السواك يقضى على الميكروبات التى يمكن أن تكون قد نشطت أثناء النوم ، وعلى بعض الفضلات لو فرض تخلفها فى تجاويف الفم، فيما لو كان السواك قبل النوم غير فعال، بسبب التقصير فى الاستقصاء فيه . . نعم.. ولعل ماذكرناه يلقى بعض الضوء على ما تقدم من قولهم عليهم السلام :

(١) فان لم يمكن فان اسيد المعدة يقضى عليها ، فان لم يمكن قضت عليها تركيبات الصفراء (راجع : أولين دانشكاه وآخرين پيامبر ج ١٢ ص ١٢٢ و١٢٦) .

(٢) أولين دانشكاه وآخرين پيامبر ج ١٢ ص ١٥٥/١٥٦ .

لو علم الناس ما في السواك لاباتوه معهم في لحاف . . وهذا ما يؤكد لنا عظمة الاسلام، وانسجامه مع الحاجات الطبيعية ، التي تكتنف وجود هذا الكائن ، وتهيمن عليه..

جرح اللثة . .

ويلاحظ هنا : أن جرح اللثة بالسواك ثم تعفنها غير وارد هنا بالنسبة للانسان السليم . . وذلك لان الفم يتمتع بمناعة خاصة ضد تعفن جراحة الفم ، ولعل هذا هو السر في اعتبار الاسلام الفم طاهراً ، مطهراً ، بحيث لو ظهر فيه دم فانه يطهر بنفسه بمجرد ذهاب آثاره . . كما أن اللعاب نفسه قاتل للميكروب لدى الرجال الاصحاء، كما قد منا (١) .

ولكن ذلك لا يعني عدم تولد ملايين الجراثيم في الفم بفعل التخمر الذي تغلفه اغشية تمنع من تأثير اللعاب في مكافحتها عادة . . كما أشرنا إليه من قبل . .

المساويك المختلفة :

هذا . . ونجد : أن الرضا عليه السلام يستاك في كل مرة بأكثر من مسواك واحد ، ولعله لاجل أن يتلا في ما يمكن أن يعلق بكل واحد منها أثناء عملية السواك هذه ، ثم يمضغ الكندر بعد سواكه . .

فقد ورد : أن الرضا عليه السلام كان إذا صلى الفجر جلس في مصلاه إلى ان تطلع الشمس . ثم يؤتى بخريطة فيها مساويك ، فيستاك بها واحداً بعد واحد ، ثم يؤتى بكندر فيمضغه الخ . (٢) ولعل مضغه للكندر بهدف تطييب رائحة فمه، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه أجمعين . .

---

(١) أولين دانشكاه وآخرين پيامبر ج ١٢ ص ١٢٢ و ١٢٦ و راجع : من أمالي الامام الصادق ج ١ ص ١٠٠ .

(٢) الوسائل ج ١ ص ٣٦٠ والبحار ج ٦٧ ص ١٣٧ و مكارم الاخلاق ص ٥٠ ، وعن التهذيب ج ١ ص ١٦٣ و اولين دانشكاه ج ١٢ ص ١٣٢ .

السواك : . والتلوثات الخارجية :

لقد ورد عن الصادق عليه السلام : ان رسول الله (ص) كان إذا صلى العشاء الآخرة أمر بوضوئه وسواكه ، فيوضع عند رأسه مخمراً ، فيرقد ماشاءالله ، ثم يقوم ، فيستاك إلخ (١) .

كما ..وتقدم:أن الرضا عليه السلام كان وهو بخراسان إذا صلى الفجر جلس في مصلاه إلى أن تطلع الشمس ، ثم يؤتى بخريطة فيها مساويك ، فيستاك بها واحداً بعد واحد ، ثم يؤتى بكندر الخ . .

و هذا يعكس رغبة النبى (ص) والامام عليه السلام بالمحافظة على المساويك ، ولو بجعلها فى خريطة ،أوالاحتفاظ بها مغطاة إلى وقت الحاجة . . حتى لايصل إليها أى من أنواع الجراثيم من أى سبب كان ، حتى من الهواء ، فضلا عن ملامسة أى شيىء آخر لها . . وهذا هو منتهى المداقة فى المحافظة على سلامة البدن . . ولاسيما إذا لاحظنا : أن الرضا عليه السلام نفسه يجعل لكل صلاة مسواكا خاصاً بها ، من أجل أن لايبقى فى المسواك حين استعماله للمرة الثانية أى أثر للرطوبة من العملية السابقة ، لان الرطوبة يمكن أن تنسجم مع حياة بعض الجراثيم التى ربما تعلق بها (٢)،ويكون اللعاب حاجزاً من تأثير المواد التى فى المسواك فى اهلاكها وابادتها . .

استحباب الوضوء للطعام :

هذا .. وقدورد فى الاحاديث مايفيد استحباب الوضوء قبل الطعام ، وقدتقدم: أن السواك مستحب عند كل وضوء ،وهذا يعنى أن السواك سيسبق الطعام ووضوءه،

(١) الكافى ج٣ ص ٤٤٥ والوسائل ج ١ ص ٣٥٦ واولين دانشكاه وآخرين پيامبر ج ٢ ص ١٢٩ .

(٢) أولين دانشكاه وآخرين پيامبر ج ١٢ ص ١٣٢ .

و إذن فلامجال بعد لتلوث الطعام ، ثم و روده الى المعدة مصاحباً للجراثيم ، فيضر بها كما تقدم . أما السواك بعدالطعام ، فقد استغنى الاسلام عن النص عليه بسبب تشريعه السواك في فترات كثيرة ،طيلة اليوم والليل ،بحيث يصير تخمر الفضلات أمراً غير معقول ولاممكن . .

الخلال بعدالطعام :

و كثيراً مالاتخرج بعض الفضلات المتخلفة في تجاويف الاسنان بالمضمضة بل ربما يعسر اخراجها بواسطة السواك ايضاً . . فتمس الحاجة إلى استعمال وسيلة أخرى لاستكراه تلك الفضلات على الخروج ، حتى لاتتحول بفعل التخمير إلى مناطق موبوءة ،تضج بالجراثيم ، وتؤثر في التهابات اللثة ، وخراب الاسنان وغيرذلك من اعراض تقدمت الاشارة إليها في بحث السواك . . وقدورد الامر بالخلال في الاسلام بانحاء مختلفة.. كما وبيّن النبي(ص) والائمة عليهم السلام مايترتب عليه من الفوائد ،بالاضافة إلى ذكر الوسائل التي لايصح استعمالها في هذاالمجال. . إلى غير ذلك مما سيتضح من النصوص التالية .

و لسوف لن نصغي إلى أولئك الذين يقولون : إن الخلال يهيىء الفرصة للابتلاء بالتهابات اللثة وتقيحها،وخراج السن الموجب لقلعه (١) . . فان الخلال الموجب لذلك هو خصوص الخلال العنيف الذى تستعمل فيه الوسائل الحادة التى تجرح اللثة وجدار السن ،الامر الذى ينشأعنه ماذكر . . وقد نبه النبي(ص) والائمة عليهم السلام لهذه الجهة ، وأرشدوا إلى مايمنع من ظهورها ، وسنرى . . حين الكلام على وسائل الخلال بعض ما ورد عنهم في ذلك . .

كما أنه مع تعدد عملية الخلال و السواك والمضمضة يومياً ، فانه لاتبقى فرصة لظهور مرض كهذا على الاطلاق (٢) .

---

(١) اولين دانشكاه وآخرين پيامبر ج١٢ ص ١٧٢ .

(٢) المصدر السابق . .

الخلال في الاعتبار الشرعي :

عن النبي (ص) : رحم الله المتخللين من أمتي في الوضوء و الطعام (١)

وعنه (ص) : حبذا المتخلل من امتي (٢) .

عن ابي الحسن عليه السلام عنه (ص) : رحم الله المتخللين . قيل : يا رسول الله ، وما المتخللون ؟ قال : يتخللون من الطعام ، فانه إذا بقي في الفم شيء تغير فآذى الملك ريحه (٣). وليراجع ماعن سعد بن معاذ عنه (ص) (٤) .

وبمعناه عن الباقر عليه السلام عنه (ص)، وفيه، فليس أثقل على ملكي المؤمن من أن يرى شيئاً من الطعام في فيه وهو قائم يصلي (٥) .

وعنه (ص) : والخلال يحبب إلى الملائكة ، فان الملائكة تتأذى بريح من لا يتخلل بعد الطعام (٦)

---

(١) مكارم الاخلاق ص ١٥٣ والبحار ج ٦٦ ص ٤٣٦ و ٤٣٢ عنه وعن الدعائم والشهاب وفي الهامش عن الدعائم ج ٢ ص ١٢٠/ ١٢١ ومستدرك الوسائل ج ٣ ص ١٠٠ و ١٠١ .

(٢) مكارم الاخلاق ص ١٥٣ والبحار ج ٦٦ ص ٤٣٦ ومستدرك الوسائل ج ٣ ص ١٠١ .

(٣) المحاسن للبرقي ص ٥٥٨ والبحار ج ٦٦ ص ٤٣٩ عنه ، وليراجع مجمع الزوائد ج ٥ ص ٢٩/ ٣٠ والوسائل ج ١٦ ص ٥٣٢ .

(٤) مكارم الاخلاق ص ١٥٢ عن الفردوس والبحار ج ٦٦ ص ٤٣٦ عن المكارم ومستدرك الوسائل ج ٣ ص ١٠٠ .

(٥) راجع: البحار ج ٦٦ ص ٤٣٦ و ٤٤٢ و ج ٨٠ ص ٣٤٥ عن دعائم الاسلام ج ١ ص ١٢٣ وليراجع مكارم الاخلاق ص ١٥٣ ومستدرك الوسائل ج ٣ ص ١٠٠ .

(٦) تحف العقول ص ١٢ والبحار ج ٧٦ ص ١٣٩ و ج ٧٧ ص ٦٩ والوسائل ج ١ ص ٣٥٢ .

وعنه (ص) : نزل على جبرئيل بالخلال (١) .

وعن الصادق عليه السلام : نزل جبرئيل بالسواك والخلال والحجامة (٢) .

وقد تقدم نفس هذا المعنى حين الكلام على السواك فى حديث شكوى الكعبة إلى الله ما تلقاه من أنفاس المشركين فراجع . .

وعن الامام الكاظم عليه السلام : ينادى مناد من السماء : اللهم بارك فى الخلالين والمتخللين . . إلى أن قال : والذين يتخللون ، فان الخلال نزل به جبرئيل مع اليمين و الشهادة من السماء (٣) .

وقد جعل الخلال من العشرة أشياء التى هى من الحنيفية ، التى انزلها الله على ابراهيم . (٤)

إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه (٥) . .

التأسى برسول الله (ص) :

ونلاحظ هنا : أن الائمة عليهم السلام لم يكتفوا باثبات أهمية الخلال بالاخبارات عن أهميته لدى الشارع ، حتى إن جبرئيل هو الذى نزل به . . بل تعدوا ذلك ، فوجهوا الناس نحو التأسى ، والاقتداء برسول الله (ص) ، فعن وهب بن عبدربه ،

(١) المحاسن ص٥٨ والبحار ج ٦٦ ص ٤٣٩ والكافى ج ٦ ص ٣٧٦ والوسائل ج ١٦ ص ٥٣١ .

(٢) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٣٢ والكافى ج ٦ ص ٣٧٦ والمحاسن ص ٥٥٨ والوسائل ج ١٦ ص ٥٣٢ والبحار ج ٦٦ ص ٤٣٩ .

(٣) السرائر ، قسم المستطرفات ص٤٧٦ والوسائل ج ١٦ ص ٥٣٣ والبحار ج ٦٦ ص ٤٤١/٤٤٢ ، ومكارم الاخلاق ص ١٥٣ .

(٤) مجمع البيان ج ١ ص ٢٠٠ والبحار ج ٧٦ ص ٦٨ وبهامشه عن تفسير القمى ص ٥٠ والوسائل ج ١ ص ٤٢٤ .

(٥) راجع : المصادر المتقدمة وغيرها . .

قال : رأيت أباعبدالله يتخلل ، فنظرت إليه : فقال : إن رسول الله (ص) كان يتخلل (١) .

الحرج في ترك الخلال :

وبعد هذا . . فقد تعدى الامر ذلك إلى التلويح بما يترتب على ترك الخلال من عواقب سيئة ، فقد روى عن أبي عبدالله عليه السلام ، أنه قال : من اكل طعاماً فليتخلل ، ومن لم يفعل فعليه حرج (٢) .

الخلال للمحرم :

هذا . . وقد وردت الرخصة بالخلال للمحرم ، مع أنه يحتمل إدماء اللثة فعن عمار بن موسى ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سألته عن المحرم يتخلل ؟ قال : لا بأس (٣)

فوائد الخلال :

واما عن فوائد الخلال ، ومضار تركه ، فيمكن أن نستخلصها من الروايات على النحو التالي :

١ـ يطيب الفم .

٢ـ مصحة (أو مصلحة) للفم ، والنواجذ .

٣ـ ينقي الفم .

٤ـ مصحة (أو مصلحة) للثة والنواجذ .

---

(١) المحاسن ص ٥٥٩ و ٥٦٠ و البحار ج ٦٦ ص ٤٣٩ والكافي ج ٦ ص ٣٧٦ وزاد فيه « وهو يطيب الفم » والوسائل ج ١٦ ص ٥٣١ وفي هامشه عن الفقيه ج ٢ ص ١١٥ .

(٢) الوسائل ج ١٦ ص ٥٣٣ والبحار ج ٦٦ ص ٤٤١ والمحاسن للبرقي ص ٥٦٤ .

(٣) الوسائل ج ٩ ص ١٧٩ وفي هامشه عن : الفروع ج ١ ص ٦٦ ، وعن التهذيب ج ١ ص ٢٦٦ وعن الاستبصار ج ٢ ص ١٨٣ .

٥ـ يجلب الرزق على العبد .

٦ـ هو نظافة .

٧ـ يذهب بالبادجنام، وهو حمرة منكرة على الوجه والاطراف ، كما سيأتي. .

٨ـ يمنع من حدوث الروائح الكريهة فى الفم .

وقد وردت هذه الفوائد فى العديد من النصوص ، مثل ما روى عن الصادق عليه السلام : من ان الخلال يطيب الفم(١) .وعن النبى(ص) : تخللوا على اثر الطعام فانه مصحة للفم والنواجذ ، ويجلب الرزق على العبد.وفى نص آخر:أنه (ص) ناول جعفراً خلالا وأمره بالتخلل ، معللاله ذلك بما ذكر(٢) .

وعنه (ص) :تخللوا،فانه من النظافة،والنظافة من الايمان،والايمان مع صاحبه فى الجنة (٣).وقد تقدم : أن الكعبة شكت إلى الله ما تلقاه من أنفاس المشركين ، فأوحى الله لها : إنه مبدلها بهم قوماً يتنظفون بقضبان الشجر الخ . .

قال الشهيد رحمه الله : «والتخلل يصلح اللثة ، ويطيب الفم» (٤) .

وروى أن النبى(ص) قال لعلى عليه السلام : عليك بالخلال ، فانه يذهب بالبادجنام الخ . (٥) قال المجلسى : البادجنام: كانه معرب بادشنام. وهو على ما ذكره الحكماء

(١) الكافى ج ٦ ص ٣٧٦ والوسائل ج ١٦ ص ٥٣١ وفى هامشه عن الفقيه ج٢ ص ١١٥ .

(٢) مكارم الاخلاق ص ١٥٣ والبحار ج ٦٢ ص ٢٩١ وج ٦٦ ص ٤٣٦ عنه وص ٤٤٢ و٤٤١ عن الدعائم ج ٢ص ١٢٠/١٢١ وعن طب المستغفرى والمحاسن ص ٥٥٩ و٥٦٤ والكافى ج ٦ ص ٣٧٦ وراجع الوسائل ج ١٦ ص ٥٣٢ و٥٣٣ ومستدرك الوسائل ج ٣ ص ١٠٠ عن الجعفريات وص ١٠١ عن المستغفرى .

(٣) البحار ج ٦٢ ص ٢٩١ عن طب المستغفرى ومستدرك الوسائل ج ٣ ص١٠١ .

(٤) البحار ج ٦٦ ص ٤٤٣ عن الدروس .

(٥) بحار الانوار ج٦٦ص ٤٣٧عن دعوات الراوندى ومستدرك الوسائل ج ٣ص١٠٠

حمرة منكرة شبه حمرة من يبتدىء به الجذام ، ويظهر على الوجه و الاطراف ؛ خصوصاً فى الشتاء والبرد ، وربما كان معه قروح . . (١)

وفى رواية عنه (ص) : من استعمل الخشبتين أمن من عذاب الكلبتين (٢) .

ولسنا بحاجة إلى التعليق على ما ذكر للخلال من فوائد ، فقد تقدم فى بحث السواك ما يوضح كثيراً مما ذكر هنا ، فلاحاجة لاعادته .

إلا أن ما ذكر من أنه يجلب الرزق . . لعله ناظر إلى انه إذا كان يوفر على العبد الكثير من المتاعب الجسدية ، بالاضافة إلى أنه يفسح المجال أمام الملائكة لان تقترب من العبد ، فانه ـ و لاشك ـ سيوفر على العبد الكثير من النفقات ، كما أنه يعطيه نشاطا ، بل وروحية جديدة يستحق معها الالطاف الالهية ، والعنايات الربانية ، ومنها تهيئة موارد الرزق له أيضاً .

و أما بالنسبة للحمرة المشار إليها فلم نستطع حتى الآن أن نعرف السر فى ذلك . . و لعل تقدم العلم الطبى فى المستقبل يفسح المجال للتعرف على الكثير من القضايا التى لاتزال رهن الابهام والغموض إن شاء الله تعالى . .

لزوم لفظ مايخرج بالخلال

هذا . . وقدورد فى الاحاديث الكثيرة لزوم لفظ ما يخرج بواسطة الخلال من بين أضعاف الاسنان ، أما ماكان على اللثة ، أوفى اللهوات والاشداق ، مما يتبع اللسان ، فقد رخص فى اكله (٣)

(١) البحار ج ٦٦ ص ٤٣٧ .

(٢) البحار ج ٦٢ ص ٢٩١ عن طب المستغفرى .

(٣) راجع الاحاديث فى ذلك فى : المحاسن للبرقى ص ٤٥١ و٥٥٩ و٥٦٠ و البحار ج ٦٦ ص ٤٣٨ و٤٣٦ و٤٠٨ و٤٠٧ ، و٤٤٠ و٤٤١ و٤٢١ ومكارم الاخلاق ص ١٥٢ و١٥٣ و١٤٥ والكافى ج ٦ ص ٣٧٧ و٣٧٨ والوسائل ج ١٦ ص ٥٤٢ ومستدرك الوسائل ج ٣ ص ١٠١ .

وما ورد : من أنه لاحرج من بلع مايخرج بواسطة الخلال (١) فهو ناظر الى الحرج من حيث العقاب فى الاخرة .أما الحرج والضرر الدنيوى فهو موجود ، و لهذا . . فقد أمر بلفظ ما يخرج بالخلال فى هذه الرواية بالذات ،فضلاعن غيرها . .

والسر فى ذلك واضح ، فان مايستكره بالخلال مما يكون عالقاً فى تجاويف الاسنان يكون عرضة للتلوث بالجراثيم المتواجدة فى تلك الامكنة،التى يصعب الوصول إليها على وسائل التنظيف ، ولربما لاتصل إليها اطلاقاً . .

أما ماكان فى مقدم الفم ، أوفى اللهوات والاشداق ، أوحيث يمكن للسان أن يستخرجه حين يدار فى جنبات الفم . . فانه يكون فى مواضع لايمكن لشيء أن يستقر فيها ،وحيث يتدفق اللعاب باستمرار .. فلايكون ثمة أية فرصة لتخمرها وتكاثر أى نوع من أنواع الجراثيم فيها .

هذا . . و قد ذكر الدكتور پاك نجاد : أن من يداوم على اكل ما يخرج بالخلال ، فانه يخشى عليه من قرحة الاثنى عشرى والمعدة . .(٢) ولذا فلايجب أن نعجب إذا رأينا رواية عن الامام الصادق عليه السلام تقول : لايزدردن أحدكم ما يتخلل به ، فانه يكون منه الدبيلة (٣)

والدبيلة : خراج ودمل كبير يظهر فى الجوف ، فتقتل صاحبها غالباً (٤) وهوما يعبر عنه الآن بقرحة الاثنى عشرى أوالمعدة ، كما هو معلوم . .

---

(١) المحاسن ص ٥٥٩ / ٥٦٠ والبحار ج ٦٦ ص ٤٤٠ والوسائل ج ١٦ ص ٥٣٦ وراجع الهوامش .

(٢) اولين دانشگاه وآخرين پيامبر ج ٢ ص ١٧٠ .

(٣) الكافى ج ٦ ص ٣٧٨ والوسائل ج ١٦ ص ٥٣٥ .

(٤) النهاية لابن الاثير ج ٢ ص ٩٩ .

المضمضة بعد الخلال :

لقد روى المستغفرى فى طب النبى: تخللوا على الطعام وتمضمضوا ،فانها مضجعة(الصحيح:مصحة)الناب والنواجذ (١) . وعن الحسين عليه السلام :كان أمير المؤمنين يأمرنا : إذا تخللنا أن لانشرب الماء حتى نمضمض ثلاثا (٢) .

وما ذلك إلا لان التخلل وحده لايكفى لاخراج الفضلات من الفم . . وقد لاتخرج بتمامها فى المرتين الاولى والثانية ،فيحتاج إلى الثالثة ، وذلك من أجل تفادى وفود الجراثيم الى المعدة ، الامر الذى يتسبب بالكثير من المضاعفات السيئة حسبما قدمناه فى بحث السواك ، فلانعيد . .

وسائل لايصح استعمالها فى الخلال :

ونجد فى الروايات المنع عن استعمال بعض الوسائل فى عملية الخلال ، وواضح أن المنع عن استعمال بعضها إنما هو من أجل أنها يمكن أن تجرح اللثة، وأما البعض الآخر ، فيمكن أن يكون من أجل وجود مواد كيمياوية معينة يمكن أن تضر بصحة الانسان عموماً . . و نشير فى هذا المجال إلى النصوص التالية :

عن الرضا عليه السلام :لاتخللوا بعود الرمان ، ولابقضيب الريحان ، فانهما يحركان عرق الجذام . وفى نص آخر : «الاكلة»(٣) .

وعن الدعائم وغيره :«ونهى (ص) عن التخلل بالقصب ، و الرمان ، و الريحان

(١) مستدرك الوسائل ج ٣ ص ١٠١ .

(٢) سفينة البحار ج ١ ص ٤٢٥ والبحار ج ٦٦ ص ٤٣٨ وفى هامشه عن الصحيفة ص ٣٧ .

(٣) الكافى ج ٦ ص ٣٧٧ والوسائل ج ١٦ ص ٥٣٣ و٥٣٤ ومستدرك الوسائل ج ٣ ص ١٠١ عن الدعائم والجعفريات ومكارم الاخلاق ص ١٥٢ و١٥٣ والبحار ج ٦٦ ص ٤٣٦ و٤٣٧ عنه وعن الخصال ص ٦٣ وعن مجالس الصدوق ص ٢٣٦ وعن علل الشرايع ج ٢ ص ٢٢٠ والمحاسن ص ٥٦٤ وروضة الواعظين ص ٣١١ .

و قال : إن ذلك يحرك عرق الجذام»،اوالاكلة (١)

وعن علي عليه السلام : التخلل بالطرفاء يورث الفقر (٢)

وقال الشهيد رحمه الله : يكره التخلل بقصب ، أوعود ريحان ، أوآس ، أوخوص،أورمان (٣) .

و كان رسول الله(ص) يتخلل بكل ماأصاب ماخلا الخوص والقصب (٤) .

وفي رواية : من تخلل بالقصب لم تقض له حاجة سبعة (أوستة) أيام (٥) .

وعن الصادق عليه السلام : لاتخللوا بالقصب ، فان كان ولامحالة فلتنزع الليطة(٦).

الليطة : قشر القصبة (٧) .

وعن الصادق عليه السلام : نهى رسول الله أن يتخلل بالقصب والريحان (أو : والرمان) ، وزاد في أخرى : (الاس) ، وقال : «وهن يحركن عرق الاكلة (٨)».

المحافظة على اللثة :

لقدر أينا آنفاً : النهي عن التخلل بالقصب ، فان كان ولامحالة ، فلتنزع الليطة . يعني قشر القصبة . .

---

(١) البحار ج٦٦ ص٤٤٢و٤٤٣ عن الدعائم ج ٢ ص ١٢١/١٢٠ وعن الدروس ومكارم الاخلاق ص١٥٣ عن الفقيه ، ومستدرك الوسائل ج ٣ ص ١٠١ .

(٢) مكارم الاخلاق ص١٥٢و١٥٣ والبحار ج٦٦ص ٤٣٦ و٤٣٨ عنه وعن الخصال ص ٥٠٥ والوسائل ج ١٦ ص ٥٣٤ ومستدرك الوسائل ج ٣ ص ١٠١ .

(٣) البحار ج ٦٦ ص٤٤٣ عن الدروس وراجع مكارم الاخلاق ص ١٥٣ عن الفقيه وراجع مستدرك الوسائل ج ٣ ص ١٠١ .

(٤) المحاسن ص ٥٦٤ ومكارم الاخلاق ص ١٥٢ و١٥٣ والبحار ج ٦٦ ص ٤٤١ و٤٣٦ والكافي ج ٦ ص ٣٧٧ ومستدرك الوسائل ج ٣ ص ١٠١ .

(٥) المحاسن ص ٥٦٤ ومكارم الاخلاق ص ١٥٣ ، والبحار ج ٦٦ ص ٤٣٦ و٤٤١ والكافي ج٦ص٣٧٧ والوسائل ج ١٦ ص ٥٣٣ ومستدرك الوسائل ج ٣ ص١٠١ .

(٦) البحار ج٦٦ص ٤٣٦ ومكارم الاخلاق ص١٥٣ ومستدرك الوسائل ج٣ص١٠١ .

(٧) محيط المحيط ص ٨٣٣ .

(٨) البحار ج ٦٦ ص ٤٤١ والمحاسن ص ٥٦٤ والكافي ج ٦ ص ٣٧٧ وراجع الوسائل ج ١٦ ص ٥٣٤ .

كما وروى عن الامام الكاظم عليه السلام في حديث - : ثم أتى بالخلال فقلت : ما حدّ هذا؟ . قال : أن تكسر رأسه ، لانه يدمي اللثة (١) .

الخلال للضيف :

وأخيراً . . فقد لا يتمكن الضيف من تهيئة الخلال المناسب ، ومن هنا . . فقد روى عن النبي (ص) : ان من حق الضيف أن يعدّ له الخلال (٢) .

وقد حكم بعض الفقهاء باستحباب اعداده له أيضاً (٣)

كلمة أخيرة هنا :

وهكذا . . يتضح أخيراً : أن السواك والخلال يؤثران في مظهر الانسان ، وفي سلامته البدنية ، بل وحتى النفسية ، والعقلية والروحية الى آخر ما تقدم . . فما أحرانا : أن نلتزم به ، ونستفيد منه الكثير مما عرفنا ، ومما لم نعرف بعد . . حيث ان ما ذكرناه وعرفناه يمكن أن يكون بالنسبة لما لم نذكره ولم نعرفه بمثابة غيض من فيض . . كما أنه ليس إلا بمثابة خطوة أولى على طريق التعرف على كافة الحقائق التي ترتبط بهذا الموضوع ، الذي هو واحد من تلك التعاليم الاسلامية السامية التي اهملناها ، ولم نعد نلتفت إليها ، وأصبحنا نستوردها - فيما نستورد مهما كانت هزيلة وممسوخة - من اوربا وغيرها من مناطق العالم . .

ولا يسعنا هنا الا أن نذكر بقوله تعالى : ولو ان أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء و الارض . . صدق الله العلي العظيم . .

---

(١) البحار ج ٦٦ ص ٤٢٣ ومكارم الاخلاق ص ١٥٢ و١٥٣ .

(٢) المحاسن ٥٦٤ والبحار ج ٧٥ ص ٤٥٥ وج ٦٦ ص ٤٤١ والوسائل ج ١٦ ص ٤٦٠ وراجع هوامشه . .

(٣) البحار ج ٦٦ ص ٤٤٣ عن الدروس للشهيد . .

كلمة ختامية:

وأخيراً . . فاننى أرجو أن اكون قد وفقت لانجاز هذا العمل على النحو المرضى والمقبول . . وأن يجد القارىء فيه الملامح الكافية لاظهار الصورة الحقيقية لهذا الموضوع ، من دون أى نقص أو تشويه . .

واذا ما وجد القارىء الكريم فى ثنايا هذا البحث بعض الهنات أو القصور ، فان رجائى الاكيد منه هو : أن يلتمس لى العذر ، وأن ينبهنى الى ذلك ، وله منى جزيل الشكر والتقدير ، وخالص المحبة والعرفان . .

وفى الختام . .فاننى أسأل الله أن ينفع بهذا الجهد المتواضع ، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم . . ويجعل ثوابه لشهداء الاسلام الابرار، لاسيما فى ايران الاسلام والثورة . .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

جعفر مرتضى العاملى

الفهارس :

١ ـ المصادر والمراجع .
٢ ـ فهرست اجمالى للكتاب .
٣ ـ محتويات الكتاب بالتفصيل .

المصادر . . والمراجع

لقد اعتمدنا فى هذا الكتاب على المصادر التالية :

القرآن الكريم

الف

١ـ آداب المتعلمين	للمحقق الطوسى
٢ـ الارشاد	للمفيد
٣ـ ارشاد السارى	للقسطلانى
٤ـ الاستبصار	للطوسى
٥ـ الاستيعاب	لابى عمر
٦ـ أسد الغابة	لابن الاثير
٧ـ الاشتقاق	لابن دريد
٨ـ الاصابة	للعقسلانى
٩ـ الاغانى	لابى الفرج
١٠ـ الام	للشافعى

١١ـ الامالى	للصدوق
١٢ـ الامالى	للطوسى
١٣ـ الامالى	للمرتضى
١٤ـ الامالى	للمفيد
١٥ـ الانوار النعمانية	للجزائرى
١٦ـ الاوائل	للعسكرى
١٧ـ اولين دانشگاه وآخرين پيامبر	لپاك نجاد

باء

١٨ـ البحار	للمجلسى
١٩ـ البحر الزخار	لابن المرتضى
٢٠ـ البخلاء	للجاحظ
٢١ـ البيان والتبيين	للجاحظ

تاء

٢٢ـ تاريخ الامم والملوك	للطبرى
٢٣ـ تاريخ التمدن الاسلامى	لزيدان
٢٤ـ تاريخ الحكماء	للقفطى
٢٥ـ تاريخ الخميس	للدياربكرى
٢٦ـ تاريخ الشعوب الاسلامية	لبروكلمان
٢٧ـ تاريخ طب درايران	لنجم آبادى
٢٨ـ تاريخ العلم	لسارتون
٢٩ـ تاريخ مختصر الدول	لابن العبرى

٣٠ـ تاريخ اليعقوبى	لابن واضح
٣١ـ تحرير الوسيلة	للامام الخمينى
٣٢ـ تحف العقول	للحرانى
٣٣ـ التراتيب الادارية	للكتانى
٣٤ـ التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية	لبدوى
٣٥ـ الترغيب والترهيب	للمنذرى
٣٦ـ تلخيص المستدرك	للذهبى
٣٧ـ تمدن اسلام وعرب	للوبون
٣٨ـ التهذيب	للطوسى
٣٩ـ تهذيب التهذيب	للعسقلانى
٤٠ـ التوحيد	للمفضل
٤١ـ تيسير المطالب فى امالى الامام ابى طالب	لابى طالب الزيدى

ثاء

٤٢ـ ثواب الاعمال وعقاب الاعمال	للصدوق

جيم

٤٣ـ جامع الاخبار	لمحمد السبزوارى
٤٤ـ الجواهر	للنجفى
٤٥ـ جواهر الاخبار والآثار	للصعدى
٤٦ـ الجوهرة فى نسب على وآله	للتلمسانى البرى

حاء

٤٧ـ الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى	لآدم متز

٤٨ـ حياة الصحابة للكاندهلوى

خـاء

٤٩ـ الخصال للصدوق

٥٠ـ الخطط للمقريزى

دال

٥١ـ دائرة معارف القرن العشرين لوجدى

راء

٥٢ـ الرسالة الذهبية (المنسوبة) للرضا عليه السلام

٥٣ـ الروض الانف للسهيلى

٥٤ـ روضة الواعظين للفتال النيسابورى

٥٥ـ الرياض للسيد على الطباطبائى

زاى

٥٦ـ زادالمعاد لابن قيم الجوزية

س

٥٧ـ السرائر لابن إدريس

٥٨ـ سفينة البحار للقمى

٥٩ـ السنن لابن ماجة

٦٠ـ السنن لابى داود

٦١ـ السنن للبيهقى

٦٢ـ السنن للترمذى

٦٣ـ السنن للدارمى

٦٤ـ السنن للنسائى
٦٥ـ السيرة الحلبية للحلبى
٦٦ـ السيرة النبوية لابن هشام

ش

٦٧ـ شرايع الاسلام للمحقق الحلى
٦٨ـ شرح النهج للمعتزلى

صاد

٦٩ـ الصحة والحياة لسلمون
٧٠ـ الصحيح للبخارى
٧١ـ الصحيح لمسلم
٧٢ـ الصحيح من سيرة النبى (ص) للمؤلف

طاء

٧٣ـ طب الائمة لابنى بسطام
٧٤ـ طب الامام الصادق عليه السلام للخليلى
٧٥ـ الطب النبوى لابن قيم الجوزية
٧٦ـ طبقات الاطباء والحكماء (فارسى) لابن جلجل
٧٧ـ الطبقات الكبرى لابن سعد

(ع)

٧٨ـ العبر و ديوان المبتدا والخبر لابن خلدون
٧٩ـ العروة الوثقى للميزدى
٨٠ـ علل الشرايع للصدوق

٨١ـ العقد الفريد لابن عبدربه

٨٢ـ عيون أخبار الرضا للصدوق

٨٣ـ عيون الانباء فى طبقات الاطباء لابن أبى أصيبعة

(غ)

٨٤ـ غرر الحكم للامدى

٨٥ـ الغيبة للشيخ الطوسى

فاء

٨٦ـ فتح البارى للعسقلانى

٨٧ـ الفتوحات الاسلامية لدحلان

٨٨ـ الفصول المهمة للحر العاملى

٨٩ـ فقه الرضا للشلمغانى

٩٠ـ الفهرست لابن النديم

قاف

٩١ـ قاموس الرجال للتسترى

٩٢ـ قرب الاسناد للحميرى

٩٣ـ قصار الجمل للمشكينى

٩٤ـ قضاء امير المؤمنين عليه السلام للتسترى

كاف

٩٥ـ الكافى للكلينى

٩٦ـ الكامل لابن الاثير

٩٧ـ كتاب أبى الجعد لابى الجعد

٩٨ـ كشف الاستار عن زوائد البزار للهيثمى
٩٩ـ كشف المحجة لابن طاووس
١٠٠ـ الكشكول للشيخ البهائى
١٠١ـ كنز العمال للهندى
١٠٢ـ كنز الفوائد للكراجكى

لام

١٠٣ـ لسان العرب لابن منظور
١٠٤ـ لسان الميزان للعسقلانى

ميم

١٠٥ـ مبانى تكملة المنهاج للخوئى
١٠٦ـ مجمع البيان للطبرسى
١٠٧ـ مجمع الزوائد للهيثمى
١٠٨ـ المحاسن للبرقى
١٠٩ـ محاضرة الاوائل للبسنوى
١١٠ـ محيط المحيط للبستانى
١١١ـ مختصر تاريخ العرب لامير علـى
١١٢ـ مرآة الكمال للمامقانى
١١٣ـ مروج الذهب للمسعودى
١١٤ـ المسالك للشهيد الثانى
١١٥ـ المستدرك على الصحيحين للحاكم
١١٦ـ مستدرك الوسائل . . للنورى

١١٧ـ المسند	للحميدى
١١٨ـ مسند أحمد	لابن حنبل
١١٩ـ مشكاة الانوار	للطبرسى
١٢٠ـ مصابيح السنة	للبغوى
١٢١ـ مصباح الشريعة	ينسب للصادق عليه السلام
١٢٢ـ المصنف	لعبدالرزاق
١٢٣ـ المعارف	لابن قتيبة
١٢٤ـ معانى الاخبار	للصدوق
١٢٥ـ معجم أدباء الاطباء	للخليلى
١٢٦ـ معجم البلدان	للحموى
١٢٧ـ المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام	لاسعدعلى
١٢٨ـ مكارم الاخلاق	للطبرسى
١٢٩ـ مناقب آل ابى طالب	لابن شهر آشوب
١٣٠ـ من أمالى الامام الصادق	للخليلى
١٣١ـ المنتظم	لابن الجوزى
١٣٢ـ المنتقى	لابن تيمية
١٣٣ـ من لايحضره الفقيه	للصدوق
١٣٤ـ المواعظ العددية	للمشكينى
١٣٥ـ موجز تاريخ الشرق الادنى	لحتى
١٣٦ـ الموطأ	لمالك

نون

١٣٧ـ نسب قريش	لمصعب الزبيرى

١٣٨ـ النهاية لابن الاثير
١٣٩ـ النهاية للشيخ الطوسى
١٤٠ـ نهج البلاغة جمع الرضى
١٤١ـ نوادر الاصول للحكيم الترمذى

هاء

١٤٢ـ الهادى (مجلة)

واو

١٤٣ـ الوسائل للحر العاملى
١٤٤ـ وفيات الاعيان لابن خلكان
١٤٥ـ الولاة والقضاة للكنـدى
١٤٦ـ ولاية الفقيه فى صحيحة عمر بن حنظلة للمؤلف

فهرست اجمالى للكتاب :

تقديم ٣

القسم الاول : تاريخ الطب ٥ ـ ٧٥

الفصل الاول : الطب قبل الاسلام ٨ ـ ٢٣

الفصل الثانى : الطب فى العهد الاسلامى ٢٧ ـ ٥٨

الفصل الثالث : الطب كمظهر حضارى ٦١ ـ ٧٤

القسم الثانى : من الاخلاق الطبية فى الاسلام ٧٥ ـ ١٩٥

الفصل الاول : الطب كمسؤولية ٧٩ ـ ٩٧

الفصل الثانى : التلميذ قبل أن يصير طبيباً ١٠١ ـ ١٠٥

الفصل الثالث : ماذا عن الطبيب والعلاج ١٠٩ ـ ١٣٢

الفصل الرابع : التمريض . . والمستشفى ١٣٥ ـ ١٦٧

الفصل الخامس : المريض . . وعواده ١٧١ ـ ١٩٤

القسم الثالث : الوقاية الصحية ١٩٥ - ٢٥٠

الفصل الاول : مقدمات ١٩٩ ـ ٢٠٧

الفصل الثانى : السواك . . والخلال ٢١١ ـ ٢٥٤

كلمة ختامية ٢٥٥

الفهارس ٢٥٧ ـ ٢٧٩

المصادر والمراجع ٢٥٩

فهرست اجمالي للكتاب ٢٦٩

محتويات الكتاب بالتفصيل ٢٧١

محتويات الكتاب بالتفصيل

تقديم ٣

القسم الاول : تاريخ الطب **٥-٧٥**

الفصل الاول : الطب قبل الاسلام **٨-٢٣**

تذكير ٨

مبدأ ظهور الطب ٩

الصلة بين الطب ، والسحر ، والكهانة ١٠

الطب عند الامم السالفة ١١

١ـ الطب عند المصريين ١١

٢ـ الطب عند الكلدان ، والبابليين ، والاشوريين ، والاسرائيليين ١٢

٣ـ الطب عند الهنود ١٣

٤ـ الطب عند الصينيين ١٣

٥ـ الطب عند اليونان والرومان ١٤

٦ـ الطب عند الفرس ١٥

جامعة جنديشابور ١٦

٧ـ الطب عند العرب قبل الاسلام ١٧

الطب الجاهلى	١٨
منزلة الطب فى الجاهلية	٢٠
أطباء العرب فى الجاهلية	٢٠
النساء والطب	٢٣
الفصل الثانى : الطب فى العهد الاسلامى	**٢٧ - ٥٨**
العرب فى أول الاسلام . . والطب	٢٧
الطب فى الصدر الاسلامى الاول	٢٨
دور غير المسلمين فى النهضة العلمية	٢٩
الطب فى القرن الاول الهجرى	٣١
الطب فى كلمات المعصومين عليهم السلام	٣٣
المسلمون . . والطب	٣٤
حركة الترجمة	٣٦
المشتغلون بالطب فى عصر الترجمة	٣٩
بين الشهرة والواقع	٣٩
حركة التأليف وازدهار الطب عند المسلمين	٤٣
المؤلفات الطبية وأثرها فى النهضة الاخيرة	٤٤
بعض منجزات المسلمين الطبية	٤٨
المنجزات الطبية لابن سينا	٥٠
الصيدلة	٥٤
امتحان الصيادلة	٥٧
الفصل الثالث : الطب كمظهر حضارى	**٦١ - ٧٤**
دراسة الطب عند المسلمين	٦١
امتحان الاطباء	٦٢

الاختصاص فى الطب ٦٣
النساء والطب ٦٣
كثرة الاطباءالمسلمين ٦٣
الخدمات الطبية عند المسلمين ٦٤
المستشفيات : الرازى وبناءمستشفى ٦٦
بعض أحوال المستشفيات ٦٧
المستشفيات الميدانية ٦٨
مستشفيات الطوارى ٦٩
أول مستشفى فى الاسلام ٦٩
جريمة أموية نكراء ٧٠
المستشفيات فى القرنين الاولين الهجرة ٧١
المستشفيات فى القرن الثالث فما بعده ٧٢

القسم الثانى : من الاخلاق الطبية فى الاسلام : ٧٥-١٩٥

الفصل الاول : الطب . . كمسؤلية ٧٩ — ٩٧

أحكام الاسلام ٧٩
حق التشريع لمن ؟ ٨١
شمولية قوانين الاسلام ٨٢
طبيعية قوانين الاسلام ٨٣
الفقيه . . وغير الفقيه ٨٥
الطب . . والفقه ٨٦
الطب فى الاعتبار الشرعى ٨٧
أهمية الطب اسلامياً ٨٧
رسالية الطب ٨٨

الطب . . والتجارة ٨٩
الاجرة للطبيب ٩٠
التجارة . .والسطحية ٩١
حبس الجهال من الاطباء ٩٢
ضمان الجاهل لما يفسده ٩٢
ضمان العارف بالطب ٩٤
روايتان لاربط لهما بالضمان . ٩٦
الفصل الثانى : التلميذ . . .قبل أن يصير طبيباً ١٠١-١٠٥
مواصفات طالب العلم الطبى ١٠١
الطالب . . والتجارب الطبية ١٠٣
الاستفادة من خبرات غير المسلمين ١٠٤
القسم الاسلامى للطبيب ١٠٥
الفصل الثالث : ماذا عن : الطبيب . . والعلاج ١٠٩-١٣٢
الطبيب أمام الواجب ١٠٩
المبادرة الى العلاج ١١٠
مداواة حكام الجور ١١٠
عدم التميز بين الغنى والفقير ١١١
اقدام الطبيب على ما يعرف ١١٣
١ـ الحذق ٢ـ الامانة ٣ـ استجلاب الثقة ١١٣
١ـ النصح ٢ـ الاجتهاد ٣ـ التقوى ١١٤
النصح : حدوده وابعاده ١١٦
١ـ الرفق بالمريض ٢ـ حسن القيام عليه ١١٧
رفع معنويات المريض ١١٨
يتقى الله ، ويغض بصره عن المحارم ١١٨

تجويز الافطار للصائم ، ونحو ذلك ١٢٠
من وصايا الاهوازى ١٢٠
الدواء . . والعلاج ١٢٠
لا اسراف فى الدواء ١٢٢
عدم اطالة فترة العلاج ١٢٣
فلسفة الدواء للمريض ١٢٤
اطعام المريض عند اشتهائه ١٢٥
لا يكلف المريض المشى ١٢٦
حمل الادوية فى السفر ١٢٦
العلاج بما يخاف ضرره ١٢٧
حفظ الاسرار الطبية ١٢٧
تحرى الدقة فى اجراء الفحوصات ١٣٠
من مواصفات الطبيب الحاذق ١٣١
معالجة غير المسلم للمسلمين ١٣٢

الفصل الرابع : التمريض . . والمستشفى ١٣٥-١٦٧

بداية ١٣٥
المستشفيات المنوذجية ١٣٦
مواصفات المستشفى الاسلامى ١٣٦
أضواء على بعض ماتقدم ١٤٣
علاقة الطبيب بالممرض ١٤٩
الممرض فى المستشفى ١٥٠
تمريض و معالجة الرجل للمرأة و العكس ١٥٥
الاولى : فى مداواة المرأة للرجل ١٥٥

الثانية : مداواة وتمريض الرجل للمرأة ١٦١
النظر الى الخنثى ١٦٤
تشريح الموتى ١٦٥
الفصل الخامس :المريض . . وعواده ١٧١-١٩٤
فى أجواء عيادة المريض ١٧١
اعلام المريض اخوانه بمرضه ١٧٢
اذنه لعواده بالدخول عليه ١٧٢
استحباب عيادة المريض ١٧٣
حدالقصد الى عيادة المريض ١٧٣
لاعيادة على النساء ١٧٤
العيادة كل ثلاثة أيام ١٧٤
العيادة بعد ثلاثة أيام ١٧٦
العيادة ثلاث مرات ١٧٦
أوقات العيادة ١٧٧
العيادة لمن ؟ ١٧٨
عيادة الرجل للمرأة ١٨٠
عيادة بنى هاشم ١٨٠
عيادة الاقارب ١٨١
استحباب الهدية للمريض ١٨١
عدم شكوى المريض الى عواده ١٨٢
عدم اسماع المريض التعوذ من البلاء ١٨٧
عدم اطالة الجلوس عندالمريض ١٨٧
وضع اليد على المريض ، والجلوس عند رأسه ١٨٨

دعاء المريض للعائد ، والعكس	١٩٠
دعاء المساكين للمريض	١٩١
سؤال المريض عن حاله ، وعما يشتهى . .	١٩١
التاميل بالصحة والسلامة	١٩٢
الاكل عندالمريض	١٩٢
مايقال للمريض بعد شفائه	١٩٣
القسم الثالث : الوقاية الصحية	**١٩٥ - ٢٥٠**
إلفات نظر	١٩٥
الفصل الاول : المقدمات . .	**١٩٩ - ٢٠٧**
الوقايـة الصحية فى مجالها الاوسع	١٩٩
البحث فى خصائص الاشياء	٢٠٠
اتجاهات البحث	٢٠١
النظافة فى مجالها العام	٢٠٣
امثلة على ماتقدم	٢٠٤
الفصل الثانى : السواك . .والخلال	**٢١١ - ٢٥٤**
بداية	٢١١
سؤال وجوابـه	٢١١
السواك	٢١٣
موقف المعصومين عليهم السلام من السواك	٢١٣
اشارة	٢١٩
منافع السواك . .واوقاته . . وكيفياته	٢١٩
لوعلم الناس ما فى السواك	٢٢٠
فوائد السواك فى روايات أهل البيت عليهم السلام	٢٢١

مجمل ما تقدم	٢٢٤
السواك يبيض الاسنان	٢٢٦
السواك يطيب رائحة الفم	٢٢٧
يذهب بالحفر	٢٢٧
يقوى اللثة	٢٢٧
يجلو البصر	٢٢٧
ينبت الشعر	٢٢٨
علاقة السواك بالحالة النفسية والعقلية وغيرها	٢٢٨
آثار موبوئية الفم	٢٢٩
السواك هو المنقذ	٢٣١
السواك يشهى الطعام	٢٣٢
عذوبة الفم والفصاحة	٢٣٢
السواك بالقصب ، والريحان ، وغيرهما	٢٣٢
السواك بالاراك ونحوه	٢٣٣
السواك عرضاً . . لاطولا	٢٣٦
المضمضة بعد السواك	٢٣٧
أدنى السواك	٢٣٨
السواك بماء الورد	٢٣٩
السواك في الحمام	٢٣٩
السواك على الخلاء	٢٤٠
أوقات السواك ، والسواك للصائم	٢٤٠
جرح اللثة	٢٤٣
المساويك المختلفة	٢٤٣

السواك . . والتلوثات الخارجية ٢٤٤
استحباب الوضوء للطعام ٢٤٤
الخلال بعد الطعـام ٢٤٥
الخلال فى الاعتبار الشرعى ٢٤٦
التأسى برسول الله (ص) ٢٤٧
الحرج فى ترك الخلال ٢٤٨
الخلال للمحرم ٢٤٨
فوائد الخلال ٢٤٨
لزوم لفظ مايخرج بالخلال ٢٥٠
المضمضة بعد الخلال ٢٥٢
وسائل لايصح استعمالها فى الخلال ٢٥٢
المحافظة على اللثة ٢٥٣
الخلال للضيف . ٢٥٤
كلمة أخيرة ٢٥٤

كلمة ختامية **٢٥٥**

الفهارس : **٢٥٧ ـ ٢٧٩**

المصادر والمراجع ٢٥٩
فهرست اجمالـى للكتاب ٢٦٩
محتويات الكتاب بالتفصيل ٢٧١

كتب مطبوعة للمؤلف

١ـ الحياة السياسية للامام الرضا عليه السلام — طبعة ثانية

وقد ترجم الى الفارسية أيضاً

٢ـ حديث الافك (تاريخ ودراسة)

٣ـ الصحيح من سيرة النبي الاعظم (ص) — أربعة أجـزاء

٤ـ دراسات وبحوث في التاريخ والاسلام — جزءان

٥ـ ابن عباس ، واموال البصرة

٦ـ الزواج الموقت في الاسلام (المتعة)

٧ـ ولاية الفقيه في صحيحة عمر بن حنظلة وغيرها . .

٨ـ الآداب الطبية في الاسلام — (وهو هذا الكتاب)

وقد ترجم للمؤلف مايلي :

٩ـ أبوذر مسلمان يا سوسياليست . .

١٠ـ تحقيقي درباره تاريخ هجري . .

١١ـ مقالة حول سبب نهي علي عليه السلام عن قتال الخوارج بعده ..

قيد الاعـداد :

١٢ـ الخوارج تاريخياً وسياسياً . .

VETVS
NOVVM
TESTA-
MENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

Princeton University Library
32101 059188167

رشن ۵۵۰ ریال